شيخ الشعراء

قرن من العطاء

دار الحضارة

شيخ الشعراء

قرن من العطاء

شيخ الشعراء

قرن من العطاء

إعداد

محمد رسول الزاير

ح شركة دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٤٤هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الزاير، محمد بن رسول بن أحمد
شيخ الشعراء (قرن من العطاء احفاء وتكريما للمسيرة الأدبية
والاجتماعية للأستاذ الشاعر محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي/
محمد بن رسول بن أحمد الزاير- ط١-الرياض ١٤٤٤هـ
٠٠ ص ؛ ٠٠×٠٠سم
ردمك: ٧-٦٨-٨٣٨١-٦٠٣-٩٧٨
١-الخنيزي، محمد سعيد علي، ١٣٤٣هـ ٢- الأدباء السعوديون أ- العنوان
ديوي ٩٢٢,٦٠٩٥٣١٣٥ ١٤٤٤/٦٠٠٤

رقم الإيداع: ١٤٤٤/٦٠٠٤
ردمك: ٧-٦٨-٨٣٨١-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

شركة دار الحضارة للنشر والتوزيع
ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥
هاتف: ٢٤١٦١٣٩- ٢٤٢٢٥٢٨ فاكس: ٢٧٠٢٧١٩
فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨ تحويلة ١٠٣
الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨

بسم الله الرحمن الرحیم

مقدِّمة

عصام عبدالله الشماسي

هنا يتمازج الأدب مع الفن، هنا يختزل التاريخ ،وتستحضر معالم طريق ممتدة في أعماق الإنسان والمجتمع؛ هاهنا نقرأ فصول رواية كتبت نفسها بمداد الألم والعناء، نقف في هذه المحطة الروحية لنتملى ملامح لوحة فيها من التلاوين ما يعبىء الروح وينعش الوجدان.

في هذا الإصدار (شيخ الشعراء) نصافح مسيرة أدبية وتجربة اجتماعية محفوفة بالكثير من الشواهد على حركة الأدب والإنسان والتاريخ في قطيف الثقافة والشعر والفن.

فالأستاذ الخنيزي استطاع هو مع كوكبة من أقرانه وأترابه ومجايليه أن يرسموا خارطة طريق وأن يعبدوا دروب تجديد تجاوزت وكسرت النمطية بأساليب وطرائق تعبيرية وأنساق لغوية تترجم ما يعيش بذواتهم، وتعرب عما يمور بخواطرهم وأحاسيسهم بما تقع عليه أعينهم، بعيداً عن التكلف أو الصناعة اللفظية التي ألقت بظلالهاالكثيفة على الأدب والشعر تحديداً فأحالته إلى دمى جامدة لا حراك ولا حياة فيها.

مهرجان شيخ الشعراء جاء ليعبر عن هذه القيمة ويدعوَ للإلتفاف حول هذه التجارب أو الحالة من المسيرة الأدبية لجيل الروّاد.

مهرجان شيخ الشعراء هو ترجمان حي عن حالة شعورية تجاه إرث وخزانة ثرية للجيل الرائد الذي يجب أن ننحاز إليه متأملين ملامح ومعالم تجربته وأن نتحوط بالعناية والدراسة الظروف الموضوعية التي أسهمت في تكوينه ونمائه واستمراره وإخصابه ونضوجه ؛ليوظف توظيفاً مطرداً في تطلعات الحاضر ومطامح المستقبل.

مهرجان شيخ الشعراء وقفة وفاء وتكريم للأستاذ محمد سعيد الخنيزي القامة الأدبية والاجتماعية التي استطاعت أن تكون حاضرة ومؤثرة في مسيرة الثقافة والأدب والوعي الاجتماعي.التي ظل وفياً وولهاً و شغوفاً بها وبكل إضاءة ملاحقاً كل شاردةوواردة متتبعاً المدارس ومتنقلاً بين واحات المعرفة وبساتين الأدب حيث لم ير يوماً إلا وهو منشغل برأي أو منهمك في كتابة ولم يكن منحازاً لسوى العقل والبرهان والمعرفة والأخلاق والمبادئ والقيم.

بل لم يكن ليعيش العزلة فهو الحاضر بروحه وفكره وشعوره مواكباً وملاحقاً مصادر المعرفة وموارد الفكر، ويقتحم في عنفوان وإرادة كل ميادين الأدب والثقافة والفكر قديمه وحديثه طارفه وتالده ؛لم يثنه عن هذه الإرادة الأثيرة لديه عجزٌ أو يقعده عن الوصول لهذه اللذة مرض أو عائق بل يجتاز كل هذه ويعبر كل هذه الأشواط ليصل إلى ضفاف معشوقه الأزلي الأدب والشعر والتاريخ والإنسان.

وكان لهذا الحضور اللافت في هذه الميادين، موقع وأثر لدى المهتمين بالكلمة والفن والأدب والثقافة في محيطه الذي أغدق عليه

الكثير من عطاءاته وإسهاماته الأدبية كتابةً ومشاركةً في المحافل الأدبية، فما أن ذاع خبر (مهرجان شيخ الشعراء) -من قبل جمعية التنمية الأهلية بالقطيف- والذي أقيم تكريمًا واحتفاءً بالمسيرة الأدبية والاجتماعية الحافلة لهذه الشخصية الأدبية حتى تسابق الأدباء والمثقفون والمهتمون للتفاعل مع هذا الحدث المميز الذي أقيم في ليلة الخميس ٢/ ١١/ ١٤٤٣هـ الموافق ١/ ٦/ ٢٠٢٢م في قصر الغانم للمناسبات بالقطيف، فكان البرنامج حافلاً ومتنوعاً بالفقرات بين تلاوين الأدب شعراً ونثراً إضافة لمادة مصورة وثائقية قد تم عرضها ضمن فقرات المهرجان وتم رفعها على اليوتيوب على هذا الرابط https://youtube.com/watch?v=Un13ZDJcHgY&feature=share، وقد امتلأت القاعة بالحضور الحاشد والنوعي في تلك الأمسية البهيجة.

وفي هذا الإصدار تم جمع هذه الباقة من المشاركات التي استوعبتها تلك الأمسية الاستثنائية إضافة إلى المواد التي لم تدرج في البرنامج لعدم وجود مساحة زمنية تستوعب كل ما وصلنا من مشاركات ذات قيمة أدبية وفنية.

كما ضم هذا الكتاب المقالات والدراسات التي كتبت في نتاج الأستاذ الخنيزي في فترات سابقة على مهرجان شيخ الشعراء لتكون مادة ثرية ونافذة يطل من خلالها المهتمون على هذه التجربة الجديرة بالتأمل.

عصام عبدالله الشماسي

٣/ ٣/ ١٤٤٤هـ

الفَصلُ الأوَّل

مهرجان شيخ الشعراء

١

معجب بفتاته!

محمدأمين أبوالمكارم

مدخل

دعيتُ فأجبت، وها أنا ذا أمتشق قلمي لأكتب عنه، لكن الحيرة تملكتني؛ فمن هذا الذي ستكتب عنه؟ تبتعد لتقف خارج الدائرة فتتسع المعرفة وتضيق العبارة، وتقترب فترى الإنسان، فتضيق المساحة عن الحرف.

لقد وجدتني حيران عمّن سأكتب؛ عن الكاتب؟ أم عن الشيخ الشاعر؟ أم عن الأديب؟ أم عن المحامي؟ فذكّرتني تلك الأسئلة بشخصية كشاجم، التي تبدو في بعض الأشخاص ضياع بوصلة بينما هي في آخرين موسوعية لا يشق لها غبار.

هكذا هو الرجل، ليس في موسوعية معارفه وتنوعها فحسب، بل فيما قدّم من نتاج رصين إلى الساحة الثقافية والأدبية، على عصامية لا تخفى على عين متأمل، وعظامية مستحقة لم يركن إليها ولو شاء لفعل.

عن أبي عليّ الأستاذ محمد سعيد بن الشيخ علي الخنيزي أتحدث. عن شخص ولد ونشأ في فترة من تاريخ هذه المنطقة وكتب الله له وكوكبة من المتنورين أن يكونوا الروّاد فيها، ومن اللافت أن يحمل عدد منهم الاسم

الأول نفسه، فرحم الله من مضى منهم وحفظ الله من بقي.

توجيه البوصلة

عندما دعاني الأخ الأديب الأستاذ عصام الشماسي لكتابة بعض السطور في حق العم الأستاذ محمد سعيد حفظه الله .. وجدتها فرصة للتعبير عن مشاعر البنوة تجاه هذا الرجل الذي أصفه بالعم وفاءً لعلاقة الوالد حفظه الله التاريخية مع أعلام هذه الأسرة الكريمة لاسيما العلامة الشيخ عبدالحميد الخطي رحمه الله، والأخوة المتميّزة بين الوالد والأستاذ أبي علي والعلامة الشيخ عبدالله حفظهم اللّه جميعًا.

لكنّي -كما ذكرت أعلاه- فكّرت فيما سأكتب، لاسيما وللرجل جوانب متعددة في شخصيته. أأكتب في سيرته وكفاحه منذ الطفولة؟ أم حول نثره؟ أم شعره؟ ... وتتسع دائرة الأفكار وتتشعب دروبها!

غير أني خرجت عن الجادة إلى فكرة اقتبستها من سيرته، قد لا تتسق والسيرة السائدة في مجتمعنا المحافظ وأحببت الوقوف عندها وهي حضور الأنثى الابنة في حياته، وهكذا انطلقت.

كانوا على الدرب

ولكن على أي درب كانوا؟

هناك من كان على درب: ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ**﴾[1]، وآخرون كانوا على درب: «ريحانة أشمها ورزقها على اللّه»[2]،

(١) سورة النحل، آية ٥٨.
(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٢١/ ٣٦٥، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

و«البنات حسنات، والبنون نعمة، والحسنات يثاب عليها، والنعمة يسأل عنها»[١]، و«خيرُكم خيرُكم لنسائه ولبناته»[٢].

هكذا كان الأمر في كافة المجتمعات وعلى مر التاريخ، غير أن عموم مجتمعنا بحمد الله وبحكم عيشه في ظلال أهل البيت ومبادئهم وقيمهم وأخلاقهم أقرب إلى الدرب الثاني إلا الشاذ النادر، وهذا مالا يقاس عليه.

نعم قد لا تخلوا التربية والتنشئة في عمومها في مجتمعنا في غابر الزمان من قسوة وشدّة، على تفاوت بين البيوت والأفراد، إلا أن البنت -لاسيما في بعض البيوت- لا يمكن أن ترفع في وجهها يد، أو تلطمها كفّ، فـ«ما أكرم النساء إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم»[٣] و «لا يضربهن إلا شراركم»[٤].

وقد سار أهل الوعي خطوات أبعد في احترامهم للمرأة وخلق بيئة تربوية تُنَشِّئها على أن تكون جامعة لأبنائها في مستقبل حياتها، فدلالها في بيت أبيها لا يقف دون تحميلها المسؤوليات وهي يافعة، وقد رأيت في بعض البيوت كيف كانت المسؤوليات تحال إلى البنت، لتكون هي الأب والأم والمدبّر في المنزل، وبيدها إدارة الشؤون المنزلية والاقتصادية، بالرغم من وجود أمها وجدتها في البيت؛ وما ذلك إلا لتدريبها كي تكون قادرة على إدارة شؤون بيتها والإمساك بزمام أموره عندما تنتقل إلى بيت الزوجية.

وهناك من ذهب إلى أبعد من ذلك، فجعل ابنته موضع الفخر والاعتزاز،

---

(١) الوسائل، ٢١/ ٣٦٥.
(٢) كنز العمال، المتقي الهندي، ١٦/ ٣٧١.
(٣) كنز العمال، ١٦/ ٣٧١.
(٤) كنز العمال، ١٦/ ٣٧١.

يقول فيها الشعر ويعطيها مساحة في حياته الثقافية.

فخر الرجل بالمرأة

عرف الرجل بفخره بنفسه وبقومه، لكنه لم يشتهر عنه فخره بالمرأة[1]، ولعله غرق في تعشُّقِها والتغزل بها .. لكن أن يفخر بها؟ ربما عُدّ ذلك ضربًا من الخيال!

وقد اشتهر في أمثال العرب قولهم: كل فتاة بأبيها معجبة. لكن هل يمكننا عكس المثل لنقول: كل أب بابنته معجب؟

لا أظننا قادرين على إطلاق هذا القول! وقد يوجد الآباء المعجبون ببناتهم، سواء في الأزمنة الغابرة أو في الزمن الحاضر، لكن من ذا الذي يجرؤ على التعبير عن هذا الإعجاب؟

نعم، يمكننا أن نقول: إن بعض الآباء -وربما الكثير منهم- معجبون ببناتهم ويفخرون بهن .. لاسيما في هذا الزمان. أما إذا نظرت إلى العقود العشرة الماضية، فستجد أن هؤلاء الرجال من الندرة بمكان .. وبالحد الأدنى ندرة من يجرؤ منهم على الإفصاح عن هذا الفخر بشتى وسائل التعبير، لاسيما بتوظيف الشعر ونشره على الأشهاد.

إلى ابنتي

ويتبدى هذا الفخر وتظهر آثاره على أكثر من صعيد في حياة شاعرنا، ويوثّقه بكل اعتزاز في أكثر من إصدار من إصداراته، وسأقتصر على بعض من تلك المواقف مقتبسًا إياها من بعض الإصدارات شاهدًا على ذلك.

(١) كما لم يشتهر فخر المرأة بالرجل! عن هذا الموضوع راجع: فخر المرأة بالرجل، محمد أبو المكارم، مجلة القافلة، يوليو/ أغسطس ٢٠٠٣.

عندما أطلّ علينا ديوانه «شمس بلا أفق» في سنة ١٩٨٦م، كان من بين نصوصه نصٌ بعنوان: «إلى ابنتي فردوس»، كتبه الشاعر في كريمته بتاريخ ٨/ ٥/ ١٩٦٨م، قبل زفافها بأشهر، أي قبل نشر القصيدة في الديوان بنحو ثماني عشرة سنة، يقول فيها[١]:

فردوس يا جنة الأحلام والأدب وونبة من شباب جد ملتهب
فأنت في عقلك الصافي كمدرسة تثقفين بنات الجيل بالكتب

يرى الشاعر في ابنته جنة الأحلام والأدب، وأن صفاء عقلها وحماسها الشاب قادها إلى تثقيف صديقاتها وإعارتهن الكتب، ولا أشك أن مصدرها الأول مكتبة أبيها الغنية بشتى صنوف المعرفة.

ويواصل الشاعر فخره بابنته وثقافتها وجرأتها، فيقول:

أكبرتُ عقل ابنتي أكبرت جرأته إن الشجاعة في فكر وفي أدب

نعم إن الجرأة والشجاعة في الفكر والأدب بقيمهما الراقية التي تستظل بقيم المجتمع وثقافته الدينية السامية. ويختم الشاعر قصيدته بتشجيع ابنته إلى أبعد من ذلك، فيقول:

فـألّـفـي مـن بـنـات الخـط كوكبة
تـضيء درب النهى للنشء كالشهب

ولم يألف المجتمع القطيفي هذه الجرأة لاسيما في البيئة المحافظة، ولا غرابة حينها أن يكون عند من لا تعجبه هذه الجرأة موقف منها.

(١) شمس بلا أفق، محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي، الدار العالمية، بيروت، ١٩٨٦م، ص٩١-٩٢.

فردوس في المقدمة

ويمضي الشاعر إلى أبعد من ذلك، فيعطي ابنته الفرصة لتقدم نفسها بتقديم ديوانه التالي، وتلك سنّة اتبعها بعض الأعلام في إعطاء الفرصة لأبنائهم ليكتبوا سطورًا يقدمون بها كتب آبائهم، ويحضرني هنا تجربة السيد شرف الدين رحمه الله في بعض كتبه، حيث كان ينشرها مصدرة بتقديم ابنه السيد صدر الدين، وتبع الحفيد السيد مصطفى السنةَ نفسها فقدم لأبيه السيد صدر الدين في كتابه هاشم وأمية.

ويمضي شاعرنا على النهج نفسه، لكنّ الذي يقدّم لكتابه ليس أحد أبنائه الكرام، ولا أشك أن فيهم القادرين على ذلك، بل كريمتُه التي افتخر بها ونشر قصيدته فيها قبل أعوام، إذ يطل علينا في عام ١٩٩٣م بديوانه الجديد: «مدينة الدراري» مصدَّرًا بمقدمة كريمته (رحلة مع أبي في ديوانه)، وكأنه يقول: يا من أزعجتكم القصيدة خذوا مزيدًا من الجرأة، وليتحقق المثل الشهير طردًا وعكسًا، فها هي الابنة تقدّم أباها لتقول: ها أنا ذي، و «كل فتاة بأبيها معجبة»؛ ويقول أبو علي: هذه هي ابنتي التي افتخرت بها بالأمس.

تقول أم حسام في مقدمتها[١]:

منذ كنت طفلة وأنا أرى أبي وأعمامي يتوقون الكتاب، يتعهدونه ويتدارسونه، وكلما شربوا من معينه ازدادوا ظمأً. في ذلك الجو الرائع نشأت أنهل من المعرفة، وأتزود من تلك الأسفار ما ينير عقلي وقلبي ... ثم أبدأ في قراءة الكتب لوالدي في الليل وأسجّل ما تجود به قريحته الشعرية، حتى أرى القصيدة منذ إبصارها النور إلى أن تصبح زهرة فوّاحة .. ويراودني ذلك

(١) مدينة الدراري، محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي، مطابع الرضا، الدمام، ١٩٩٣م، ص٩.

البيت الذي طالما ردّده عليّ أبي وشرحه لي ليكون مثالًا ودستورًا لحياتي عندما أكون أمًّا:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبًا طيب الأعراق

نعم يا أم حسام، أصبحت مدرسة لأبنائك وكنت وأبوهم وجدُّهم المدرسةَ الحقيقيةَ لهم فكانوا خيرةَ الأبناء.

ولقد اخترتُ هذا الجزء من المقدمة لأقف عنده غير وقفة إلى جانب الوقفة التربوية الواضحة[1]؛ فإذا كان القَدَرُ قد أصاب أبا علي في عينه فاظلمّت الدنيا أمامه، فقد كانت ابنته -وكذلك سائر أبنائه الكرام- عينه التي يبصر بها وبارقة الأمل في حياته، بينما كان هو البصيرة التي صنعتهم؛ وكان ذلك من لطف الله به وبهم، وتجربة حقيقية في تحويل التحديات إلى فرص.

كما أن هذا التجربة تحاكي تجارب أخرى إحداها رأيتها وعشتها بنفسي في ظلال أبي حفظه الله، ومكتبته وعشقه للكتاب، وكيف كنّا نتهجى الحروف والكلمات بين يديه، فكنت أقرأ هذه الكلمات وأشعر بالحنين إلى تلك الأيام الخوالي والأماكن الداثرة.

سبط وسبطة

لم يقف الأب عند حدود بناته، بل تجاوزها إلى أبنائهن وبناتهن،

(١) في هذا الموضع تتذكر أن والدها ردّد على مسامعها ذلك البيت من الشعر ليكون دستورًا لها ولتكون الأم المدرسة والنبراس، وفي موضع آخر تقول: وأعود مرة أخرى إلى حياتي مع أبي حتى عندما تزوجت لم أنفصل عنه ولم أستغن عن توجيهاته، فهو الملجأ لي عندما تضيق بي الدنيا، ودائمًا على اتصال مع مؤلفاته وأفكاره وجلساته التي لا أملها أبدًا. مدينة الدراري، ص١٩.

ليكونوا بصره ويكون بصيرتهم.

عن حضورهم في حياته وحضوره في حياتهم يقول شاعرنا متحدثًا عن بعض ظروفه العصيبة: «... لم يكن معي من العائلة غير سبطتي هند[١]؛ ويواصل حديثه قائلًا: وبرغم ما لقيت من ظروف شائكة، فقد بذل لي نفسه السبط حسام وضحى بوقته، غير أني أشفقت عليه، وفضّلت مصلحته على مصلحتي، لامتلاء وقته بدراسة الطب البشري[٢] ... فعدت إلى ظلال الصمت ... وبرغم كل هذه الصعاب، تجرد لي بعض الأبناء، وفرّغوا وقتهم ... [٣].

وتقول أم حسام في مقدمتها: وعندما كبر ابني البكر حسام الذي يدرس الطب في جامعة الملك فيصل، أخذ حيزًا كبيرًا لدى والدي فهو يقرأ له دائمًا ويكتب له ويتناقش معه ويساعده في مكتبته وفي أي ديوان يعده للطبع، فهو مولع بالأدب والتاريخ[٤]؛ وقد بدا ذلك في خاتمة الديوان نفسه، فالذي قدم له البنت، والذي كتب خاتمته السبط[٥].

حسام ومسك الختام

ويطل علينا سبط الشاعر مرة أخرى، ولكن هذه المرة في مقدمة ضافية

---

(١) خيوط من الشمس، محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي، مؤسسة البلاغ، بيروت، ٢٠٠٠م، ١/ ١٥.

(٢) تخرج الدكتور حسام بن الأستاذ سعيد سلمان العبدالهادي الحبيب في كلية الطب بجامعة الملك فيصل في عام ١٩٩٧م، وواصل تحصيله ليصبح أخصائي جراحة مخ وأعصاب، ثم استشاري جراحة العمود الفقري.

(٣) خيوط من الشمس، ١/ ١٧-١٨.

(٤) مدينة الدراري، ص١٩.

(٥) مدينة الدراري، ص٢١٠.

لديوان جدّه «كانوا على الدرب»، الصادر في عام ١٩٩٥م، مدلّلًا على صحة وصف أمه له؛ فهو يفصح عن ثقافته ومهارته، كما يرسم خيوط علاقته بجدّه وعلاقة جدّه به، تلك العلاقة التي ظهر أثرها في تقديمه.

لم يقتصر في مقدمته على التعريف بجده كما هو مألوف في التراجم والسير، بل حاول أن يسبر أعماق الشاعر الذي هو على تماس مع عقله وقلبه قبل بنات فكره وشعره التي يرافقها «منذ إبصارها النور إلى أن تصبح زهرة فوّاحة» كما قالت والدته عن نفسها.

إنه يلمح في شعره عاطفة وجدانية وفلسفة صوفية[١]، وإذا كان غير واحد ممن كتب عن الشاعر ألقى الضوء على نظرته التشاؤمية، فإن السبط يجد في شعر جدّه عكس ما يقال، ويرى فيها التفاؤل والصبر، ويدلل على ذلك بقول الشاعر[٢]:

في أغاني الشباب ذوّبت قلبي ... في كـؤوس سقيتها الأحـرارا
وسكبت النهار في مقلة الليل ... على الأفـق فاستحال نهارا

وليس من سرّ وراء ذلك التفاؤل والبلسم الشافي للجراح إلا معانقة القوافي، فهو يرسلها لينقشع الظلام وتبتهج النفس[٣]:

أرسل الشعر كوكبًا وسط هذا ... الليل تسفر ظلماؤه بالضياء

وهي التفاتة حاضرة في وجدان المقدِّم من خلال سيرة جده معه ومع

---

(١) كانوا على الدرب، محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي، مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٩٩٥م، ص ١٢.
(٢) كانوا على الدرب، ص ١٣.
(٣) كانوا على الدرب، ص ١٤.

أمه من قبله، قبل أن يتلفت إليها في نصوصه وأشعاره، مما يشير إلى ما بدأناه من حديث، ذلكم هو حضور الأنثى الابنة وامتدادها من بنين وبنات في حياة الأديب الشاعر الأستاذ محمد سعيد الخنيزي، وعلاقة متميّزة كان لها أثرها الإيجابي في حياة الطرفين، فكان لهن ولهم قلبًا نابضًا وحكمة بالغة وثقافة وشاعرية ومدرسة يتلقون فيها دروس الأدب والحياة على مدار الحياة، بينما كانوا هم عينًا يبصر بها ويدًا يصول بها ولسانًا ينطق به، وبارقةً تبعث الأمل والضياء في حياته، ليصمد في وجه العواصف المتوالية، وليعبّر عن ذلك بقوله[1]:

أنا في العواصف كالجبال   تكون للأحداث قبرا
أنا كالمراهم للجراح   أسيل فوق الجرح عطرا
والليل إن أرخى الظلام   طلعت في الظلماء بدرا
والصبر مفتاح الحياة   وما يطيق الناس صبرا

فلتبق العطر والبدر بين إخوتك وأبنائك وبناتك وأحفادك ومحبيك يا أبا علي.

واقبلها من ابن أخيك:

محمدأمين الشيخ سعيد أبوالمكارم

في ذكرى ميلاد الإمام الحسن عليه السلام

١٥/ ٩/ ١٤٤٣هـ

(١) كانوا على الدرب، ص ١٤.

٢

شمس لا يعوزها الأفق

شفيق العبادي

-١-

كثيرةٌ هي المنارات المنتصبةُ شواهد لمحطّاتٍ التقطَ فيها فارسُنا بين الفينة والأخرى أنفاسَ خطواته قبل أن يواصل الرحلة في دروبه المفضية لمدائن الحروف المعلقة بمشاجب الفتنة إلاَّ عَمَّن شاطره لذةَ السفر لما وراء المعنى. الذي وإن احتجب خلف غيوم المفردة فضحته أشعة اللغة الحبلى بأجنة المعاني والمفتوحة على مروحة الدلالات تاركا خلفه ما يشير إلى ظلٍّ استراح هنيئةً فلم يعد المكانُ بتولاً كما افتتح فضاءاته من قبل

-٢-

عندما أسفرتْ مغامرةُ الرحيل تلك حتى اللحظة عن اثني عشر سِفْرٍ تقريباً (حسب اعتقادي) موزعاً بين دواوين شعريةٍ وهو الغالب على هذه المغامرة الشيقة وبين كتب نثرية بعضها انطوت على أجزاء عدة لترتفع المحصلة النهائية عن أكثر مما رصدتُه سلفاً وإن كانت أكثر بكثير حسب المقاسات الإبداعية، منها دراسات أدبية تسلط الضوء على الجانب الآخر

لشخصية استثنائية استطاعت السباحة بعيداً في محيطات النفس البشرية من خلال مقاربتها الجوانية تاركاً لبراكين الإبداع أن تفيض بحممها الموشَّاة بمعادنها الثمينة. اسْتوقَفَتْ كثيرا المهتَمِّين والدارسين لحرث أراضيها البكر التي لم يطأها عابرُ سبيلٍ من قبل.

-٣-

لم أتفاجأ بحجم اشتغاله الإبداعي والذي تشاطر مع اهتمامات حياتيةٍ ومُصادَّات تناهبت شخصيةَ أستاذنا، كأحد الشهود اللذين اقتربوا من سدرة إبداعه راويا ومتنقلا وحاديا بقافلة الأصدقاء عبر جلسة استثنائية قبل اثني وثلاثين عاماً متمثلة (بجماعة منتدى الغدير الأدبي) ضمن سلسلة زياراتها لأعلام المنطقة ومفكريها. باستنطاق الشاعر والأديب الذي بداخله بأسئلة ممنهجة تارة والإصغاء لتداعيات شلال الذاكرة والسيرة الثرية تارات أخرى لنخرج جميعا بتساؤل واحد كيف يتسى لشخص أن يصب كل هذا التاريخ مستحضرا كامل تفاصيله دون أن تسقط من أغصانه زهرة واحدة وفي غضون ساعات ثلاث كانت كافية أن تمدنا بزوَّادةٍ لا زال طعم عبقها يضمخ ذاكرتنا رغم كل هذه المسافة التي تفصلنا عن ذلك اللقاء التاريخي.

-٤-

إنه الأستاذ الشاعر والأديب محمد سعيد الخنيزي، (الشمس) التي لم ولن يعوزها أفق. هكذا قرأتُه في عنوانه الأثير لأحد كتبه الشعرية (شمس بلا أفق) لكن بالصيغة التي أُخالُ أنه قصدها وبالمعنى الذي أراد تهريبه بعيدا

عن التناول العادي والمستهلك بممارسته لُعْبَةً أسلوبية لا يقدر عليها غير الكبار لا بقصد الإرباك ولكن بقصد امتلاك مزيد من الأشواط التي تعرب عن مقدرتهم الأصيلة والمتأصلة وعبر جدلية اللغة وأنفاقها التي لا تغري سوى المحمولين على أجنحة الشغف والكشف.

شفيق العبادي

كاتب وشاعر سعودي

٣

الأديب الملهم..
الأستاذ محمد سعيد الخنيزي

بقلم: محمد ميرزا الغانم

من شرفة المئة عام الشامخة، الضاربة جذورها في أعماق هذه الأرض المعطاءة، التي لم تزل تنجب الرجال العظماء الذين ينقشون آثارهم بكل عناية في صفحات تاريخ هذه الحضارة الممتدة منذ أن سكن أجدادهم بنو عبدالقيس هذه الأرض الطيبة، لا يزال الأديب والشاعر والباحث الأستاذ محمد سعيد الخنيزي يطل بخيوط شمسه الساطعة على بحورالأدب والمعرفة حيث لم تنل السنون العتية إلا من جسمه النحيل. وأما فكره وقلمه فقد اتشحا بوشاح العزيمة والإصرار وتحدي الصعاب من فقدان بعض من حاسة البصر ورحيل الزوجة وتقدم السن والمرض. فكأنه ذلك الفارس الفتي الذي تأبى بطولته الإنهزام والإستسلام أمام جحافل الشيخوخة العاتية.

على الرغم من رابطة النسب الوثيق بيني وبين الأستاذ الخنيزي، إلا أنني عرفته عن قرب قبل أكثر من عشر سنوات حينما شرفت بتقديم حفل مصغر لتكريمه آنذاك، حينها نفضت الغبار عما كنت أقتنيه من مؤلفاته ككتابه المعروف خيوط من الشمس وبعض من إصداراته المتعددة. كما سعيت

جاهدا إلى قراءة ما كتب عنه، حينها فقط استطعت أن أجمع بين الكاتب والمكتوب، فترجمت لي الكثير من المعاني الجميلة واتضحت أمامي الكثير من الصور الرائعة التي وقفت عليها سواء من خلال كتاباته الأدبية والتاريخية الرصينة أو من خلال شعره الممتليء رقة وعذوبة. لقد غمرني أبو علي خلال تلك الرحلة بعطف أبوي خاص رأيت فيه أروع صور دماثة الأخلاق وسمو النفس وسعة الصدر والحب الذي ينثره بصدق على كل من يتصل به.

قد لا يكون مستغرباً أن يصبح الأستاذ الخنيزي شاعراً مرهفاً وأديباً أريباً ولغوياً بارعاً فهو نجل الشيخ علي الخنيزي المعروف بالشيخ علي أبو حسن، ذلك العالم الكبير والمحقق البارع. حيث تربى في كنف والده وترعرع في بيت قائم على العلم والمطالعة ووفرة الكتب ومجالس البحث. ولكني أعتقد جازماً أن الإستعداد الشخصي للأستاذ الخنيزي وما امتلكه من عزيمة وإصرار واندفاع نحو العلم والمعرفة والكتابة والتأليف والنشر، ميزه عن أمثاله من أبناء العلماء، فهو لم يتكل على النسب والقربى وحسب، بل استثمر ذلك ليبني مجده بنفسه. إذ لو لم يكن ذو نظرة وهدف لما استطاع أن ينجز ما أنجز حتى وإن كان ابن الإمام الخنيزي رحمه الله.

إن الأستاذ الخنيزي حفظه الله وأمد في عمره ظاهرة ينبغي علينا ملاحظتها وقراءتها بدقة وتأني. شابٌ رحل عنه والده مبكراً، اضطر بعد ذلك للعمل ورعاية إخوانه الصغار وهو ما يتناسب مع ظروف تلك الحقبة من الزمن. على الرغم من ذلك كله كان مستمراً في التعلم والدراسة وبناء الذات. اتخذ الكتاب صديقا له لإدراكه بأن الكتاب يصنع المعجزات. لم يحصل على تعليم أكاديمي ولكنه اليوم في منزلة أدبية ومعرفية رفيعة تضاهي

كبار الأكاديميين بل أنه كظاهرة وتجربة يشكل مادة دسمة للدراسة والبحث.

لقد أجاد أبو علي استثمار وقته وجهده في النافع والمفيد. كما أنه أحسن التعامل مع صروف الزمان وتقلباته الصعبة. لم يسمح لتلك الشدائد والصعاب أن تكسره فجيرها لصالحه وصنع منها مصدر قوة لا سبب للانهزام والاستسلام. هو شخص إيجابي هادئ الطبع، جسد أروع صور للحياة كأحسن ما ينبغي أن يعيشها الإنسان فتميز وأبدع وحفر لنفسه نقشاً في ذاكرة الوطن تتذكره الأجيال وتقفو أثره. أسأل اللّٰه أن يحفظه ويطيل في عمره ويلبسه أجمل ثياب الصحة والعافية.

٤

مجالس الأستاذ الخنيزي

حسن علي صالح الزاير

كنت متردداً في المشاركة حتى ظن البعض انه ضرب من عدم الوفاء.

يود الكثير أن يطرق مسار العرفان والتكريم للأستاذ متخذاً كل جوانب الابداع الذي قدمه عبر قرن من الزمان مثل ذلك يحتاج الى تحليل ومراجعة موسوعية تارة في دنيا الشعر وأخرى في ضروب النثر ولن ينسى النقد الادبي، او شذرات من التاريخ الاجتماعي.

أنا في هذا الطرح اقتصر واختصر جانباً واحداً هو (مجالس الأستاذ الخنيزي) تاركاً التحليل والتفصيل ومراجعة الأبحاث والدراسات للآخرين بعضهم يتناول الشعر، وديوان الشعر يهواه الكثيرون. الكثير يردد الشعر ديوان العرب حتى لو زاحمه الكثير من فنون الادب والفكر ووسائل الإبداع بعضهم يتابع النقد، يقولون الناقد الماهر يعنى بإظهار جوانب القوة والضعف، يزيل الغبار عن خدود اللآلي، الناقد البارع ينتقي ويصنف إبداع وجمال اللؤلؤ. آخرون يتلمسون الهم الاجتماعي والوفاء للوطن ممثلًا في الأسرة أو المدينة والمنطقة والوطن. لأظن أن القارئ قد وقف على مذكرات

المفكر (مالك بن نبي) (مذكرات شاهد للقرن) ولم يفته (حديث الأربعاء) او (في الادب الجاهلي) للدكتور طه حسين، كل ذلك يعكس مراحل التعبير في الادب العربي. الكل قد اقتصر على تسلسل وذكرى النمو والتطور في الحياة. وقدم الدكتور طه حسين نماذج في الادب ترجم من خلالها التسلسل والنمو في الشعر والنثر، أما مالك بن نبي فقد قدَّم تسلسلًا للحداثة في العادات في مجتمعه ولم ينسَ حتى بيوت الضيافة في مشارف المدينة وفي منافذ الصحراء. لم يقصد أحدهما الشمولية في الطرح نثراً أو شعراً ولا شرح قصيدة ولا نص محدد عن أشخاص أو مواقع، ولكن كان إبداعهما يرسم تسلسل الإبداع والتطور والعطاء، لقد تركا للآخرين متسعاً من التحليل والمتابعة واستشراف الواقع الاجتماعي.

وهذه المشاركة تتلمس فقط ما دار في مجلس الأستاذ الخنيزي وقد أكون مقصرا لو فاتني التفصيل في جوانب من فنون المعرفة. تتبع عشرات السنين يتطلب الكثير من الدقة في استرجاع ما رواه الآخرون ممن حضر تلك المجالس وتقديم الإبداع الذي قدمه الأستاذ الخنيزي. نحن محاصرون ممن يظن أننا بصدد كتابة تاريخ أو رسم وثيقة.

هذا المقدم في هذا الاختصار ليس تاريخاً باليوم والشهر والسنة ولكنه انصهار ومعالجة لاحداث مرت على عشرات السنين ساهم في ابداعها وعطائها استاذنا الخنيزي.

هذه صورة قصيرة عن إبداعه ومساهمته في خدمة المجتمع والوفاء للوطن عبر مجالس عامرة بالحب والإخلاص للمجتمع.

مجلس القلعة

في حي (الزريب) شمال القلعة يقع اكبر بيتين هما بيت حاج عبدالله اخوان (أبو منصور) وبيت الخنيزي (بيت الشيخ علي أبو الحسن الخنيزي) بيت الخنيزي قسم الى بيوت متلاصقة منها بيت (الشيخ عبدالحميد الخطي) ومجلس الشيخ عبدالحميد اكبرها ويضم اخوانه ومنهم الأستاذ محمد سعيد الخنيزي. عمل الأستاذ الخنيزي مرتبط بالوكالات والمحاماة الا انه ظل تلميذاً وفياً لوالده المجتهد الكبير (الشيخ علي أبو الحسن الخنيزي). كان استاذاً وموجهاً في علوم اللغة والمنطق والفقه والأصول وظل الأستاذ الخنيزي تلميذاً وصديقاً لأخيه الأكبر في دنيا الادب والشعر.

فترة الأربعينات والخمسينات عامرة بالمدارس الأدبية في مصر شعراً مثل علي محمود طه والشاعر إبراهيم ناجي، وفي لبنان مدرسة المهجر وفي مقدمتهم إيليا أبو ماضي، وميخائيل نعيمة، وامين الريحاني، وجبران خليل جبران. وشعراء العراق وفي المقدمة معروف الرصافي، محمد رضا الشبيبي، وجميل صدق الزهاوي، ومحمد مهدي الجواهري، ولعل شعراء القرن الرابع المتنبي والبحتري وابوتمام لهم الأثر الأكبر على عطاء معظم الشعراء في القرن العشرين. وطالما دار صراع بين الشاعر الخنيزي وشعراء آخرين حول الشريف الرضي ورأي الدكتور زكي المبارك ومراجعاته ومحاضراته التي ألقاها في كلية الحقوق جامعة بغداد في الثلاثينيات الميلادية. كان الأستاذ الخنيزي يدرس ويراجع عطاء الكثير من فحول الشعراء والأدباء قبل أن يستقل بعطائه وتكتمل تجاربه التي ساهمت في بلورة الديوان الحديث لأدباء المملكة العربية السعودية. مجلس القلعة هو الأرض الخصب الذي نمت

عليها وفيها الكثير من الشعراء والعلماء. كان مجلساً يضم الكثير من الشعراء والعلماء. كان مجلس القيادة العلمية المنظمة في الفكر والأدب بعيداً عن الارتجال وهروباً من الصور أو الديباجة القديمة. وكان مجلس القلعة عامراً بأبناء المجتمع الذي يتفاعل مع المدارس الحديثة في الادب ومع ميلاد النمو والتطور الذي تشهده مملكتنا الحبيبة. ولم يكن الشاعر الخنيزي نسخة من شعراء مصر ولا شعراء المهجر أو العراق ولكن اتخذ له مساراً مستقلًّا ترجمه وسار عليه في ديوانه الأول (النغم الجريح) وما تلاه من دواوين ولقد اقترحت عليه ان الزمن قد حان في إصدار (المجموعة الكاملة)لشعره كما صدر من دار العودة وغيرها لشعراء آخرين في المملكة العربية السعودية، ولبنان، والعراق، والكثير من الدول العربية. المجموعة الكاملة تساعد في لمِّ الشتات وتساعد الدارسين والمراجعين إلى مصدر متكامل للمراجعة والتحليل.

مجاس البستان:

في السبعينات الميلادية انتقل الاستاذ الخنيزي الى بيته في منطقة (البستان) وظل منزله عامراً بالشعراء والادباء والعلماء واعيان البلاد. يترأس المجلس يومياً أخوه الشيخ عبدالحميد الخطي. في دنيا الأدب والشعر ظل الشيخ الخطي محل إكبار الجميع. ولو كان الشيخ مقلًّا في شعره ونشر الكثير عنه بعد وفاته إلَّا أن الهم الوطني والاجتماعي وجسامة المسؤولية تبعده عن الشعراء، وإن كان عطاؤه الشعري يمثل اكتمال النضج الفني يباركه الادباء في الوطن العربي ويعطي النضج والتطور في الإنتاج الأدبي لدى الجيل الجديد للملكة العربية السعودية. ظل الأستاذ الخنيزي وفياً وصديقاً لأخيه الشاعر الخطي وبقي مجلسه موقعاً يتوافد عليه ابناء المجتمع ويتزاحم عليه

اعيان البلاد ولقد وجد كلاً منهم اليد الكريمة والاحترام والتوجيه والرعاية من الاستاذ الخنيزي يحضر مجلس الشعراء مثل الشيخ عبدالحميد الخطي والشاعر عبدالله الجشي والشاعر عدنان العوامي والشاعر محمد رضي الشماسي واجيال من الشباب الشعراء من مختلف مدن وقرى القطيف والكثير من شعراء وادباء المملكة العربية السعودية والوافدين من دول عربية أخرى لمشاركة الندوات والمؤتمرات التي تعقد في البلاد. ولقد مثل المملكة في بعض تلك المحافل الأدبية، بقي مجلسه قبلة للعلماء والشعراء ورجال الفكر يقصدونه من كل مكان، وهنا توسع اهتمامه وابداعه ليشمل النقد والقصة والراوية وكلما وصل الى مراحل متقدمة من الابداع والتقييم الادبي ومراجعة الفكر على اختلاف مشاربه ومدارسه. اصبح انتاجه الادبي يميل الى التحليل والدراسات والمراجعات الفكرية ولقد حدا بالباحثين والمهتمين بالمراجعة والدراسات الإبداعية ورسائل الماجستير والدكتوراه يقصدونه للبحث ولاسترجاع المعلومات وتحليل البيانات الأدبية ولقد ورد إبداعه في دراسات عديدة واهتمام معروف في الكليات المتخصصة لقد شارك في المهرجانات الأدبية في البلاد وفي المسار الأدبي والتحليل الفني أصبحت الراوية زاوية من اهتمامه. لقد وقف على عطاء الروائي كرم ملحم كرم، ونجيب محفوظ ، وتوفيق الحكيم ، والطيب صالح ، ويوسف إدريس، لقد بارك الإبداع الفكري والفني بمختلف الأساليب والصور ورعاه بالتقدير والمعالجة الفنية.

مجلس حي الحسين:

انتقل الأستاذ إلى بيته في حي الحسين في فترة ١٤٠٠هـ.

بقي مجلسه المكان الأمثل ولفترة يتقدمه القائد الأستاذ الشيخ

عبدالحميد الخطي يحضر المجلس رجال العلم والتجارة والادباء والشباب على اختلاف تخصصاتهم و مصادرهم الاكاديمية.

كان يتقبل كل الاعمار والألوان والعيون والمشارب و الاهتمامات كان صدره عامراً باحترام وتقدير الجميع

اذكر ان ليالي شهر رمضان المبارك كانت عامرة بالحوار والمراجعات العلمية والأدبية. لا انسى اجتماعاتنا مع الأستاذ محمد رضا نصر الله والأستاذ احمد علي أبو السعود رحمه الله وكان المرحوم احمد علي أبو السعود أكثرنا دراية وادق في مراجعاته، السبب انه كان يذاكر ويقرأ قبل النقاش والمراجعة بالنسبة للأستاذ احمد لم يكن فقط نقاشاً عفوياً دائما. هو اثبات انه على دراية ومعرفة عن كل نقطة تطرح وكان الأستاذ الخنيزي يشجعه ويحترمه ويأنس لمطارحاته بإحضار بعض المصادر الأدبية للمراجعة وفي هذا البيت كانت مراجعة الأستاذ الخنيزي لأدب الرواية.

اما في الحوار والنقد لشعر أبو الطيب المتنبي فكثيراً يتداخل النقاش بقيادة الشيخ عبدالحميد الخطي ومشاركة الأستاذ الشاعر عبداللّٰه الجشي. وكلما كان هناك اختلاف وصراع بينهم كان الحضور أكثر متعة ومعرفة بشروط النقد وأدب الاختلاف وتباعد الآراء. كانت دروساً في النقد الادبي وأسس وفروع اللغة العربية.

هذه جوانب من إبداع الأستاذ الخنيزي وأبعاد استثمار مجلسه في مراجعة الدراسات وفنون الشعراء الادب العربي. تلك المجالس لم تشغله من أهداف كبرى أكثر أهمية وهي التفاني والاهتمام بتربية أولاده. لقد التزم في تربية الأجيال وتسلحهم بالعلم الحديث. الهندسة والطب واسس التربية

والتعليم كلها الصوره الحقيقية للتفاني في تربية الأجيال وخدمة الوطن. الاهتمام بالأدب والشعر والنقد القديم والحديث هو مظهر من اهتمام الأديب والمفكر ولكن عصرنا ومجتمعنا في مراحل حضارية تعنى بالعلوم الحديثة والتكنولوجيا. الوطن في حاجة إلى قدرات تساهم مع إخوانهم في تطوير وتنمية البلاد اقتصاديًّا وعلى معرفة ودراية بالأسس الحديثة للتكنولوجيا.هذا ما عرفه الأستاذ الخنيزي ولقد اعتبره مشروعاً أساسيًّا في التربية وقد وفق في تربيته أولاده للسير والوفاء لشروط التنمية والبناء التي رسمت في البلاد وجرى تطبيقها على أسس ومراحل علمية يباركها الوطن ويشهد لها العالم. اعتقد ان مشروع اعداد وتربية وتنمية أولاده على مناهج العلم الحديث يعتبر مشروعاً أساسيًّا يزاحم مشاريعه في الإبداع الأدبي شعراً ونثراً.

ولقد حقق حلمه وطموحه في تأسيس مجلس الشيخ علي أبو الحسن الخنيزي.

أسس المجلس براً بوالده عام ١٤٣٥. المشروع يحتاج إلى تمويل وتخطيط كبير وأظنه استنفذ جل ماحصل عليه خلال عشرات السنين.

سيظل هذا الصرح مركزاً متقدماً لذكرى آل البيت وموقعاً علمياً للدراسات والمراجعات والأبحاث

هنا يكون الأستاذ الخنيزي قد راجع وسبر قواعد الشعر والنثر والنقد الادبي- وبنى جيلاً من الأبناء على دراية ومتابعة للمسارات الحديثة في الهندسة والطب والتعليم والفروع الحديثة في الإدارة ليساهم الأبناء في خدمة الوطن وتنمية المشاريع الوطنية. ولقد سعى صاحبنا الأستاذ محمد سعيد الخنيزي في تأسيس مجلس الشيخ علي أبو الحسن الخنيزي وفاءً

لوالده ودعامة للمعرفة والعلوم والثقافات حاضراً ومستقبلاً.

هذا مختصر لعطاء الأستاذ عبر قرن من الزمان الشعر والأدب والنثر الأدبي، في جانب الدراسات والمراجعات في جوانب تربية الأسرة وتسليحها بالعلم والمعرفة واستشراف واهتمام المستقبل عبر صرح فكري هو (مجلس الشيخ علي أبو الحسن الخنيزي).

حسن علي صالح الزاير

١٥/ ١٠/ ١٤٤٣هـ

١٦/ ٥/ ٢٠٢٢

٥

المدرسة الأدبيّة في بيت شيخ الشعراء

سماحة العلامة السيد منير الخباز

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

والصلاة على رسول الله وآله الطاهرين

في حفل تكريم شيخ الشعراء أبي علي أتناول أفقًا مشرقًا من آفاق شخصيته الأدبية، وهو الثروة الثقافية الأدبية في مجلسه العامر.

لقد بدأت علاقتي الفكرية بمجلس (النغم الجريح) في الثالثة عشر من عمري عام ١٩٧٨م في بداية مسيرتي الثقافية الأدبية، فكان أول لقاء بالأستاذ في مجلسه الأنيق لقاءَ المشاعر الوالهة في رحاب لوعة أبياته الباكية:

اِنْظُرُوا النَّعْشَ فَفِيهِ سِرُّ آيَاتٍ عِجَابْ

هَذِهِ زَهْرَةُ (حُسْنٍ) لَمْ تُمَتَّعْ بِالشَّبَابْ

ورحاب مرثيته للمرحوم الجد العلّامة العمران:

هَـبَّ مِـنْ نَوْمِهِ وَفِـي أَجْفَانِهْ بُقْيَةٌ مِـنْ حَيَاتِهْ فِـي دِنَـانِـهِ

سَكَبَ المَاءَ لِلطَّهُورِ وَلَكِنْ كَانَ رُوحًا تَجْرِي عَلَى جَرَيَانِهْ

ولقد رسمتُ هذه الصورة لعبقريته الإبداعية في أرجوزتي (أجمل الأراجيز في تاريخ الوطن العزيز) فقلتُ:

وَلِلْخُنَيْزِي نَغَمٌ جَرِيْحُ طَيْرٌ بِشَاطِئِ الهَوَى ذَبِيْحُ
شِرْيَانُهُ يَنْبِضُ بِالغَرَامِ لَكِنَّهُ مُهَشَّمُ الأَحْلامِ
يَبْكِي لِنَعْشٍ ضَمَّ زَهْرَةَ الرُّبَى زَهْرَةَ حُسْنٍ لَمْ تُمَتَّعْ بِالصِّبَا
حُرُوفُهُ رَقِيْقَةُ الإِيْقَاعِ طُيُوفُهُ رَائِعَةُ الإِبْدَاعِ

لقد غمرتني السعادة حين حظيتُ بالانتماء لدارة الأدب القطيفي مجلس أبي علي، فكنتُ أطمح حينها أن أكون شاعرًا متألّقًا كأحد روّاد الكلمة في ذلك المحفل، وفي طليعتهم العلّامة الخطي، وشيخ الشعراء أبو علي، والشاعر الكبير أبو رياض، والشاعر الفنّان أبو نزار، والخطيب المفوّه الشيخ علي الطويل، مع إطلالةٍ جميلةٍ لكوكبةٍ من الأدباء أحيانًا، كالأديب محمد سعيد المسلم، والأديب السيد حسن العوامي، والشاعر المبدع السيد عدنان العوامي، والأستاذ الشاعر محمد رضي الشماسي، رحم الله من مضى وحفظ الرحمن من بقي.

وبفترةٍ وجيزةٍ اختارني الأستاذ أبو علي أن أكون الصادحَ في المحفل بقراءة الشعر، شعر شوقي، والأخطل الصغير، وأبي ريشة، وبدوي الجبل، والجواهري، وإبراهيم ناجي، وفدوى طوقان، ونازك الملائك، ونزار قباني؛ لحسن أسلوبي في تلاوة الشعر وجودة إتقاني للقواعد النحوية، كما رشّحني للمنبر المرموق في الحسينية في (الزريب) بديلًا للخطيب المرحوم الشيخ عبد الكريم الحمود وأنا في السادسة عشر، فأغدق فضلًا على فضلٍ في رعايته الأبويّة.

نعم، كان مجلسه الزاهر دارة جمالٍ في الفكر والشعر والنثر، سخية الرفد، دافقة النبع، تسترعي القراءة التحليلية الناقدة من خلال عدّة معالم:

المعلم الأوّل: إنّها الأفق الرحب لتنمية الذائقة الأدبية في القلب الموهوب، وإيقاظ الحسّ الفني في الروح الظامئة لاستنشاق النفس الأدبي البديع، من خلال الإشارات الناقدة للعلّامة الخطي، ورقيق الشعر المتدفّق في ذاكرة شيخ الشعراء أبي علي، وتقويم هذه الصفوة من الروّاد للتفعيلة القطيفية الفتية الواعدة حينها في شعر الأستاذ وجدي محروس المحروس، وأدب السيد سعيد السيد أحمد العوامي، والأستاذ محمد توفيق، رحمهم الله جميعًا.

المعلم الثاني: إنَّ من أجمل مباهج تلك الحديقة الأدبية جريان نبعٍ من المعين اللغوي الغزير بين شجيراتها من خلال منهج تعليمي حرص عليه روّادُها، وهو البحث والمتابعة الدقيقة لمعرفة جذر أي كلمة لغوية ترد في شعر المتنبي أو ابن زيدون أو شوقي، بقراءة قديم كتب اللغة من العين والقاموس ومفردات الراغب، وحديثها كالمنجد والرائد، ممّا يسهم في بناء الشاعر من حيث ثروة الكلمات ورصانة الأسلوب.

المعلم الثالث: إنَّ من أبرز روافد المحفل المعطاء قراءة الكتب والمقالات الأدبية من زاوية نافذة التاريخ، فقد كان الأستاذ شيخ الشعراء -وما زال- شغوفًا بمعرفة طرائف التاريخ، ودراسة ألوان الصراع المرير الكامن وراء كثير من المعلّقات في الشعر الجاهلي، والأحداث التاريخية التي أسهمت في ولادة عيون الشعر العربي، وطالما كان يكرّر أنَّ أسرار الشعر ليست في عذوبته بل في تاريخه، وتاريخ الشعر لا يقل أهمّيةً عن قراءة

الشعر نفسه، فالشعر ابن أبوَيْن -الطبيعة والتاريخ- كما قال أمير الشعراء أحمد شوقي.

وكما كانت مجالسه ونواديه مَعْلَمَ أدبٍ ومنارةَ ثقافةٍ، فقد كان الأب الشيخ أبو علي أستاذًا ملهمًا للجيل الصاعد قبل ٥٠ سنة، بقلبه الكبير الرؤوم، وإحساسه المملوء أدبًا وذوقًا وفنًّا، وكلماته المتوفّرة على بثّ روح التحفيز والتشجيع للقافية المتبرعمة حينها، ونثر الأقلام الواعدة، مع صراحةٍ أبويّةٍ في النقد والتقويم، خالية من المجاملة، كصراحته في طرح آرائه في السياسة والمجتمع ونقد الشخصيات بعفويّةٍ ونبلٍ، والمواقف عديدةٌ والذكريات الجميلة متنوّعةٌ، أدعُ سردَها لمناسباتٍ أخرى.

حفظ الله أستاذنا وشاعرنا أبا علي في خيرٍ وعافيةٍ، والحمد لله ربّ العالمين.

السيد منير الخبّاز

٦

شيخ الشعراء.. محمد سعيد الخنيزي

محمد الحرز

الأديب محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي، الذي قاربت حياته على قرن من الزمن، فهو المولود عام ١٩٢٥م.

ولا شك فهو من الشخصيات البارزة في الأدب والشعر والثقافة والتاريخ في مدينته القطيف، وفي وطننا الغالي والخليج، وهو أيضا من الجيل الشعري الذي ناضل وكافح شظف العيش، وصعوبة الحياة، ومرارة الأيام، ورغم ذلك، فقد سطر هؤلاء أروع الأمثلة في السعي والمثابرة في تحقيق الذات عن طريق الإبداع والكتابة والرغبة في التزود بالعلم، لذلك ساهموا في ترسيخ الأدب في السعودية، وفي ترسيخ مؤسساتها، والتأثير على أجيال لاحقة بنتاجهم الأدبي وثقافتهم المتنورة كالشاعر حمزة شحاتة، محمد سعيد العمودي، عبدالله بن خميس، طاهر زمخشري... إلخ، وبالطبع شيخنا وأديبنا محمد سعيد الخنيزي هو من المساهمين أيضا في ترسيخ هذا الأدب وتجديده، رغم معاناته مع المرض الذي ذهب ببصره وهو في سن السادسة من عمره.

لكن شغفه بالمعرفة ورعاية والده له، جعل من التحدي والصبر عنوانا

له في حياته، فلم يكن المرض يمثل عائقا له، وإن كان قد ترك في نفسه حسرة ومرارة لم يستطع صرفها إلا من خلال الكتابة، خصوصا الشعر.

كنت أتصفح بعض نتاجه المطبوع، الذي تفضل بإهدائه لي كلٌّ من الأخ عصام الشماسي والأخ محمد أبو المكارم، ثم أخذتني عوالمه الإبداعية المتنوعة، وكان السؤال الذي يشغل بالي أثناء تصفحه ومن ثم قراءته هو: إذا كانت حياة مبدع بهذا العمر المديد، كشاهد على تحولات اجتماعية وأدبية وحوادث كبرى، فلابد أن تكون حياته ذاكرة تاريخية، لا غنى عنها للأجيال اللاحقة وعن أهميتها من باب التواصل ومن باب معرفة الجذور الاجتماعية والثقافية والتاريخية للإبداع ذاته، فلماذا غابت عنا كجيل مثل هذه الذاكرة، ولماذا لم يتسن لنا أن نقف على أبرز معالمها؟

قد يكون صحيحا أن الأديب محمد سعيد الخنيزي كان مجلسه عامرا بالأدباء والمثقفين والعلماء، وكان طيلة عقود ثمانية لم ينقطع مجلسه، ولم يتوقف، وكان يعد من أبرز المجالس المؤثرة في المنطقة، وهذا الأمر مما يتيح تبادل التأثير والتأثر بين الأجيال، في شتى صنوف المعرفة، فالمجالس والصالونات الأدبية على غرار الصالونات الكبرى في مصر والشام والعراق كانت مراكز للتنوير وإشاعة المعرفة.

وصحيح أيضًا أن هذه المجالس تتيح من خلال الممارسة الشفوية تبادل الخبرات بين الحضور، ومن أجيال متعددة، إلا أن الخبرات الشفوية سرعان ما تتلاشى وتذهب للنسيان، إذا لم يكن هناك توثيق أو أرشيف مكتبي قائم على تحويل ما هو شفوي في حياة المبدع أو الكاتب إلى مكتبة فيها فضاء من الدرس الأدبي بجانب الاجتماعي والتاريخي والثقافي.

ما الذي يدعوني أقول هذا الكلام؟

لقد لفت انتباهي من بين نتاجه سيرته الذاتية، التي عنونها «خيوط من الشمس، قصة وتاريخ»، والتي جاءت في مجلدين، وإن كنت لست متخصصا في السيرة الذاتية، إلا أن أولى الملاحظات التي تصادفها وأنت تقرأ السيرة ميله إلى تأريخ المجتمع القطيفي: عاداته وتقاليده وطرق تعليمه والسبل التي كان يتطلبها في عيشه وأبرز المحلات والأماكن والعلاقات، التي كانت تقوم بين الأسر... إلخ، فيما هو في نفس الوقت يسرد محطات مهمة في حياته الأسرية والعلمية والاجتماعية.

ورغم بساطة السرد والتناول السهل للأحداث إلا أن الانطباع، الذي تخرج به، هو قدرة الذاكرة في السيرة على رصد الأحداث وكتابتها حتى إن كانت بطريقة شفوية.

أليس على الجيل الحالي من أبناء المنطقة أن يلتفت إلى هذا السارد ببصيرته الشفوية كي يتم تحويله إلى مكتبة، ويكون هم الساردون لها بالتأمل والكتابة؟

٧

الشاعر محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي

فؤاد جميل الجشي

«في البدء كانت الكلمة». وقبل الخليقة على هذه الأرض تعالت الكلمة في الملكوت في حوار رباني مع الملائكة. عُلِّم آدمُ الأسماءَ ليوظِّفها في الكلام، وصاغت الكلمةُ أشعارَ العرب تحفةً فنيةً فريدةً تتطلَّع إليها الآداب جميعُها على أنَّها واسطة العقد في عالم الشعر.

ليستِ الكلمةُ وِحدةً صوتيةً فحسب! الكلمة بمستوياتها الدلالية تأخذ بألبابنا وتجيء بها كيف شاءت. تلوِّن المعانيَ المتعددةَ، وتصنع أساليبها المختلفة التي تعكس الانفعال الداخلي للقائل، كما تتلاقى مع روافد ثقافته المكتسبة (الفكرية، الاجتماعية، الدينية، السياسية، الأدبية).

هذه الكلمة التي تتسع في مفهومها المعنوي -إضافةً إلى المادي- تكون رسولًا في عملية التفاعل بين المرسل والمتلقي. تتجاوز وظيفتها الصوتية إلى كيانٍ أعمقَ وأغنى؛ يكون مشحونًا بذاتية المتلقي المتمثلة باختياره للكلمات التي تعبر عن حالته الشعورية، وتكتنف رسائلَه اللا نصِّيَّة. حتى تصلَ إلى المتلقي أصوات ومشاعر ومكنونات نفسية تجعله يتشارك مع المرسل (الشاعر، الكاتب، القائل) حالاته الانفعالية؛ فيسمع بأذنه، ويرى

بعينه، ويعيش نبضَه المتمثلَ في حرفه؛ سواءً رسمه زهرًا تعبق الروح بشذاه، أو شوكًا يؤلم شغاف القلب.

التجلي الأسمى للتجربة الكلامية يتمثل في الأدب عمومًا، وعلى الخصوص الشعر؛ ذلك لتميز الشعر عن غيره من الأجناس الأدبية باشتماله على الموسيقى واللغة واللون والحركة؛ فهو تركيب مزجي من فنون عدة وألوان فكرية تكاد لا تنتهي.

الشعر العربي الممتد في أصوله، المتجذِّر في الثقافة العربية والإسلامية كان وما زال يفيض إبداعًا وتألقًا على أيدي مبدعي العرب من مختلف العصور.

لم تصدق مزاعم عنترة! فالشعراء لم يقولوا كل ما يمكن أن يقال بالطريقة المبتكرة التي تناول فيها شعراء العصر الحديث الموضوعات الشعرية. فإذا ما تناولنا أعمال الشاعر الأديب المفكر محمد سعيد الخنيزي وقعنا على شعرٍ رقيقٍ تطربُ به الروحُ، وتَطِيْبُ به النفسُ، بعيد عن شعر العلماء وثقله على المسمع، يدنو من الشعر الذي يحاكي خفة ورهافة سَجيَّة الشعر لا التطبع؛ فشاعرنا على الرغم من إحاطته بالعلوم الشرعية والفكرية والفلسفية، وعمله في المحاماة التي تتطلب جهدًا عقليًا تغيب به العاطفة، نجده من رواد المدرسة الرومانسية ذات الرؤية التي تقول: «إنَّ الشعرَ وجدانٌ».

وأول ما تطالعنا ملامح الرومانسية في العنوانات التي اختارها لأعماله: النغم الجريح، شيء اسمه الحب، شمس بلا أفق، مدينة الدراري، كانوا على الدرب، خيوط من الشمس، تهاويل عبقر، أجراس حزينة، أوراق متناثرة.

هذه العنوانات التي تحاكي المشاعر الإنسانية، وترمي إلى العزلة عن

الواقع المؤلم، ونجد الشاعر فيها ينشد في الطبيعة السلوى والراحة من أعباء حياةٍ لا ترغبُ أن تُغْدِقَ عليه أسبابَ الهناءةِ؛ فوفاة والده -وهو لا يزال يافعًا- تركت ألمًا يقد فراشه. لا سيما وأبوه هو الذي وضعه على الخطوة الأولى في طريقه، ودفع به لولوج الوسط الأدبي؛ فمهَّد له طريق الأدب بأن أدخله الكُتَّاب؛ وهو المكان الذي يعبق برائحة الكتب القديمة، وتتردد فيه أصوات الشيوخ القدامى، وتجد أينما وجَّهت وجهك فيه سكينةً منبعثةً من صوت ترتيل القرآن في زواياه. مكانٌ تهرب فيه الروح من ضجيج الحياة وصخبها إلى مناجاة الله وطمأنينة النفس، يبعث في النفس الهدوء الذي ترنو إليه المدرسة الرومانسية في الأدب؛ فنجد الخنيزي بذلك قد خَبِرَ معنى عزلة النفس وانشغالها بصوت القرآن وطمأنينة الروح في الحياة قبل أن تصبح العزلة لديه وليدة التوجه الأدبي.

ولم يكن تعليم الخنيزي تعليمًا تقليديًا فحسب؛ وإنما وضعه الأب الشيخ المعطاء أمام أمهات الكتب في علوم الشريعة واللغة العربية؛ لينهل منها ما رَجِيَ أنْ يروي ظمأه للمعرفة؛ غير أنَّ المعرفة نبعٌ عذبٌ كلَّما نَهلْتَ منه ازددتَ ظمأً إلى مزيدٍ من الرِّيِّ.

ولمَّا أراد الخنيزي الإنسان والمفكر والشاعر أن يوظِّف خبرته في العلوم الشرعية والدراسات الفكرية ارتأى بدايةً جديدةً تكون في المرافعة عن القضايا ومزاولة مهنة المحاماة. وهي مهنةٌ قد تُوْهِمُنا بُعْدها عن مجال الشعر في كونها تحاكي العقل والمنطق، ولا تقوم إلا بالجمع والاستنباط والتحليل والتركيب؛ غير أنَّها مهنةٌ تتلاقى مع الشعر في كونهما (الشعر، المحاماة) ضمن محور العلوم الإنسانية؛ فمهنة المحاماة تقوم على أهدافٍ

إنسانيةٍ نبيلةٍ؛ من الشعور بآلام الآخرين، والتعاطف معهم، ومحاولة الذود عنهم ضد الظلم.

هذه المزاولة لمهنة المحاماة من قبل الخنيزي لا بد وقد أطلعته على حكاياتٍ مؤلمةٍ ولَّدتْ في بواطنه شعورًا بالميل إلى البعد عن الحياة المؤلمة وصخب الظلم فيها، واللَّوذ بحمى الشعر الذي يمنحه حريةً في التعبير عن النَّفس، وارتباطًا بالطبيعة التي تخفف من ألم حياةٍ رتيبةٍ تقتلها المشاغل، بالإضافة إلى أنَّه في محراب الشعر يلوذ بمساحةٍ ذاتيةٍ تعزز تجربته الشعرية بإنصاته لصوت ذاته ودمج آلامه في الآلام الإنسانية؛ فتبوح نفس الشاعر المترددة في خلده بآلام الإنسانية وأحزانها بلَبُوسٍ فنيٍّ جميلٍ، بحزنٍ فنيٍّ جماليٍّ تميل له النفسُ، وتَأْنَسُ له المسامعُ.

لم يتوقف تأثر الشاعر الخنيزي عند المدرسة الرومانسية فحسب؛ وإنَّما نجده قد شارك شعراءَ المهجر رؤاهم الأدبية؛ فكانت موسيقاه الشعرية فيها من تجديد شعراء المهجر في الوزن، مهتمًا بالحجر الأساس في الشعر ألا وهو «العاطفة» دون أن يخرج عن الأوزان الخليلية خروجًا سافرًا.

الشاعر الخنيزي بلغته الأصيلة، وحسِّه الرومانسي، وغنائه آلامَه الذاتية، وطرحه لتجاربه الحياتية العميقة؛ يضعنا أمام دواوين شعرية لها بصمتها الخاصة في عالم الشعر؛ ليكون رائدًا من رواد القطيف والمملكة في الحركة الأدبية، وشاعرًا متميزًا حافظ على أصالة القديم في لغته وموسيقاه الشعرية، وواكب المدارس الأدبية في الشعر العربي الحديث.

فكان بحق نموذجًا يفخر به الشعرُ، وتفتح تجربته آفاقًا جديدةً لرواد الأدب ودارسيه.

٨

الألم وتجلياته في شعر محمد سعيد الخنيزي

صالح مهدي الخنيزي

إن أول ما يتبادر إلى أذهاننا عند التطرق لشعراء الربع الأول من القرن العشرين في الجزء الشرقي من وطننا الغالي، هي المدرسة الرومانسية وأثرها الذي خلفته في طريقة تعبير الشعراء عن مشاعرهم. ومن المتعارف عليه احتفاء الشعراء الرومانسيين بالطبيعة واعتمادهم عليها كمنبع إلهام لا ينضب؛ وذلك لما اتسمت به أرضنا من واحات غناء وعيون نباعة وسواحل ممهورة بالزرقة، إذ كان كل ذلك مرآة للشعراء يتباهون بمفرداتها وصورها وتغاريد طيورها ويخطونها ملاحما وأهازيج.

هذا ما وجدته لدى شعراء من تلك الفترة، ممن آثروا نبرة الفرح على الحزن وهم، على سبيل المثال لا الحصر، عبد الله الجشي والسيد عدنان العوامي ومحمد سعيد المسلم. ولكن ثمة شاعر مجايل لهما، انتهج الكتابة بأسلوب مغاير، يطغى عليه الألم والمعاناة، وذلك بسبب شظف العيش، بالإضافة إلى مرض أصاب عينه مذ كان طفلا، فتجلى ذلك تجليا واضحا في قصائده، وبالأخص في مجموعته الشعرية «النغم الجريح»، وهو الشاعر محمد سعيد الخنيزي. فكيف انعكست تلك المعاناة على شعره، وجعلته

يجترح معان وصور مغايرة عمّن سواه من شعراء تلك المرحلة؟

سأحاول الاقتراب من صورة الألم التي حرمت الشاعر من نعمة البصر وفي الكيفية التي وظفها في قصائده على عدة مستويات.

يتمثل المستوى الأول في البحث عن بصيص نور أو أمل يخفف وطأة الظلام. كما ورد في مناجاة الشاعر محبوبته في قصيدة أشواق: «أنا منها كظامئ الجفن للنور؛ ولكنه وراء السحاب». كما يتجلى بصورة أوضح في قصيدة «إليها»، في رسمه صورا متعددة، إما أن تكون فيها المحبوبة مصدرًا للنور:

حين كنا وأنت نور بجفني ومعين بقلبي الظمآنِ

أو أن المتحدث في النص هو من يستحيل نورا، كقوله:

لا تخافي من وحشة الموت إني أتجلىّ في الفجر.. في الأقحوان..!

وفي ختام القصيدة نفسها أيضًا:

غالطي النفس ثمّ قولي «إليها»: هو حيّ يرعى النجوم الدواني

ويرد الأسلوب ذاته وإن كان بنبرة يتسلل إليها اليأس في قصيدة «إلى نفسي»:

أنتَ-لولا الحياة-كنتَ مع الفجر شعاعًا، ونسمة في الزهور
ومتى ينجلي الظلام عن العين فتفترّ مشرقات البدور؟

وتتَّخذ الصور في المستوى الثاني بعدا واحدا من الألم، إما في هيئة ألم دفين لا مفر منه، ويظهر ذلك في قصيدة «النغم المجرّح»:

منبع اليأس والشقاء: عيوني فعيوني مستودع الآلام

أو في صور لا تفضي سوى إلى الفناء، كما في قصيدة «ضحية القدر»:

نـــام الـــظـــلام بـمـقـلـتـي كالصيف في جفن الزهور

وفي قصيدة «العود الصامت»:

«متّ يا عود! في الربيع وقد كنت بـريـق الحياة فـي الأحــداق

وفي قصيدة «إليها»:

وتحولّتُ هامد الحس كالأحجار غــاب الشعاع مـن أجفاني!

وفي قصيدة «النغم المجرّح» مجدَّدًا:

مات لون الحياة في جفني الظامي إلــى منظر الـربـيـع السابي

ويلاحظ أنّ الطبيعة في هذا المستوى لا تمثل دورها المعتاد في كونها سرًّا جماليًّا ينهل منه الشاعر، وإنما هي طريق مآله الفناء، كما في تشبيه المتحدث «نوم الظلام بمقلته بالصيف الذي يخطف حياة الزهور»، وكذلك في موت العود في فصل الربيع، وهو فصل لطالما تغنى به الشعراء.

وأما المستوى الثالث والأخير، فتشكل الصورة فيه بُعدًا مركَّبًا، فالألم لا يشبه صور وتراكيب المستوى الثاني، بل هو إغراق في اليأس والظلام والسوداوية. يقول الشاعر في قصيدة «حيرة»،

أنــا يـا مـي واطــئ فـوق شوك وسط دنيا من الظلام الضرير

فيا لقسوة هذا التشبيه ويا لجمال هذا التجسيد «الظلام الضرير».

وتعتبر قصيدة «وسط العُباب» مثالا لليأس المطلق، نظرًا لأن الشاعر وظّف فيها عدة صور مركبة، وكأنها دويّ ينبعث من أعماقه في صراعه مع القدر. ومن تلك الصور وجود ليال كالضباب تثقل الصدور بالأخطار، ويغيّم

في جوها الظلام، وفي تيهان الزورق وطغيان الموج، وضياع المجداف.

وفي قوله أيضًا:

فضللت الطريق إلى الشاطئ المرجوّ وحدي! في صاخب الأمواج
تحت كفّ العواصف الهوج في وسط عُباب طاغ، بدون سراج
كلما لاح في سما البؤس نور غيبته الحياة خلف رتاج

وأرى أن هذه القصيدة هي من أجمل قصائد «النغم الجريح»، فهي تمثل أجلى مصاديق الشعر الرومانسي، في رسم لوحة متكاملة بريشة فنان متمرس وخيال شاعر خصب الوجدان، متقد الشعور. ويتضح هنا براعة استخدام الشاعر لرموز لها علاقة بالإبصار كالضباب، والسراج، والرتاج، وكوة الظلام عوضا عن استخدامه مفردات مباشرة كالعين والجفن والمقلة، وحتى الدموع التي يختتم بها نصه، هي أنّات تتدفق من القلب، لا العين.

في الختام، صحيح أن توظيف الطبيعة يعتبر ثيمة أساسية في الشعر الرومانسي، ولكن الشاعر الخنيزي وظّفها بطريقة مخالفة للذوات الرومانسية المفرطة في غنائيتها أو المحتفية بها احتفاء مباشرا، يتأطر به الشعراء دون تشربهم لأحاسيس المكان أو الانتماء إليه. فالطبيعة لديه هي قوة خارقة لا يستطيع الاندماج معها من منظور جمالي. بمعنى أن الشاعر قد صاغ صوره باعتبارها امتدادا نفسيا لذاته ومعاناته، مما عمّق من المستوى الشعري والشعوري. أوليس أجمل الشعر هو الذي يولد من رحم المعاناة! هذا هو قدر شاعر أبصر أرضه وعشقها بقلبه وروحه، فجسد القصيدة الرومنسية في أبهى تجلياتها.

صالح مهدي الخنيزي

٢٠٢٢-٣-٢٣

٩

دهشة (إنما) ودلالة (النهد) في شعر محمد سعيد الخنيزي

رائد أنيس الجشي

أولاً

تفيد أداة (إنما) الحصر أو التأكيد أو التعريض وغيرها من خلال وجودها في سياقاتها كما تتأثر لغتها في القصر مثلا باعتبار المقام وحال المخاطب أيضا

وللقصر «بإنما» مزية على العطف؛ لأنها أحيانا تقيد الإثبات للشيء، والنفي عن غيره دفعة واحدة، بخلاف العطف، فإنه يفهم منه الإثبات أولًا، ثم النفي ثانيًا، أو عكسه.

وهناك نقطة مهمة أشار لها الجرجاني : الأصل في «إنما» أن تجيء لأمر من شأنه ألا يجهله المخاطب، ولا يُنكره، وإنما يراد تنبيهه فقط، أو لما هو منزل هذه المنزلة.

وهذه الجملة الآخيرة (لما هو منزل هذه المنزلة) هو مفتاح حديثي عن تقنية استخدام (إنما) بشكل مغاير عن السائد عند شاعرنا الخنيزي وأحببت

أن أسلط الضوء على هذه التقنية بالذات كونها نادرة في شعره وإبداعية في ذات الوقت كونها تكثف الصورة وتفتح أبواب المعنى لتتسع الدلالة إلى ما هو أكبر من معناها.

مما يثير الأسئلة الشعرية والإنسانية بدلا من وضع الإجابة الشافية الخطابية.

يقول مثلا في قصيدته (إلى ربة الشعر):

إنـــمـــا ذكـــريـــات أمـــسـي أحلام جريح تلوح مثل السراب

وهذا الحصر الأشبه بالتعريف له اتساع دلالي وتأويلي لا يعتمد على الإفراد أو القلب أو التعيين عند متلقي القصيدة بل على سعة خياله شعري وبالتالي سيصل المعنى العام الخارج عن معنى الجملة ويتعدد الإحساس بالمعنى حسب تأويل المتلقي لمعنى (حلم الجريح) وإن كان مسطحا بكونه الشفاء فقط أم أعمق من الناحية الجسدية والنفسية وكذلك سرابية هذه الاحلام إضافة على الإشارة إلى الصور القديمة المشهورة التي تستخدم (تلوح) (تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد) وقلب معنى (التبدي والظهور) في البيت يناسب تقنيته الشعرية مع أداة إنما ويخلف النسق القصي الرومنسي نوعا ما

وربما تتضح الصورة قبال صور أخرى فتكون الذكريات معادلة للحياة والسراب زوال لها إلا أن هذا الأمر الذي قد يبعث الهم يوظف في سياق آخر بأداة إنما أيضا ليكون إيجابيا

يقول في قصيدة أخرى:

لا تكن ضيق الفؤاد مع العين وكن باسما كوجه الفضاء

إنما هذه الحياة (سراب) سوف تطوى كهذه الأفياء

ابتسم كالزهور كالليلة القمراء كالفجر مشرق الآلاء

ويقول في قصيدة أخرى مستخدما الدلالة لزيادة الدافعية واللا مبالاة بالزيف الجمعي ويستخدمها في التحقير والمبالغة في التحقير:

رفعوه جهلا على قمم الزيف مثالا مموه الكبرياء

إنما هذه الأماديح كالأصباغ تمحى بالريح دون ذكاء

فترنم يا شاعري بالمزامير وغني الحياة لحن صفاء

ثانيا

على عكس تقنية توظيف إنما النادرة في شعر الخنيزي تتكرر صورة (النهد) بشكل جلي وواضح إلا أن النهد لا يحيل فقط للأنثى ولا يحمل دلالة جنسية فقط أو نكهة رمان أبي نؤاس وحسب. بل يتنوع دلاليا عند الشاعر بما يفيد جسد النص ويوافق إيقاع معناه ونقاط تنويره وتبدلاته

فالنهد ذلك الذي ينمو ليدل على النضج ثم يذبل ويتغضن ليسجل مراحل الحياة المؤنثة للأنثى الأرض الكون...يمثل مراحل التبدل والتحول والمحافظة عليه بضا معطاء في صورة النص تعني المحافظة على الحياة اليافعة الثرية فهو قيمة جمالية فوقية وفقده يسبب حالة نقص وتوتر ويولد احتياج قلق يبعد الشاعر عن هدفه الأسمى ألا وهو الخلود حبرا وورقا خلود حبر او نقش حققه جلجامش صدفة دون أن يكون غاية سعيه الأولى في بحثه عن الخلود ولذلك تكون الذكريات الجميلة دائما متعلقة بالعلقة مع النهد إما بصورة طفولية كحاجة للغذاء والحنان أو رجولية على شكل احتياج للعلوي

الآخر لتلك العاطفة المؤنثة المفقودة من حنان وإغواء وشباب والتي يعجز أن يكوِّنها دون ذلك العلوي النهدي وكأن الرجل لا يمكن أن يكون حنونا لافتقاره إلى ذلك النهد ولذلك تظهر الأنثى الرمز (مي)

مي الرائعة ..القديسة في العشق الصعبة المنال..التي يحتاجها بطل النص للحياة السعيدة فتشكل النهد في خواصه البعدية ثم تندمج معه في نهاية الديوان لتشكل عاطفة مؤنثة أخرى هي الأنثى (نهاد) التي تصبح في آخر قصيدة من الديوان (ناهد) وهذا الاسم الأخير مشتق من النهد العلوي ويحمل صفاته الممجدة وماله من دلالات الفوقية

ولذلك يعيش بطل البوح رجولته كطفولته ككهولته في احتياج دائم لذلك العطاء والحنان والفتنة يفتقر إليها ويلجئ إلى الذاكرة محاولة لإحيائها ولو على شكل طيف معتمدا على الثقافة البصرية لبناء لبنات البوح ثقافة تمتد من موسيقى النصوص الهادئة والعذبة قوتها حتى في أقسى حالات الألم

فهي تستدعي الآخر الأجمل المرئي محاولة إعادة إحياء النبض في الذاكرة مع الوعي التام باستحالة تكون تلك التصورات المتلاشية إلى مصاديق واقعية في المستقبل أو الحاضر..تتحدث عن الجمال بدلالته الذاتية التشخيصية كالأنثى المحبوبة أو الأنثى الرمز وتتنوع القوافي أحيانا في النص وترتكز على القص في الكثير من جوانبها كحالة شعراء أبولوا وتمتزج الواقعية بالخيال الحقيقي أو المجازي بسبب تلاشي الواقعي الماضي حد نسيانه أو بسبب اختلاف تلقي الرؤية بسبب ما طرأ على حاسة التثقيف البصري من تغيرات تحيل الضياء إلى ظلام وتثير به الحنين إلى القديم الأفضل فالذكرى وتشكلاتها تشكل الثقل الأساسي في النصوص وترتكز عليها كل التحولات

والجماليات على ذات الشاعر أو الوسط المحيط به يعرج بها النص وينقلب تنويريا في حالات الفرح والحزن والحرمان

يقول مثلًا:

(ذكرتك والبدر ملء الفضاء يرصع هام الربى بالدرر

ذكرتك حين رشفت الرحيق من النهد غب انسكاب المطر)

وينهي النص ببيت لا يطالب المحبوب بالعودة بل يجسد يقينية الغياب وتجلي ومضة أمل:

(وران على الكون صمت عميق سوى نغمة بدرت من وتر)

ويقول في قصيدة أخرى:

(الكون أطبق جفنه في هدأة — وسرى به نفس الربيع الحاني

والبدر يرقبنا أذاب شعاعه — في صدرك البض الذي أغراني

ألهو بنهديك اللذين تواثبا — في صدرك الفتان كالرمان

كم قبلة ذهبية أفضت بها — شفتاك للقلب الخفوق العاني

ذكرى من الماضي الجميل وأنة — أصداء قلب خافق ولهان)

ثم يختم القصيدة بـ

(يا مي ما ذكراك إلا نغمة — علوية الأصداء في آذاني

لم أنس هاتيك الليالي إنها — آفاق إلهامي ووحي بياني)

والأبيات السابقة تفلسف النهد كما أشرنا إليه

وتوضح قيمته العلوية كـ(مي) الرمز وأنه الذكرى المؤثرة التي يحاول

الشاعر الحفاظ عليها ليحافظ على استمرارية العطاء الشعري وخلوده..

ختاما ليس غريبًا أن نجد الكثير الذي يستحق التأمل والدراسة في نصوص شاعرنا الكبير.

شكرا لكم

١٠

الشيخ الأستاذ الخنيزي

زكي بن علوي الشاعر

كنا صغارًا، وكانت آمالنا كبيرة، نحلم ونتمنىٰ أن نكون من علماء الدين، وأن نغدو موسوعيين.. فبدأنا بعلم النحو، نبحث عمن نقرأ عليه مقدمة ابن آجروم وشرحها لمحيي الدين عبد الحميد، وهٰذا ما تحقق لنا، فحضرنا عند أحد طلبة العلم آنذاك.

سمع بحلقة الدرس تلك طالب من ذرية الإمام أبي الحسن الخنيزي -رحمه اللَّه تعالىٰ-

فحضر يستمع؛ ليقرر أينضم إلى الحلقة أم لا؟!

وبعد خروجنا صحبته لما لمست فيه من نباهة ونبوغ، وهو أيضًا أقبل عليَّ وأحبني، وطلب مني أن نزور بعد صلاة العشاءين عمه الأستاذ الشيخ محمد سعيد الخنيزي، فننهل من علمه، فسررت بذٰلك؛ لحبي مجالسة الأدباء والعلماء.

سلمنا على الشيخ، وقبلنا جبينه المبارك، ثم أخذنا مجلسنا، وأنا أجيل نظري في تلك المكتبة التي تحوي من الكتب الحجرية والحروفية، والطبعات

القديمة والحديثة... ثم شرع يشرح لنا بعض الموضوعات النحوية، وبعض كلمات ابن هشام في تعريف الكلمة، ويفصل القول في الجملة الاسمية والجملة الفعلية، بعبارات وأساليب توصل المعلومة، وتحقق المطلب، ويشكل فيثير فينا رغبة البحث، ولا يتركنا دون حل الإشكال.

تحدث عن صناعة الإعراب والغاية منها، ونبه على التطبيقات النحوية والصرفية، وتكلم عن المعجمات وطرق الكشف فيها، وتناول (مجمع البحرين لفخر الدين الطريحي)، وغاص بنا في أهمية الإلمام بغريب القرآن والحديث واللغة، وشرح مصطلح الغريب، حتىٰ لم نتمن أن تنتهي تلك الجلسة التي كنا نطرح فيها ما نود طرحه، فيجيبنا الأستاذ الشيخ بما يشفي الغليل.

وكان يوصينا بالمحافظة على الصلاة، والاجتهاد في الطاعات، وفعل الخيرات، ولزوم التقوىٰ، والتحلي بمكارم الأخلاق، وألا نضيع أوقاتنا فيما لا نفع فيه، وأن نحرص علىٰ تنظيم أوقاتنا، وأن نعمل بما نعلم؛ إذ لا قيمة لطلب العلم دون العزم على العمل الصالح، وصار يرشدنا ويبين لنا أن طلب العلم لا يقتصر فيه على العلم الديني، وأن نية التقرب إلى الله بطلب العلم مطلوبة، في كل أنواع العلوم؛ بل في كل ما نقوم به من أعمال، حتى الأكل والشرب؛ فإن نية القربة تتحقق فيهما بقصد التقوي علىٰ طاعة الله تعالىٰ.

لم ألزم الأستاذ، ولم أحضر له درسًا، بعد تلك الليلة... وبعد أقل من خمس سنوات استكملت فيها دراسة الآجرومية وشرح القطر وقسمًا من شرح ابن الناظم على الألفية، وحضرت عند أساتذة عديدين في الفقه على مستوى الرسائل العملية، وقراءة متون وشروح وحواش، ومصنفات قل من

يلتفت إليها من أبناء جيلي، لزمت مجلس سماحة العلامة: الشيخ عبد الله الخنيزي -يحفظه الله- وكنت أحضر في ذٰلك المنتدى الأدبي والمجلس العلمي الذي يعقده الأستاذ الشيخ، فأرىٰ علماء وأدباء وأصحاب فنون، وطالبي علم، وملتمسي مشورات، وسائلي حاجات، و...

ولم ينسني الأستاذ الشيخ؛ بل أطلعني علىٰ شيء من سير ذويَّ، وعرفت منه تاريخًا لا تشوبه خرافة، ولا يعتريه تزوير... تاريخًا خاصًّا، وتاريخًا عامًّا، تاريخًا قديمًا، وتاريخًا معاصرًا.

ليت أبناء القطيف يحرصون علىٰ تدوين شيء من تاريخهم، ويستدركون ما فاتهم من تاريخ منطقتهم، ويسجلون لهٰذا الأستاذ الكبير حلقات تتناول تاريخ المنطقة وآدابها وفنونها: مما لم تخطه الأقلام، فلا يضيع أكثر مما ضاع!!

إن رجلًا عرف منهج البحث العلمي منذ نعومة أظفاره وتحلىٰ بالشجاعة الأدبية وآمن بالحقيقة ولم يرض إلا المصداقية لجدير بأن يؤخذ عنه ما يعلم، وحري بأن يدوَّن ما اطلع عليه وعاصره من أحداث، وما يؤصل لتاريخ المنطقة ورجالاتها: مما لم يسعفه الوقت لتدوينه وإملائه.

حضرت درسًا خاصًّا عنده في شرح ابن الناظم، فوجدت عملاقًا في النحو يخلص النحو من العلل النحوية الباردة بعد أن يوضحها إيضاح المتمكن، ثم يرد كل حكم يأخذ به النحوي واللغوي إلىٰ ما ورد عن العرب؛ فالفاعل مرفوع لأن العرب ترفعه، والضمة علامة للرفع لأن هٰذا سمع من العرب، والحرف مبني لأن العرب بنته، و... وهٰكذا.

وكان يخالف ابن الناظم؛ بل يختار رأي سيبويه أو الخليل أو الأخفش أو غيرهم، ولا يجعل لأحد من العلماء قدسية، إلا قدسية أنه عالم له احترامه، وسعيه في خدمة العربية مشكور.

ولم تكن آراؤه ضربًا من الميل أو الهوىٰ؛ وإنما كان يستدل لما يراه أو يختاره... فهل كان شيخنا الأستاذ يمتعض أو يجد في نفسه إن خالفه تلميذ له؟!

لا! لم يكن شيء من ذٰلك؛ بل كان يطير فرحًا، إذا وجد في تلميذه باحثًا أو طالبًا للتحقيق، وكان يمتدحه عند أمثال المقدس: الشيخ عبد الحميد الخطي -رحمه الله تعالىٰ- وسماحة الشيخ عبد الله الخنيزي صان الله مهجته.

كنا نقف عند المسألة وقوفًا قد يطول، وما كان شيخنا يسأم أو يمل؛ بل كان يحرضنا علىٰ تكوين شخصياتنا اللغوية، وكان يأمرنا بإحضار المصادر والمراجع من مكتبته العامرة، فنقرأ حول المسألة محل النقاش، ونختار مما ورد في هٰذا الكتاب أو ذاك، أو نرىٰ غير ما يرىٰ من حرر المسألة.

كان الأستاذ الشيخ حليمًا، لم أره غاضبًا إلا مرة واحدة، عندما علم بارتكاب واحد من الناس موبقة... وكان متواضعًا جدًّا، يهنئ من يسر بزواج أو مولود أو غير ذٰلك، ويعزي من يتوفىٰ له قريب أو نسيب، ولا يتخلف عن مناسبة من المناسبات؛ بل كان اجتماعيًّا.

ولم يكن يبخل بنصح أو إرشاد؛ بل كان يتقرب بالنصيحة إلى الله تعالىٰ، وكان يتفقد من يغيب عن مجلسه، ويسأل عنه، ويهتف به.

وكان صاحب صدقة سر، وقد أخذ هٰذا من أبيه المقدس: الإمام الخنيزي -رحمه الله تعالىٰ- حتىٰ إنه لم يقطع المعونة عن بعض من أساء إليه!! وهٰذه من صفات من زكىٰ نفسه وطوعها، وسعىٰ بها نحو العبودية المتكاملة لله تعالىٰ.

كان يحدثني عن أبيه: الإمام الخنيزي، كما يحدثني عن غيره من العلماء والعظماء... لم يكن متفاخرًا يومًا ولا متكاثرًا؛ بل كان أكبر همه أن نقتدي بالعلماء العاملين، والعظماء والصالحين، وكان وراء كل حديث عظة وعبرة، ولم يكن يبالغ أو يزيد أو ينقص من حق أحد، أو مكانته ومقامه ومنزلته، ولم أسمعه يذم أحدًا؛ بل كان ينهي حديث من في حديثه ريبة أو يلتبس بالغيبة أو النميمة.

كان محافظًا علىٰ صلاته، فلم يكن يمكث إلا ويحرز وقت الوضوء، والاستعداد للصلاة وإدراك الفضيلة، وكان يحث على الأدعية الواردة ويحضر كتابًا ليقرأها من يتقن القراءة، وكنت أراه في ليالي القدر يقوم بالأعمال علىٰ كبر سنه.

وكان شديد الولاء لأهل بيت العصمة -صلوات الله عليهم- صاحب عقيدة صحيحة، يمقت الفساد والفاسدين والمفسدين، وينصر الدين الحنيف، متحليًا بالصبر والحلم، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر.

استفدت من الأستاذ الشيخ كثيرًا... أخذت عنه علمًا، وأخذت عنه منهج البحث العلمي؛ فهو من الأساتذة الذين أفخر بهم، والآباء الذين أعتز بهم كثيرًا.

سيدي: الأستاذ الشيخ محمد سعيد بن سماحة الإمام: الشيخ علي أبي الحسن الخنيزي... متعنا اللّٰه بطول بقائه

لم أكتب هٰذه الأسطر لأعرِّف بك؛ ولٰكني كتبتُ لأُذْكَرَ بك.

أما ما أعلمه عنك، وما نهلته من معينك العذب الصافي، فلا يكفيه مقال ولا كتاب؛ لأنه مسيرة علمية أدبية فنية، يحكيها أن يعرف أنني أحد تلامذتك... فإن يكن لي نصيب من النحو واللغة، فيكفيني فخرًا أنني واحد من كثيرين اشتغلوا علىٰ يديك.

ابنك المقصر:

زكي بن علوي الشاعر

١٢/ ١٠/ ١٤٤٣هـ

١١

بـ«٢٧» درعاً في ليلة واحدة...القطيف تحتفي بـ«شيخ الشعراء»

خليج الديرة

تحت عنوان «شيخ الشعراء... قرن من العطاء» احتفت جمعية التنمية الأهلية بالقطيف بالشاعر الكبير «محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي» بحضور كبير للعلماء والشعراء والكتاب.

بدأ الحفل بالقرآن الكريم وبسورة الإنسان حيث علا المنصة المقرئ القدير «حسين البحار»، ثم ألقى الرئيس السابق لخيرية القطيف عصام عبدالله الشماسي كلمة قال فيها: «هنا يتمازج الأدب مع الفن، هنا يختزل التاريخ، وتستحضر معالم طريق ممتدة في أعماق الإنسان والمجتمع؛ هٰهنا وهٰهنا تقرأ فصول رواية كتبت نفسها بمداد الألم والعناء، نقف نتملى ملامح لوحة فيها من التلاوين ما يعبئ الروح وينعش الوجدان».

شمس لا يعوزها أفق:

وفي كلمته قال الكاتب والشاعر شفيق العبادي: «إنه الأستاذ الشاعر والأديب محمد سعيد الخنيزي، (الشمس) التي لم ولن يعوزها أفق، هكذا

قرأتُه في عنوانه الأثير لأحد كتبه الشعرية (شمس بلا أفق) لكن بالصيغة التي أُخالُ أنه قصدها وبالمعنى الذي أراد تهريبه بعيداً عن التناول العادي والمستهلك بممارسته لُعبة أسلوبية لا يقدر عليها غير الكبار لا بقصد الإرباك ولكن بقصد امتلاك مزيد من الأشواط التي تعرب عن مقدرتهم الأصيلة والمتأصلة».

في كنف العلماء:

من جانبه قال الأديب محمد ميرزا الغانم: «قد لا يكون مستغرباً أن يصبح الأستاذ الخنيزي شاعراً مرهفاً وأديباً أريباً و لغوياً بارعاً فهو نجل الشيخ علي الخنيزي المعروف بالشيخ علي أبو حسن، ذلك العالم الكبير و المحقق البارع، حيث تربى في كنف والده و ترعرع في بيت قائم على العلم و المطالعة ووفرة الكتب ومجالس البحث، ولكني أعتقد جازماً أن الاستعداد الشخصي للأستاذ الخنيزي وما امتلكه من عزيمة وإصرار واندفاع نحو العلم والمعرفة والكتابة والتأليف والنشر، ميزه عن أمثاله من أبناء العلماء».

أبعاد الشخصية الأدبية:

من جانبه تحدث العلامة «السيد منير الخباز» كاشفاً في كلمته عن أبعاد شخصيته الأدبية حيث قدم قراءة في ملامح مجلس أو منتدى النغم الجريح، مشيراً إلى الثروة الأدبية والثقافية التي كان مجلس شيخ الشعراء نافذة في تكوين الثقافة الأدبية الأولى له وهو في سن الثلاثة عشر، كما قدم سماحة السيد قراءة تحليلية لما كان عليه مجلس الأستاذ الخنيزي، حيث ذكر بين طيات كلمته ذات الطابع الأدبي «ومن ملامحها الرائعة جريان فيض من

المعين اللغوي الغزير في حديقتها الزاهرة من خلال انتهاج روادها معرفة جذر أي كلمة ترد في شعر المتنبي أو بن زيدون أو شوقي بقراءة قديم كتب اللغة من العين والقاموس فضلاً عن حديثها كالمنجد والرائد مما يسهم في بناء الشاعر من حيث ثروة الكلمات ورصانة الأسلوب».

كلمة متلفزة:

وتمّ خلال مهرجان التكريم عرض كلمة متلفزة للمحتفى به الأستاذ الخنيزي عبر تصوير مرئي لمدة أربع دقائق جاء فيها: «أحيي نجوم الفكر وأقمار السماء الذين اجتمعوا في هذا المساء وكوّنوا هذه الاحتفالية التي لا أستحقها ولكن تفضلاً منهم وكرماً»، كما أردف كلمة الشكر بأبيات ثلاثة أرسلها تحية للحاضرين.

وشهد الحفل في نهايته تقديم ٢٧ درعاً وهدية تذكارية من قبل الجهات والفعاليات والأفراد، حيث تسلمها نيابة عن المحتفى به الأستاذ علي محمد سعيد الخنيزي وأخوه الأستاذ أديب محمد سعيد الخنيزي.

١٢

مهرجان شيخ الشعراء يجمع أهالي الشرقية ليروي من سيرة قرن.. ليلة بليال

بشائر: القطيف

مهرجان شيخ الشعراء يختزل مسيرة مئة عام،ويحتفي بحالة أدبية وثقافية عابرة لحدود الزمان،،حيث تلاقى تحت قبة الإبداع والفن علماء وشعراء وكتاب وأصحاب شعور حي ضمهم (مهرجان شيخ الشعراء) فكانت ليلة بليال.

بدأ الحفل عند الثامنة تماماً بالقرآن الكريم وبسورة الإنسان حيث علا المنصة القارئ القدير الأستاذ حسين البحار،تلاه مباشرة كلمة افتتاحية للمهرجان لمقدم الحفل الرئيس السابق لخيرية القطيف عصام عبدالله الشماسي،جاء فيها (هنا يتمازج الأدب مع الفن،هنا يختزل التاريخ،وتستحضر معالم طريق ممتدة في أعماق الإنسان والمجتمع؛ها هنا وهاهنا تقرأ فصول رواية كتبت نفسها بمداد الألم والعناء،نقف نتملى ملامح لوحة فيها من التلاوين ما يعبئ الروح وينعش الوجدان)

أعقبه مشاركة شعرية تحت عنوان (فارس الشعر) للشاب حسن آل جليح:-

الشعر والشُعراءُ مِنْ أَقْصَى المَدَى
لَـكَ أَحْـرَمَـوا يَـا قِـبْـلَـةَ الأُدَبَـاءِ
فِـي كُـلِ فَـنٍ قَـدْ سَـمَوتَ ولا نَرَى
إلاكَ أَنْـتَ بِـقِـمَـةِ الـعَـلْـيَـاءِ
والجَـاذِبِـيَـةُ مِـنْـكَ تُـشْـرِقُ للـورَى
بِـمَـحَـبَـةٍ وتَـواضـعٍ وإِبَـاءِ
يَـا مُـبْـدِعًـا أَثَـارُ شِـعْـرُكَ حَـلَـقَـتْ
بِقُـلُـوبِـنَـا لِـشَـواطِـئِ الأهْـواءِ
وعَـزَفْـتَ مُـوسِـيـقَـى يُلحَنُ مَـوجَـهَا
-نَـغَـمًا جَـرِيحًا- ضَـجَ فِـي الأجْـواءِ

بعدها جاءت كلمة (شمس لا يعوزها أفق) للكاتب والشاعر شفيق العبادي جاء فيها (إنه الأستاذ الشاعر والأديب محمد سعيد الخنيزي، (الشمس) التي لم ولن يعوزها أفق. هكذا قرأتُه في عنوانه الأثير لأحد كتبه الشعرية (شمس بلا أفق) لكن بالصيغة التي أُخالُ أنه قصدها وبالمعنى الذي أراد تهريبه بعيدا عن التناول العادي والمستهلك بممارسته لُعْبةً أسلوبية لا يقدر عليها غير الكبار لا بقصد الإرباك ولكن بقصد امتلاك مزيد من الأشواط التي تعرب عن مقدرتهم الأصيلة والمتأصلة).

وفي مشاركة شعرية تحت عنوان (حبر على عصا موسى)قصيدة رمزية للشاعر السيد أحمد الماجد جاء فيها:-

العابرون على كفيه ضيعهم.. إلى النيازك ما عادوا إلى البر
مهلا لكي يعبر التاريخُ بصمته الكبرى وينفق ما لم يبنِ من جسرِ

مهلا لكي تُرجِعَ الدنيا لها رمقًا ما بين خطوتك العصماء والجهرِ

وما لبحرٍ جلوسٌ أين مقعده وما لموجك أن يشفى من الدُّرِّ

الساكنون قطيفا في يديك ألا يا نخلُ كتفانِ نجوى السعفِ والجذرِ

ألا مهبًا من الأقــلامِ منتهبًا يبقي الرئاتِ تماثيلا من الشعرِ

تلا مشاركة الماجد قصيد لعضو منتدى الكوثر الأدبي الشاعر أحمد الخميس جاء فيها:-

«يا راهِبَ الشَّعـرِ..»

قُمْ رَتِّـلِ الشِّعـرَ..

واتلُو وحيَـهُ سِوَرا

وانشر ضِيَـاءَكَ.

في الآفاقِ مُنهَمِرا!!

يا رَاهِبَ الشِّعـرِ..

قُمْ واحمِلْ مشاعلَهُ..

حتى نرى الليلَ.

مَكنوساً ومُندَحِـرا!!

قُمْ رَتِّـلِ الشِّعـرَ..

في مِحرابِ غُربتِـهِ.

فمِصحفُ الحُبِّ.

بين النَّاسِ قد هُجِرا!!

قُمْ أطلِق الفِكرَ..

مِنْ ديجورِ ظُلمَتـهِ

حتى يَشعَّ على..

الآفاقِ مُنتَشِـرا!!

يا عَازف الشَّعـرِ.

قُمْ شَنِّف مَسامِعَنا

فمَن سِوَاكَ تُـرى.

قد دَوْزَنَ الوَتَـرا؟

يا شَاعِـرَ الخَطِّ.

عَيـنُ الخَطِّ ناظِـرةٌ.

إلى يَراعِكَ فارسُم.

حُسنَهـا صورا

في كُلِّ شِبـرٍ..

لعبدِ القيس ملحمَةٌ

تَحكي مناقِبَهـا.

عزمَـاً ومُفتَخَـرا!!

أَخَالُ طَرفَـةَ..

مَسحُوراً بفِتنَتِهـا..

كأَنَّمـا مِنْ كُؤوسِ..

العِشقِ قد سَكِـرا!!

يُزجي قوافيـهِ..

ألحاناً بواحتِهـا

يُسَامِرُ الليـلَ..

والعُشَّاقَ والقَمَـرا!!

يَرنو لقلعَتِهـا..

الشَمَّاءِ حِين زَهَت.

بالماجِديـن.

وبالأَعلامِ والشُّعَرا !!

وامرُر بِداريـنَ..

وأسأَلْ عن مَراكِبِهـا.

واستَنطِق البَحـرَ..

واليامَـالَ والدُّرَرا

هذي فرائِـدُكَ..

الغَـرَّا تُحدِّثنـا.

تَحكي غَرامَـكَ.

مَشبُوبـاً ومُستَعِـرا!!

ما جِئتُ أمدحُ بـل..

أستَافُ بعضَ رُؤىً

وأنهَـلُ العَـزمَ.

مِن رُؤيَـاكَ والفِكَـرا

لم يُثنِكَ الـدَّاءُ.

عن عَزمٍ وعن هِمَـمٍ

مهمـا عليكَ قَسـا.

أو أطفأَ البَصَـرا!!

مازلتَ بالحُـبِّ.

تَبني للعُـلا وطنـاً

تُؤنسِنُ الشِّعـرَ.

حتى يُسعِـدَ البَشرا

مازلتَ مَدرسَـةً.

للجيـلِ تُلهِمُـهُ.

عِشقَ الحيَاةِ، وإنْ.

كان المَدَى وَعِرا!!

وجاءت الفقرة السابعة تحت عنوان الأديب الملهم للأستاذ محمد ميرزا الغانم جاء فيها:

«قد لا يكون مستغرباً أن يصبح الأستاذ الخنيزي شاعراً مرهفاً وأديباً أريباً ولغوياً بارعاً فهو نجل الشيخ علي الخنيزي المعروف بالشيخ علي أبو حسن، ذلك العالم الكبير والمحقق البارع. حيث تربى في كنف والده وترعرع في بيت قائم على العلم والمطالعة ووفرة الكتب ومجالس البحث. ولكني أعتقد جازماً أن الاستعداد الشخصي للأستاذ الخنيزي وما امتلكه من

عزيمة وإصرار واندفاع نحو العلم والمعرفة والكتابة والتأليف والنشر، ميزه عن أمثاله من أبناء العلماء».

بعدها جاءت هائية الشاعر الأستاذ علي مكي الشيخ والتي لاقت تجاوباً وتفاعلاً من الحاضرين والتي كان ضمن أبياتها:

شغلتك..

عنك الأبجدية مغرمًا

كي تغرس الإنسان في إنسانه

كنت

القطيفَ على امتداد عصورها

كأسٌ.. رأى الإيمان في إدمانهِ..

للأرض

نكهة شاعر.. متصوفٍ

رقصت جلالته على أوزانهِ

نغم جريح..

كان يغسل.. صوته

بهواك حتى صرت من إخوانه

يشدو

بك المعنى حكايةَ شاعرٍ

متصوفٍ متبتلٍ.. بكيانهِ

تبني

القطيفَ.. حضارة مغزولة

وعيًا.. يجيدُ الكشفَ عن أوطانهِ

فيما جاءت الفقرة التاسعة عرض مرئي لمدة ثلاثة عشر دقيقة فيه شهادات ممن عايش الأستاذ الشاعر الخنيزي عن قرب،كما احتوى على إضاءات ومفاصل من حياة المحتفى به.يمكن مشاهدته عبر الرابط (https://youtu.be/Un13ZDJcHgY)

وحي من الشعر كانت العاشرة بين فقرات البرنامج للشاعر الأستاذ مصطفى أبو الرز والتي كان من أبياتها:

وحي من الشعر يجلو الدرب فانكشفا
إن يسمع القلب مـن ترتيله وجفا
يــداه تدني خيوط الشمس حائكة
بـدائـع الفكر تقفو خطوه السلفا

ثم علا المنصة العلامة السيد منير الخباز كاشفاً في كلمته عن أبعاد شخصيته الأدبية حيث قدم قراءة في ملامح مجلس أو منتدى النغم الجريح مشيراً إلى الثروة الأدبية والثقافية التي كان مجلس شيخ الشعراء نافذة في تكوين الثقافة الأدبية الأولى له وهو في سن الثلاثة عشر.

«لقد بدأت علاقتي الفكرية بمجلس النغم الجريح في الثالثة عشر من عمري عام ١٩٧٨م في بداية مسيرتي الثقافية الأدبية فكان أول لقاء بالأستاذ في دارته البليغة لقاء المشاعر الوالهة في رحاب لوعة أبياته الباكية انظروا النعش ففيه سر آيات عجاب هذه زهرة حسن لم تمتع بالشباب».

كما قدم سماحة السيد قراءة تحليلية لما كان عليه مجلس الأستاذ الخنيزي حيث ذكر بين طيات كلمته ذات الطابع الأدبي «ومن ملامحها الرائعة جريان فيض من المعين اللغوي الغزير في حديقتها الزاهرة من خلال انتهاج روادها معرفة جذر أي كلمة ترد في شعر المتنبي أو بن زيدون أو شوقي بقراءة قديم كتب اللغة من العين والقاموس فضلًا عن حديثها كالمنجد والرائد مما يسهم في بناء الشاعر من حيث ثروة الكلمات ورصانة الأسلوب».

ويعود الشعر لمسرح المهرجان بإطلالة الشاعر الأستاذ علي مهنا الذي تناول فيها مفاصل مهمة من محطات الشاعر الخنيزي ملمحاً إلى جوانب أدبية في مسيرة الشاعر:

حاورت (بنت الشاطئ) الغافي جوى
أدبـــاً فكنت الـنـاقـد الـمـسـؤولا
فـلأنـت بـوح مـن تـراث حـضـارة
أغـنـت رؤاهـــا الـشـاطـئ المأهولا
يـا خـاتـم الـجـيـل الجميل تحية
لـك فـي شـعـور قـد سـمـوت أثيلا
مـازلـت و(الـخـيّـام) فلسفة سمت
للعشق قــد أحسنتما التفصيلا
دنـيـا يفلسفها الـشـعـور ولـم تكن
كـالـشـعـر فلسفة تجيب سـؤولا

معجبٌ بفتاته كلمة تحليلية اختتم بها البرنامج الأدبي الأستاذ الأديب محمد أمين أبو المكارم ركز فيها على حضور الأنثى في أدب الأستاذ الخنيزي شعراً ونثراً ومما قاله: «كّرت فيما سأكتب، لاسيما وللرجل جوانب متعددة في شخصيته. أأكتب في سيرته وكفاحه منذ الطفولة؟ أم حول نثره؟ أم شعره؟ وتتسع دائرة الأفكار وتتشعب دروبها!

غير أني خرجت عن الجادة إلى فكرة اقتبستها من سيرته، قد لا تتسق والسيرة السائدة في مجتمعنا المحافظ وأحببت الوقوف عندها وهي حضور الأنثى الابنة في حياته، وهكذا انطلقت».

وكان مسك ختام البرنامج إطلالة مسجلة للمحتفى به الأستاذ الخنيزي عبر تصوير مرئي لمدة أربع دقائق جاء فيها «أحيي نجوم الفكر وأقمار السماء الذين اجتمعوا في هذا المساء وكونوا هذه الاحتفالية التي لا أستحقها

ولكن تفضلاً منهم وكرماً» كما أردف كلمة الشكر بأبيات ثلاثة أرسلها تحية للحاضرين رابط الكلمة (https://youtu.be/FUrlV2ekKfU)

واختتم الحفل الأستاذ أمين الزهيري رئيس جمعية التنمية الأهلية بالقطيف قدم فيها شكره وتقديره لجميع المشاركين والحاضرين الذين صنعوا هذه الليلة الاستثنائية،وخص بالشكر صاحب المبادرة الأولى لفكرة التكريم المرحوم المهندس عباس رضي الشماسي الرئيس السابق إلى لجنة التنمية الاجتماعية بالقطيف.

وقبل تناول العشاء تم تقديم الدروع الرمزية والهدايا التذكارية من قبل الجهات والفعاليات والأفراد حيث تسلمها نيابة عن المحتفى به الأستاذ علي محمد سعيد الخنيزي وأخوه الأستاذ أديب محمد سعيد الخنيزي وقد قدمت من سبع وعشرين جهة على النحو التالي:

١- تذكار رمزي مقدم من ملتقى ابن المقرب الأدبي بالدمام.

٢- هدية رمزية مقدمة من منتدى الكوثر الأدبي بالقطيف.

٣- درع مقدم من منتدى الخط الثقافي.

٤- درع مقدم من جمعية القطيف الخيرية.

٥- درع مقدم من جمعية التنمية الأهلية القطيف.

٦- درع مقدم من جمعية التنمية الأهلية حلة محيش.

٧- درع مقدم من جمعية التنمية الأهلية بالبحاري.

٨- درع مقدم من نادي الترجي بالقطيف.

٩- درع مقدم من نادي الهدى بتاروت.

١٠- درع مقدم من أبناء الحاج الوجيه المرحوم سعيد الخاطر.

١١- هدية مقدمة من الأستاذ الحاج الوجيه سلمان السنان أبو أحمد.
١٢- درع مقدم من المهندس علي الملا أبو فايز.
١٣- درع مقدم من الأستاذ الوجيه الحاج نصر عبدالله الفرج.
١٤- درع مقدم من الرئيس السابق لجمعية التنمية الأهلية بالقطيف الأستاذ السيد صلاح الدعلوج
١٥- درع مقدم من شركة الميثاق الذهبي.
١٦- درع مقدم من صندوق عائلة الخنيزي.
١٧- درع مقدم من عائلة آل عصفور في المنطقة الشرقية والبحرين.
١٨- درع مقدم من مجلس المطوع بسيهات.
١٩- هدية مقدمة من الأستاذ سمير عبدالله البيات.
٢٠- هدية مقدمة من مفروشات الشماسي.
٢١- هدية مقدمة من السيد أحمد السيد حسين العوامي.
٢٢- درع مقدم من أهالي سيهات.
٢٣- درع مقدم من عائلة الزاير.
٢٤- درع مقدم من مجلس عائلة الجشي بالقطيف والبحرين.
٢٥- درع مقدم من أبناء المرحوم الوجيه أحمد أبو السعود.
٢٦- هدية مقدمة من الحاج حسن علي أبو السعود.
٢٧- هدايا مقدمة من الحاج مبارك الميلاد والسيد حسن المرعي.

وفي ختام الأمسية تناول الجميع طعام العشاء تخلله حوارات ثقافية وأدبية من الضيوف الكرام.

الجدير بالذكر أن إصداراً سيرى النور قريباً يحمل اسم (شيخ الشعراء)

يحوي كل المشاركات والدراسات والمقالات التي تناولت الأستاذ الخنيزي وكذلك سيضمن إيقاعات المهرجان أمسية شيخ الشعراء.

١٣

ليلةٌ بليالٍ.. مهرجان شيخ الشعراء يختزل مسيرة مئة عام

القطيف اليوم

مهرجان شيخ الشعراء يختزل مسيرة مئة عام، ويحتفي بحالة أدبية وثقافية عابرة لحدود الزمان، حيث تلاقى تحت قبة الإبداع والفن علماء وشعراء، وكتاب وأصحاب شعور حي ضمهم «مهرجان شيخ الشعراء» فكانت ليلة بليالٍ.

بدأ الحفل عند الثامنة تمامًا بالقرآن الكريم وبسورة الإنسان حيث علا المنصة القارئ القدير حسين البحار، تلاه مباشرة كلمة افتتاحية للمهرجان لمقدم الحفل الرئيس السابق لخيرية القطيف عصام عبد الله الشماسي، جاء فيها «هنا يتمازج الأدب مع الفن، هنا يختزل التاريخ، وتستحضر معالم الطريق ممتدة في أعماق الإنسان والمجتمع؛ ها هنا وها هنا تقرأ فصول رواية كتبت نفسها بمداد الألم والعناء، نقف نتملى ملامح لوحة فيها من التلاوين ما يعبئ الروح وينعش الوجدان».

أعقبه مشاركة شعرية تحت عنوان «فارس الشعر» للشاب حسن آل جليح:-

الشعر والشُعراءُ مِنْ أَقْصَى المَدَى
لَـكَ أَحْـرَمَـوا يَـا قِـبْـلَـــةَ الأُدَبَـاءِ
فِـي كُـلِ فَـــنٍ قَـــدْ سَـمَوتَ ولا نَرَى
إلاكَ أَنْـــتَ بِـقِــمَـةِ الـعَــلْـيَـاءِ
والجَـاذِبِـيَـةُ مِـنْـكَ تُـشْـرِقُ للـــورَى
بِـمَـحَـبَـةٍ وتَـــواضـعٍ وإِبَـــاءِ
يَـا مُـبْـدِعًـا أَثَـارُ شِـعْـرُكَ حَـلَـقَـتْ
بِقُـلُـوبِـنَـا لِـشَـواطِـئِ الأَهْــواءِ
وعَـزَفْـتَ مُـوسِـيـقَـى يُلحَنُ مَـوجَـهَا
-نَـغَـمًا جَـرِيحًا- ضَـجَ فِـي الأَجْـواءِ

بعدها جاءت كلمة «شمس لا يعوزها أفق» للكاتب والشاعر شفيق العبادي جاء فيها «إنه الشاعر والأديب محمد سعيد الخنيزي، «الشمس» التي لم ولن يعوزها أفق، هكذا قرأتُه في عنوانه الأثير لأحد كتبه الشعرية «شمس بلا أفق» لكن بالصيغة التي أُخالُ أنه قصدها وبالمعنى الذي أراد تهريبه بعيدًا عن التناول العادي والمستهلك بممارسته لُعْبةً أسلوبية لا يقدر عليها غير الكبار، لا بقصد الإرباك ولكن بقصد امتلاك مزيد من الأشواط التي تعرب عن مقدرتهم الأصيلة والمتأصلة».

وفي مشاركة شعرية تحت عنوان «حبر على عصا موسى» قصيدة رمزية للشاعر السيد أحمد الماجد جاء فيها:-

العابرون على كفيه ضيعهم.. إلى النيازك ما عادوا إلى البر
مهلًا لكي يعبر التاريخُ بصمته الكبرى وينفق ما لم يبنِ من جسرِ

مهلًا لكي تُرجِعَ الدنيا لها رمقًا ما بين خطوتك العصماء والجهرِ
وما لبحرٍ جلوسٌ أين مقعده وما لموجك أن يشفى من الدُّرِّ
الساكنون قطيفًا في يديك ألا يا نخلُ كتفانِ نجوى السعفِ والجذرِ
ألا مهبًا من الأقــلامِ منتهبًا يبقي الرئاتِ تماثيلًا من الشعرِ

تلا مشاركة الماجد قصيد لعضو منتدى الكوثر الأدبي الشاعر أحمد الخميس جاء فيها:-

«يا راهِبَ الشَّعـرِ..»

قُمْ رَتِّـلِ الشِّعـرَ..

واتلُو وحيَـهُ سِوَرا

وانشر ضِيَـاءَكَ.

في الآفاقِ مُنهَمِرا!!

يا رَاهِبَ الشِّعـرِ..

قُمْ واحمِلْ مشاعلَهُ..

حتى نرى الليلَ.

مَكنوسا و مُندَحِـرا!!

قُمْ رَتِّـلِ الشِّعـرَ..

في مِحرابِ غُربتِـهِ.

فمِصحفُ الحُبِّ.

بين النَّاسِ قد هُجِرا!!

قُمْ أطلِق الفِكرَ.

مِنْ ديجورِ ظُلمَتـهِ

حتى يَشعَّ على..

الآفاقِ مُنتَشِـرا!

يا عَازف الشَّعـرِ.

قُمْ شَنِّف مَسامِعَنا

فمَن سِوَاكَ تُـرى.

قد دَوْزَنَ الوَتَـرا؟

يا شَاعِـرَ الخَطِّ.

عَيـنُ الخَطِّ ناظِـرةٌ.

إلى يَراعِكَ فارسُم.

حُسنَهـا صورا

فِي كُلِّ شِبـرٍ..

لعبدِ القيس ملحمَةٌ

تَحكي مناقِبَهـا.

عزمًـا ومُفتَخَـرا!

أَخَالُ طَرفَـةَ..

مَسحُورًا بفِتنتِهـا..

كأَنَّمـا مِنْ كُؤوسِ..

العِشقِ قد سَكِـرا!

يُزجي قوافيـهِ..

ألحانًا بواحتِهـا

يُسَامِرُ الليـلَ..

والعُشَّاقَ والقَمَـرا!

يَرنو لقلعَتِهـا..

الشَمَّاءِ حِين زَهَت.

بالماجِدِيـن.

وبالأَعلامِ والشُّعَرا!

وامرُر بِداريـنَ..

وأسأَلْ عن مَراكِبِهـا.

واستَنطِق البَحـرَ..

واليامَـالَ والدُّرَرا

هذي فرائِـدُكَ..

الغَـرَّا تُحدِّثنـا.

تَحكي غَرامَـكَ.

مَشبُوبـًا ومُستَعِـرا!

ما جِئتُ أمدحُ بـل..

أستَافُ بعضَ رُؤىً

وأنهَـلُ العَـزمَ.

مِن رُؤيَـاكَ والفِكَـرا

لم يُثنِكَ الـدَّاءُ.

عن عَزمٍ وعن هِمَـمٍ

مهمـا عليكَ قَسـا.

أو أطفأَ البَصَـرا!

مازلتَ بالحُـبِّ.

تَبني للعُـلا وطنـًا

تُؤنسِنُ الشِّعـرَ.

حتى يُسعِـدَ البَشرا

ما زلتَ مَدرسَـةً.

للجيـلِ تُلهِمُـهُ.

عِشقَ الحيَاةِ، وإنْ.

كان المَدَى وَعِرا!

وجاءت الفقرة السابعة تحت عنوان الأديب الملهم قدمها محمد ميرزا الغانم جاء فيها:

«قد لا يكون مستغربًا أن يصبح الخنيزي شاعرًا مرهفًا وأديبًا أريبًا ولغويًا بارعاً، فهو نجل الشيخ علي الخنيزي المعروف بالشيخ علي أبو حسن، ذلك العالم الكبير والمحقق البارع، حيث تربى في كنف والده وترعرع في بيت قائم على العلم والمطالعة ووفرة الكتب ومجالس البحث،

ولكني أعتقد جازمًا أن الاستعداد الشخصي للخنيزي وما امتلكه من عزيمة وإصرار واندفاع نحو العلم والمعرفة والكتابة و التأليف والنشر، ميزه عن أمثاله من أبناء العلماء».

بعدها جاءت هائية الشاعر علي مكي الشيخ والتي لاقت تجاوبًا وتفاعلًا من الحاضرين والتي كان ضمن أبياتها:

شغلتك..

عنك الأبجدية مغرمًا

كي تغرس الإنسان في إنسانه

كنت

القطيفَ على امتداد عصورها

كأسٌ.. رأى الإيمان في إدمانهِ..

للأرض

نكهة شاعر.. متصوفٍ

رقصت جلالته على أوزانهِ

نغم جريح..

كان يغسل.. صوته

بهواك حتى صرت من إخوانه

يشدو

بك المعنى حكايةَ شاعرٍ

متصوفٍ متبتلٍ.. بكيانهِ

تبني

القطيفَ.. حضارة مغزولة

وعيًا.. يجيدُ الكشفَ عن أوطانهِ

فيما جاءت الفقرة التاسعة عرضًا مرئيًا، لمدة ثلاث عشرة دقيقة، فيها شهادات ممن عايش الشاعر الخنيزي عن قرب، كما احتوى على إضاءات ومفاصل من حياة المحتفى به، يمكن مشاهدته عبر الرابط: (هنا).

وحي من الشعر كانت العاشرة بين فقرات البرنامج للشاعر مصطفى أبو الرز والتي كان من أبياتها:-

وحي من الشعر يجلو الدرب فانكشفا

إن يسمع القلب من ترتيله وجفا

يــداه تدني خيوط الشمس حائكة
بـدائـع الفكر تقفو خطوه السلفا

ثم علا المنصة سماحة العلامة السيد منير الخباز كاشفًا في كلمته عن أبعاد شخصيته الأدبية حيث قدم قراءة في ملامح مجلس أو منتدى النغم الجريح مشيرًا إلى الثروة الأدبية والثقافية التي كان مجلس شيخ الشعراء نافذة في تكوين الثقافة الأدبية الأولى له وهو في سن الثالثة عشر «لقد بدأت علاقتي الفكرية بمجلس النغم الجريح في الثالثة عشر من عمري عام ١٩٧٨م في بداية مسيرتي الثقافية الأدبية فكان أول لقاء في دارته البليغة، لقاء المشاعر الوالهة في رحاب لوعة أبياته الباكية، انظروا النعش ففيه سر آيات عجاب هذه زهرة حسن لم تمتع بالشباب».

كما قدم سماحة السيد قراءة تحليلة لما كان عليه مجلس الخنيزي حيث ذكر بين طيات كلمته ذات الطابع الأدبي «ومن ملامحها الرائعة جريان فيض من المعين اللغوي الغزير في حديقتها الزاهرة، من خلال انتهاج روادها معرفة جذر أي كلمة ترد في شعر المتنبي أو بن زيدون أو شوقي بقراءة قديم كتب اللغة من العين والقاموس، فضلًا عن حديثها كالمنجد والرائد مما يسهم في بناء الشاعر من حيث ثروة الكلمات ورصانة الأسلوب».

ويعود الشعر لمسرح المهرجان بإطلالة الشاعر علي مهنا الذي تناول فيها مفاصل مهمة من محطات الشاعر الخنيزي ملمحًا إلى جوانب أدبية في مسيرة الشاعر:-

حاورت «بنت الشاطئ» الغافي جوى
أدبًــا فكنت الـنـاقـد الـمـسـؤولا

فـلأنـت بــوح مــن تــراث حـضـارة
أغـنـت رؤاهـــا الـشـاطـئ المأهولا
يـا خـاتـم الـجـيـل الجميل تحية
لـك فـي شـعـور قـد سـمـوت أثيلا
مـازلـت و«الـخـيّـام» فلسفة سمت
للعشق قـد أحسنتما التفصيلا
دنـيـا يفلسفها الـشـعـور ولـم تكن
كـالـشـعـر فلسفة تجيب سـؤولا

معجبٌ بفتاته كلمة تحليلية اختتم بها البرنامج الأدبي الأديب محمد أمين أبو المكارم ركز فيها على حضور الأنثى في أدب الخنيزي شعرًا ونثرًا ومما قاله: «فكّرت فيما سأكتب، لا سيما وللرجل جوانب متعددة في شخصيته، أأكتب في سيرته وكفاحه منذ الطفولة؟ أم حول نثره؟ أم شعره؟ وتتسع دائرة الأفكار وتتشعب دروبها!

غير أني خرجت عن الجادة إلى فكرة اقتبستها من سيرته، قد لا تتسق والسيرة السائدة في مجتمعنا المحافظ وأحببت الوقوف عندها وهي حضور الأنثى الابنة في حياته، وهكذا انطلقت».

وكان مسك ختام البرنامج إطلالة مسجلة للمحتفى به الخنيزي عبر تصوير مرئي لمدة أربع دقائق جاء فيها «أحيي نجوم الفكر وأقمار السماء الذين اجتمعوا في هذا المساء وكونوا هذه الاحتفالية التي لا أستحقها ولكن تفضلًا منهم وكرمًا» كما أردف كلمة الشكر بأبيات ثلاثة أرسلها تحية للحاضرين رابط الكلمة: (هنا).

واختتم الحفل أمين الزهيري رئيس جمعية التنمية الأهلية بالقطيف قدم فيها شكره وتقديره لجميع المشاركين والحاضرين الذين صنعوا هذه الليلة الاستثنائية، وخص بالشكر صاحب المبادرة الأولى لفكرة التكريم المرحوم المهندس عباس رضي الشماسي الرئيس السابق إلى لجنة التنمية الاجتماعية بالقطيف.

وقبل تناول العشاء تم تقديم الدروع الرمزية والهدايا التذكارية من قبل الجهات والفعاليات والأفراد حيث تسلمها نيابة عن المحتفى به علي محمد سعيد الخنيزي، وأخوه أديب محمد سعيد الخنيزي وقد قدمت من سبع وعشرين جهة على النحو التالي:

١- تذكار رمزي مقدم من ملتقى ابن المقرب الأدبي بالدمام.
٢- هدية رمزية مقدمة من منتدى الكوثر الأدبي بالقطيف.
٣- درع مقدم من منتدى الخط الثقافي.
٤- درع مقدم من جمعية القطيف الخيرية.
٥- درع مقدم من جمعية التنمية الأهلية القطيف.
٦- درع مقدم من جمعية التنمية الأهلية حلة محيش.
٧- درع مقدم من جمعية التنمية الأهلية بالبحاري.
٨- درع مقدم من نادي الترجي بالقطيف.
٩- درع مقدم من نادي الهدى بتاروت.
١٠- درع مقدم من أبناء الحاج المرحوم سعيد الخاطر.
١١- هدية مقدمة من الحاج سلمان السنان.
١٢- درع مقدم من المهندس علي الملا.

١٣- درع مقدم من الحاج نصر عبد الله الفرج.
١٤- درع مقدم من الرئيس السابق لجمعية التنمية الأهلية بالقطيف السيد صلاح الدعلوج.
١٥- درع مقدم من شركة الميثاق الذهبي.
١٦- درع مقدم من صندوق عائلة الخنيزي.
١٧- درع مقدم من عائلة آل عصفور في المنطقة الشرقية والبحرين.
١٨- درع مقدم من مجلس المطوع بسيهات.
١٩- هدية مقدمة من رجل الأعمال سمير عبد الله البيات.
٢٠- هدية مقدمة من مفروشات الشماسي.
٢١- هدية مقدمة من السيد أحمد السيد حسين العوامي.
٢٢- درع مقدم من أهالي سيهات.
٢٣- درع مقدم من عائلة الزاير.
٢٤- درع مقدم من مجلس عائلة الجشي بالقطيف والبحرين.
٢٥- درع مقدم من أبناء المرحوم الوجيه أحمد أبو السعود.
٢٦- هدية مقدمة من الحاج حسن علي أبو السعود.
٢٤- هدايا مقدمة من الحاج مبارك الميلاد والسيد حسن المرعي.

وفي ختام الأمسية تناول الجميع طعام العشاء تخلله حوارات ثقافية وأدبية من الضيوف الكرام.

الجدير بالذكر أن إصدارًا سيرى النور قريبًا يحمل اسم «شيخ الشعراء» يحوي كل المشاركات والدراسات والمقالات التي تناولت الأديب الكبير الخنيزي، وكذلك سيضمن إيقاعات المهرجان أمسية شيخ الشعراء.

١٤

في تكريم الأستاذ الشيخ محمد سعيد الخنيزي

الشيخ منصور السلمان

كتبت هذه القصيدة في تكريم الأستاذ والأب الروحي الشيخ محمد سعيد الخنيزي

قرن وبالزمن المزدان بالعمر يزينه الشيب بان الوجه كالقمر

فيه الخفايا وبالأسرار توعظنا وأنت فيها ملاذ الخير والظفر

ونحن نسرح والآمـال تبهجنا فيض وبالأدب الرقراق كالنهر

فكم سبرتم وللأشعار تبدعها وكم أثرت حروف النثر كالدرر

وكم لمعتم وللتاريخ عهدته من شمسها بخيوط سار بالأثر

وللمعريّ وهو الشك موطنه إثارة حلّ فيها الحرف بالفكر

ودوره الشعر سرٌّ للحياة ندىً آفاقه وربـوع المدح في النظر

رومانسيٌّ من الأشعار أفردها وللدراسة فيها النقد بالصور

وبالكلاسيكيِّ أدوار يشاهدها والنقد فيه عطاء ظاهر الأطر

والعبقري إذ المغمور والده شيخ الفقاهة للإعلام بالعبر

نغم جريح هي الأولـى بغرته وإسمه الحب سرّ الشم للعطر

شمس بلا أفق مالت لطلعته وطلعة منه في الإبـداء للبشر

وللــدراريِّ والأوراق ينثرها كانوا على الدرب آمال بلا نذر
وللتهاويل فيها عبقر وكما وللسماوات ايحاءات للغرر
ذكـرى أخيه له دور لوصلته أبونسيم وغـاب الآن بالحفر
ونقده الأدب الفياض للعرب أضواؤه لمحت يا حلّة العصر
وللظلام من الأشباح نظرته ست وعشرون أشباحا بلا كدر
أبونواس زعيم الشعر أورده دراسـة الشعر للمعنى بلا كبر
وقصة ومضات الغيم أطرها خمس وعشر بسرٍّ حامل القدر
ومن وراء سديم حلة برزت والشعر يعرفه للذوق بالثمر
أيام لندن قد صارت لها صور لما مضى وضباب حال كالمطر
وللقرون لقد أبـدى ملامحها من الوراء وكالإخبار عن درر
تأملات وللماضي ويسبرها وذاكـرات من التاريخ بالزهر
ولم يمت حرفه يوما بنابضه لذاك للحدث التاريخ للسفر
ومستشار غدوتم في تأولكم والكل يرنو لرأي سيرة البشر
كم المواقف لا أسطيع بارزة والكل يشهد في الأيام بالنظر
لكم مواقف والإخبار مستند لقاضي الخط مما جاء بالخبر
لك المديح أمام الكل متصل بما عرضتم من الآراء للعصر
ونحن نعشق فيكم كل وارفة وبامتداد من الإصباح للسحر
فإن تكرم في قرن من الزمن هذا قليل من الآثـار في النظر
ياابن الخنيزيِّ للآمال عزتها وبالفقاهة ملؤ السمع والبصر
أبــوك خير إمــام فـي فقاهته يكفيك فخرا بهذا العز للأسر

١٥

يا راهِبَ الشِّعرِ ..

أحمد الخميس

في الإحتفاء بشيخ الشُّعراء الأستاذ محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي حفظه الله تعالى وأطال في عمره المبارك في ليلة تكريمه من مساء الأربعاء الثاني من ذي القعدة ١٤٤٣هـ الموافق للأول من يونيو ٢٠٢٢م

قُـمْ رَتِّــلِ الشِّعـرَ..... واتـلُـو وحـيَـــهُ سِـــوَرا
وانــشـر ضِـيَـــــاءَكَ.... فــي الآفــاقِ مُـنـهَـمِـرا!!

يـا رَاهِـــبَ الـشِّـعـــرِ.... قُـــمْ بَـلِّـــغ رسـالـتَـــهُ
إنْ لـم تُـبـلِّـــغ..... فلن تَلقى لـهُ أثَـــرا!!

يـا رَاهِـــبَ الـشِّـعـــرِ.... قُمْ واحمل مشاعلَهُ.....
حتى نَـرى الـقَـيـدَ..... في الكَفَّينِ قد كُسِرا!!

قُـمْ وازرَع الـحُـبَّ.... كي تَنمُو سنابِلُـهُ.....
بـعـــد الـيـبَـاسِ..... ويَـغـدو الــزَّرعُ مُـزدَهِـرا

وارو ظَمَا الحَرفِ.... فالأغصانُ ذابلةٌ
ووَاحةُ القَلب..... أمسَت بلقعاً قَفِرا!!

مُذ أوغَلَ المَحلُ..... لَمْ تَنضَحْ روافِدهُ
وكيف تَنضَحُ..... إنْ لم تُهطِلِ المَطرا ؟

يا راهِبَ الشِّعرِ.... مَنْ للشِّعرِ يَقرأهُ....
سِفراً مِنَ النُّورِ.... فيهِ الحُبُّ قد نُشِرا ؟

قُمْ رَتِّلِ الشِّعرَ..... في مِحرابِ غُربتِهِ....
فمِصحفُ الحُبِّ.... بين النَّاسِ قد هُجِرا!!

قُمْ أطلِقْ الفِكرَ..... مِنْ أغلالِ ظُلمَتهِ
كي يَنجلي الليلُ.... عند الفجر مُندحِرا!!

يا عَازف الشَّعرِ.... قُمْ شَنِّف مَسامِعَنا
فمَن سِوَاكَ تُرى.... قد دَوْزَنَ الوَتَرا ؟

يا شَاعِرَ الخَطِّ.... عَينُ الخَطِّ ناظِرةٌ....
إلى يَراعِكَ فارسُم.... حُسنَها صُوَرا!!

واستَودِعِ الشِّعرَ..... أسفَاراً مُسَطَّرةً.....
مِنْ مَجدِ «كيتوس».... واستَشهِدْ بها العُصُرا!!

فــي كُـــلِّ شِــبـــــرٍ.....	لـعـبـدِ الـقـيـس ملحمَةٌ
تَحكي مـنـاقِـبَـهـــا....	عــزمَـــاً ومُـفـتَـخَـــرا!!

أَخَـــالُ طَـرفَـــةَ.....	مَسحُوراً بفِتنَتِهـا.....
كأَنَّمـا مِـنْ كُـؤوسِ.....	الـعِـشـقِ قـد سَـكِـــرا!!

يُـزجـي قـوافـيــــهِ.....	ألـــحـــانـاً بـواحـتِـهـــا
يُـسَـامِـرُ الـلـيـــلَ.....	والـعُـشَّـاقَ والقَمَـرا!!

يَـهـشُّ لـلـقـلـعَـــةِ....	الشَمَّاءِ حِين زَهَـت....
بـــالـمـــاجِـدِيـــن....	وبـالأَعــلامِ والـشُّـعَـرا!!

يـاطـائِـرَ الـشَّــوقِ.....	غَـــرِّد فـي جَنائِنهـا
واهــمِــسْ لـعِـشـتــارَ:	« إنَّ الـشَّـوقَ ما فَـتَـرا «

وامـــرُر بِـداريـــــنَ.....	وأسـأل عن مَراكِبهـا....
واستَنطِق البَحـرَ.....	والـيـامَـــالَ والــــدُّرَرا

هــذي فـرائِــــدُكَ.....	الـغَـــرَّا تُـحـدِّثـنـــا....
تَحكي غَــرامَـــكَ....	مَشبُوبـاً ومُستَعِـرا!!

ما جِئتُ أمـدحُ بـل.....	أسـتَـــافُ بـعـضَ رُؤىً

وأنـهَـــلُ الـعَـــزمَ.... مِـن رُؤيَـــاكَ والفِكَـرا

أكــبــرتُ فـيـــكَ..... اجـتـهـاداً لا حُــدودَ لهُ
مُـنـذ ارتَـقـيـتَ بـــهِ.... للمَجدِ مُـقـتَـــدِرا!!

لـم يُـثـنِـكَ الـــدَّاءُ.... عـن عَــزمٍ وعــن هِمَـمٍ
مهمـا عليكَ قَسـا.... أو أطـفـأَ الـبَـصَـــرا!!

مــازلــتَ بـالـشِّـعــرِ.... مَـسـكـونـــاً ومُفتَتِناً
سَـيَّـــان ذُبـــتَ بـــهِ.... أم فـيـكَ قـد صُـهِـــرا!!

مــازلــتَ بـالـحُـــبِّ.... تَـبـنـي لـلـعُـــلا وطـنـــاً
تُـؤنـسِـنُ الـشِّـعـــرَ.... حـتـى يُـسـعِـــدَ الـبَـشـرا

أنـفَـقـــت أجــمــلَ.... مـافـي الـعُـمـر مـن دُرَرٍ
كيما تـرى الـحُـلْـمَ.... في الأحــداق قد كَـبُـرا!!

مــازلــتَ مَــدرسَـــةً.... للجيـلِ تُـلـهِـمُـــهُ....
عِشقَ الـحـيَـاةِ وإنْ.... كـــان الـــمَـــدَى وَعِـــرا!!

هـــاكَ اعـــتـــذاري..... يَكادُ الشَّعرُ يَخذلُني....
جَـلَّ المقامُ وعـنـكَ... الـمَـــدحُ قـد قَـصُـــرا!!

بُـورِكـتَ مِـنْ مُـلْـهِمٍ.... شَـعَّـت مَـآثِـــرهُ....
فاسْلَـم لنا رائِـــداً.... يـا أنـبَـــلَ الـشُّـعَـــرا!!

أحمـد الخميـس

الرياض

٢٨ مارس ٢٠٢٢

عضو منتدى الكوثر الأدبي بالقطيف

١٦

ذَوبُ نورٍ وَحِبرٍ

أيمن محمد الشمَّاسي

بمناسبة الحفل التكريمي العام المقام للاحتفاء بالأستاذ الشاعر الأديب/ محمد سعيد بن الشيخ علي الخنيزي - حفظه اللَّه.

ما أجمل الأُفقَ والشِّعرَ الذي كَتبَكْ!!
كَيفَ انسكَبتَ عَلى حِبرِي بِمَا وَهَبَكْ ؟!
الصُّبحُ مَعنَى يَسوعٍ فِي أَضَالِعِهِ،..
وَأَزرَقُ النُّورِ نَاقُوسٌ،.. فَمَا صَلَبَك،..!!
وَنَـايُـكَ الـ(حُـبُّ) مَفتُونٌ بِأُغنِيَةٍ
(جَرَحتَ أجمَلَ أَنغَامٍ) لِتَرسُمَ لَك[1]
(كَانُوا عَلَى الدَّربِ) لَحنًا فِي صَباحِ سَنًا
حَتَّى يَعُودَ شَـذَا أَحـلَاهُ أسورَتَك![2]

(١) إشارة لديوانه: (النغم الجريح).
(٢) إشارة لديوانه: (كانوا على الدَّرب).

(الشَّمسُ تَرفُو خُيُوطًا) سِلنَ مِن ذَهَبٍ
هَل أَسأَلُ الشَّمسَ: مَا الخَيطُ الذِي غزَلَك؟![١]
مَــرَّت بِــ(عَـبـقَـرَ) أَسرَارٌ مُـرَفَّـهَـةٌ
تِلكَ (التَّهَاوِيلُ) مَعنًى كَانَ قَد نَسَجَك[٢]
مَا أَجمَـلَ (الشِّعرَ دَورٌ فِي الحَيَاةِ) نَدًى
يَكَادُ فِي كُـلِّ مَعنًى يقتَفِي طَلَلَك[٣]
(مَدينَةٌ) لِـ (الدَّرَارِي) بَعضُ مَا رَسَمَت
كَفَّاكَ فِي مُصحَفِ الأَمجَادِ إِذ جَدَلَك[٤]
(شَيءٌ هُوَ الحُبُّ) لَولَا (جَرسُ حُزنِكَ) مَا
كَـانَ فَـوقَ الــدَّرَارِي يَرتَدِي تَعَبَك[٥]
(العَبقَرِيُّ) وَكُــلُّ المَجدِ (يَغمُرُهُ)
بُورِكتَ مَجدَ حَيَاةٍ تَرتَضِي حَسَبَك[٦]
(أَضــوَاءُ نَـقـدِكَ) أَورَاقٌ خَلدتَ بِهَا
مُوسَى يَمِينُكَ لَو فِي وَمضَةٍ قَبَسَك!![٧]
(أَورَاقُــكَ) السُّمرُ نَظمٌ فِي (تَنَاثُرِهَا)
لَـولَا شُرُودُ بَهَاهَا عُـدنَ أَردِيَـتَـك[٨]

---

(١) إشارة لكتابه: (خيوط من الشمس).
(٢) إشارة لديوانه: (تهاويل عبقر).
(٣)إشارة لكتابه: (الشِّعر ودوره في الحياة).
(٤) إشارة لديوانه: (مدينة الدراري).
(٥) إشارة لديوانَيه (شيَء اسمه الحب) وَ (أَجراس حزينة).
(٦) إشارة لكتابه: (العبقري المغمور).
(٧) إشارة لكتابه: (أضواء من النقد في الأدب العربي).
(٨) إشارة لِديوانه: (أوراق متناثرة).

سَأَلتُ (شَمسَكَ): أَينَ الصُّبحُ فِي (أُفُقٍ) ؟
مَرَّت بِي الشَّمسُ حُزنًا يَرتَدِي حُلَلَك[١]
إِنِّي نَوَيتُ بِأَن أَزهُو بِأُغنِيَتِي
لَولا انتَفَضتَ شَذًا قَد حَاكَ مِحبَرَتَك!!

(١) إشارة لديوانه (شمس بلا أفق).

١٧

زَهَا بِكَ الشِّعْرُ

محمد رسول الزاير

زَهَـا بِـكَ الشِّعْرُ، كَـمَا النَّثْرُ ازْدَهَــرْ
مُـذْ بَـانَ فِي الحَـفْـلِ مُحَـيَّـاكَ الأغَـرّْ

أهْــلًا، وَقَــدْ شَرَّفْـتَـنَـا فِي مَحْـفِـلٍ
بِـهِ ازْدَهَــتْ كُـلُّ الـعُـقُـولِ وَالفِكَرْ

فَـمُـذْ طَـلَـعْـتَ بَـيْـنَـهُـمْ، تَـبَـاشَرُوا
وَالْـتَـأمَ الجُــرْحُ، عَـلَىٰ نَـغْـمِ الـوَتَـرْ

مِـنْ (أُفْـقِـكَ) الشَّمْسُ بَـدَتْ مُشْرِقَةً
فَـلَا سَحَابَ فِي (الــذَّرَارِي) والعِبَرْ

وَفِي (الخُـيُـوطِ)، الخِـطُّ يَزْهُو مُورِقًا
فِي نَسْجِهِ الـرَّاقِـي حَقِيقًا قَـدْ نُـشِرْ

وَالـنَّـقْـدُ إنْـصَـافًـا أَتَــىٰ فِي ضَـوْئِـهِ
وَالحُـبُّ (شَيْءٌ) بِاسْمِهِ القَلْبُ عَمَرْ

(كَـانُـوا عَـلَى الــدَّرْبِ) لِمَـنْ يَـقْـرَؤُهُ
خَـيْرُ أَنِـيـسٍ وَجَـلِـيـسٍ فِي السَّمَرْ

نَـصَرْتَ أَهْـلَ البَيْتِ نَـصْرًا ظَاهِرًا
لِحَـرْفِـكَ المُـشْرِقِ أَجْمَـلُ الأَثَـرْ

وَالشِّعْرُ قَدْ أَوْضَحْتَ مِنْ (أَدْوَارِهِ)
قَـرَّرْتَ : هَلْ شَكَّ المَعَرِّي أَمْ كَفَرْ؟!

وَفِي (الـشَّرِيـفِ) قَـدْ بَـدَتْ صَحَائِفٌ
فِـيـهَـا مَـعَـانٍ يَـانِـعَـاتٌ بِـالـثَّـمَـرْ

أَجْمِـلْ بِـصَـالُـونٍ غَـدَا مَـدْرَسَـةً
يَـصْـدُرُ عَـنْـهُ المَـرْءُ، دُونَـمَا ضَجَرْ

فِي كُـلِّ عَـصْرٍ مُـنْـتَـدًى يَـعْـمُـرُهُ
عِـلْـمٌ يُـذَاعُ صَـافِـيًـا، كَـمَا الـدُّرَرْ

مُـنْـذُ عُـقُـودٍ وَهْـوَ نُـورٌ مُـزْهِـرٌ
كَـمْ شَـاعِـرٍ وَنَـاثِـرٍ فِـيـهِ ظَـهَـرْ!!

وَكَـمْ بِـهِ مِـنْ مُـشْـكِـلٍ حُـلَّ بِـمَا
يُـرْضِي الجَـمِـيـعَ إِذْ بِـهِ اللهُ أَمَـرْ!!

كَـمْ لَـكَ دُونَ الخَـطِّ مِـنْ مَـوَاقِـفٍ
أَظْهَرْتَ فِيهَا وَاضِحًا بُعْدَ النَّظَرْ!!

سَـهِـرْتَ إِخْـلَاصًـا، وَنَـامَـتْ أَعْـيُنٌ
لَا يَـسْـتَـوِي نَـوْمُ الـلَّـيَـالِي وَالسَّهَرْ

تَـبْـذُلُ فَـوْقَ الـوُسْـعِ، وَالأَنْـفُـسُ فِي
شُـحٍّ، وَمَـا الـبَـاذِلُ مِـثْـلَ مَـنْ قَـتَرْ

فَـلْـيَـفْـخَـرِ الخَـطُّ بِـهِ مِـنْ صَـادِقٍ
حَـازَ المَـعَـالِي، وَبِـهِ المَـجْـدُ افْتَخَرْ

أَلَـيْـسَ مِــنْ نَـسْــلِ كِـــرَامٍ رُسِّــخَـتْ
دَعَـائِـمُ الـدِّيـنِ بِهِــمْ حَتَّى اسْتَقَرّْ؟!
دُمْ -يَـا أَخَـا المَـجْـدِ!- لَنَا، فِي صِحَّةٍ
مَـا طَلَعَتْ شَـمْـسٌ، وَمَـا ضَـاءَ قَمَرْ

٢٦/ ٨/ ١٤٤٣هـ

18

فَارِسُ الشِّعْر..!

حسن علي جليح

يَـنْـسَـابُ شِـعْـرُكَ مِـنْ رَقِـيـقِ المَـاءِ
عَـذْبًـا يُـعَـالِـجُ ظَـامِـئَ الـشُـعَـراءِ

بِـحُـرُوفِـكَ الولهَى تَنَفَسَتِ الـرُؤى
حُـبًـا وأَنْــتَ تَـضُـوعُ بِـالأَشْـذاءِ

غُصْنُ المَشَاعِرِ مِنْ رَبِيعِكَ مَا ذَوى
يَـومًـا وبَـانَ كَـبَـاقَـةٍ حَمْـرَاءِ

مَـا لامَـسَـتْ نَـفَـحَـاتُ حُـبِّـكَ مَيتًا
إلا وعُـدْتَ بِـهِ إلى الأَحْـيَـاءِ

وأَحَلْتَ صَحْراءَ الشُعور بِمَا انْطَوى
مِـنْ رَاحَـتِـيـكَ لِـدَوحَـةٍ غَـنَـاءِ

وأَقَـمْـتَ بِالشِّعْرِ الشَفِيفِ مَآذنًا
تهَـبَ الحَـيَـاةَ إلى الـبَـعِـيـدِ النَائِي

يَابْنَ الزَعَامَةِ مِـنْ عُـلاكَ توشَحَتْ
أَرَضَ الـقَـطِـيـفِ بِـرَايَـةِ الـنُـبَـلاءِ

بُـوركْـتَ يَـا نَجْلَ الإمَــامِ وبُـورِكَـتْ
أَيَـــاتُ مَجْــدِكَ مِــنْ فَــمِ الـبُـلَـغَـاءِ
يَـا فَــارِسَ الـشُـعَـراءِ مِـنْـكَ تَأَلَقَتْ
فِي الخَــالِـدِيــنَ سُــلالَــةُ الـعُـلَـمَاءِ
آلُ الخُـنَـيـزِيْ والـسَـمَاءُ تَـأَلـقَـتْ
بِنُجُومِهِمْ فِي الأُفْــقِ دُونَ خَـفَـاءِ
عَبْدُ الحَمِيدِ أَبَـا القَطِيفِ وشَيخُهَا
وزَعِـيـمُـهَـا المِـقْـدَامُ فِي الــضَرَاءِ
والـطَـودُ عَـبْـدُ الله صَـاحِـبُ حِنْكَةٍ
قَــادَ القَطِيفَ بِـحِـكْـمَـةِ الـزُعَـمَاءِ
وإلـيْـكَ يَـابْـنَ الـطَـامِحِـينَ تَــرَددتْ
أَصْــواتُ أَهْـلِ المَـجْـدِ فِي الأرجَــاءِ
إنّ الـــدُرُوبَ تَــعَــدَدتْ لَـكِـنَـمَا
مَــا اخْــترتْ إلا سِـــيرَةَ الـعُـظَـمَاءِ
الشِّعْرُ والشُعراءُ مِـنْ أَقْـصَى المَدَى
لَــكَ أَحْــرَمَــوا يَـا قِـبْـلَـةَ الأُدَبَـــاءِ
فِي كُـلِ فَـنٍ قَـدْ سَـمَـوتَ ولا نَـرَى
إلاكَ أَنْــــتَ بِـقِـمَـةِ الـعَـلْـيَـاءِ
والجَـاذِبِـيَـةُ مِـنْـكَ تُــشْرِقُ للورَى
بِـمَـحَـبَـةٍ وتَــواضــعٍ وإِبَـــاءِ
يَـا مُـبْـدِعًـا أَثَـــارُ شِـعْـرُكَ حَلَقَتْ
بِـقُـلُـوبِـنَـا لِـشَـواطِـئِ الأهْـــواءِ

وعَـزَفْـتَ مُوسِيقَى يُلحَنُ مَوجَهَا
-نَـغَـمًا جَـرِيحًـا- ضَـجَ فِي الأَجْــواءِ
ونَظَمَتَ -شَيئًا اسْمُهُ الحُـبُّ- ارتَقَى
شَـغَـفًـا يُـعَـانِـقُ غَـيَـمَ كُـلِ سَـمَاءِ
وعَـلَى رِحَـابِ الشِّعْرِ مِنْكَ تَوهَجَتْ
-شَـمْـسٌ بِـلا أُفُـقٍ-لِـعَـيْنِ الـرَائـي
وتَـلَـتْ دَواويـــنٌ تُـبَـلـورُ شَـاعِـرًا
عَـشَـقَ الحَـيَـاةَ بِـرِقَـةٍ وصَـفَـاءِ
للهِ وقَـعُـكِ فِي الـقَـصَـائدِ إذْ أَبَـتْ
إلا تَـعُـودَ إلـيْـكَ بِـالأضْـــداءِ
مَـا جَـفَّ حِـبْرُكَ مُمْـرعًـا بِـعَـطَـائِـهِ
مُـتَـفَـردًا يَـا خَـاطِـفَ الأَضْـــواءِ
ونَـــذَرتَ إحْـسَـاسًـا يَـمُـتُ إلى الـوِلا
يُـنْـمَـى لَــهُ بِـمَــودةٍ وإخَـــاءِ
كَـمْ غَــرَدَتْ نَبَضَاتُ قَلْبَك بَهجَةً
بِـمَـدِيـحِ أَحْمَـدَ صَـاحِـبِ الإسْراءِ
وبِــأحْــرُفٍ نَـجَـفِـيَـةٍ لـلـمُـرتَـضَى
نَـاجَـيـتَـهُ بِـقَـصَـائِـدٍ عَـصَـمَاءِ
وإلى الـبَـتُـولِ وشُــبرٍ قَـدْ أَيْـنَـعـتْ
فِي كُـلِ حَـفْـلٍ مِـنْـكَ زَهْــرُ ثَـنَـاءِ
وعَــلَى لَـواعِـجِـكَ الحَـزِيـنَـةِ بِالبُكَا
تَـرثِـي إمَــامَــكَ سَـيّـدِ الـشُـهَـداءِ

ووهَـبْـتَ شَطْرَ العُمْرِ أشْـعَـارًا عَلَى
وصْـــلِ الأئــمَــةِ سَـــادَةَ الـنُـجَـبَـاءِ
ولَـقَـدَ تَسَامَى الـبَـوحُ مِـنْـكَ إلِيْهُمُ
عُـمُـرِيْ لَـكُـمْ أَفْـدِيـهِ يَـا شُفَعائي
قَـــرْنٌ تَـــورّدَ بِـالـعَـطَـاءِ ولَمْ يَـزَلْ
تَـرعَـاهُ أَلْـطَـافٌ مِـنَ الـزَهْـرَاءِ..!

حسن علي جليح

١٩

حبرٌ على عصا موسى

أحمد الماجد

احتفاء بالنغم الجريح شيخ شعراء القطيف الشاعر الكبير محمد سعيد الخنيزي أطال اللّٰه بقاءه.

غالى الـرهـانُ فـزادَ الحدَّ عن عطرِ
رشُّ الطيوفِ وكـفَّ الحدُّ عن شِعرِ
لا عــذرَ للريح أن تبقى بـلا عملٍ
وخـبـرةُ الحبرِ فـاقـتْ خـبـرةَ الزهرِ
والـسـنـبـلاتُ زفـافـاتٌ مـؤجـلـةٌ
عـروسُـهـا عـثـرتْ بالطبعِ والنشرِ
وزوبـعـاتُ انـبـهـارٍ خـلَّـفَـتْ مقلا
بصفحةٍ بـــرزتْ نهدين مـن حبرِ
ورقـصـةً تحفظ الـفـرشـاةُ أرجلها
عن خصر عمرينِ فاهززْ عازفَ العمرِ
حلمانِ يختلفان، العينُ تهمسُ
للعينِ استطعنا جدال النجم والظهرِ

حـلـمـان ينغلقان افتحهما بيدٍ
على يـدٍ واحـفـر الأجـفـانَ بالبحرِ
واشـــربْ نـوافـذَ أوطـــانٍ لتفهم ما
يجول في خاطر الأنـسـامِ من دهرِ
تُعلِّبُ الشمسَ ما استكثرتَ من لغةٍ
خـزائـنـا لـكـسـادِ الـشـمـسِ والـبـدرِ
بحقنة فــي يــد الــتــأويــلِ تبعثه
محصنًا بــســعــالِ الــمــد والــجــزرِ
فما تــنــازل غــيــبٌ وامــتــطــى قلمًا
إلا بما لعصى موسى مــن السحرِ
ثـغـرٌ بصمتِ بــلادٍ أو غــنــاءِ مــدىً
فـقِـسْ بـأخـطـاءِ مكيالٍ مــدى ثغرِ
ولقنِ الغيم درسَ الحبرِ، مدرسةً
للعصفِ والرجفِ والإعصارِ والهدرِ
واقفز على غمضةِ الجدرانِ مرتديا
خفًّا مــن الــريــح أو خفًّا مــن النهرِ
لتستقر عــلــى عــيــنــيــك أجــنــحــةً
في درس تحليقها المبدوء من سطرِ
الــعــابــرون عــلــى كــفــيــه ضيعهم
إلــى الــنــيــازكِ مــا عـــادوا إلــى البرِّ
فــمــا عــســاه يـقـول الـيـوم مــعــذرةً
ومــا يــزالــون فــي منفىً عــن العذرِ
يـقـيـم قلعته مــن هـــدمِ حـنـجـرةٍ
يُـنَـوِّبَ الغيبَ معمارا عن الصخرِ

وربــمــا هبطت كــل الــســمــاء إذا
مــا لــم يــكــفَّ بعلياها عــن الحفرِ
قــيــامــةٌ حــيــن لا أزرار تغلقها
فاحفل بها يوم حشر النجمِ والقَطرِ
بــمــســرحٍ منهك تــعــدو مشاهده
مــن الــحــوافــر يبنى أو مــن الطيرِ
أصــابــعٌ تفتح الــدنــيــا وتغلقها
مــجــرةً، عشرُها تخفى عــن العشرِ
خــذنــي إلــيــهــا دواويــنــا مــهــاجــرةً
وعــد مــنــافــيَ طــوفــانٍ عــن الــنــزرِ
لا نــجــمَ إلا ومــثــقــوبٌ بفكرته
فلم يفتْ موعدُ الأقــراطِ عن فكرِ
وقـــاربٍ مــخــرَ الأمـــواجَ ألسنةً
على الــشــفــاه مــراســيــه ولا يــدري
وشــمٌ على كتف الأعـــوامِ منبعُهُ
بما يــديــن بــه خـــدشٌ على الظفرِ
مِــن طـــاولاتِ خــريــرٍ، مِــن مقاعدِهِ
مــمــشــاه يمحو بــه أمــيــةَ الصخرِ
عــقــالُــهُ قــيــدَ الأكـــوانَ جمجمةً
فــلا مَــحــالــة مــن وعـــيٍ بــلا قُــطــرِ
ولا مــغــبــة مـــن ســبــابــتَــي مــطــرٍ
وشــهــريــارِ مـــدىً فــي مــذبــحِ الشبرِ
الآنَ والآنُ مـــوؤودٌ على عجلٍ
بساعةٍ نُـــزِعَـــتْ مــن راحـــة الحصرِ

والآن يبحث عن آن يرافقه
لشهقة تحذفُ الأزمانَ من دَورِ
لصوته زرقةٌ تصغي الضفافُ لها
لصمتهِ نخلُ ما يخفى عنِ التمرِ
وربما أغمضَ الترحالُ خطوته
لتتقن القفز بين الشطرِ والشطرِ
وربما قلَّبَ المعراجُ صفحته
لكي يعطلَ أبياتًا عن النشرِ
فانقع بُراقًا وخذ مضماره قدحًا
لكي تؤدي دُيونَ النجمِ للخمرِ
تحتَ اللسانِ مساحاتٌ عسى قمرٌ
ينامُ بين لعابِ الجهرِ والسرِّ
وربما قلمٌ أو ربما قدمٌ
سيانِ حين يهُمُّ الكونُ للسيرِ
حنَّ المدادُ إلى قنينةٍ نَقَعتْ
رقصَ الكواكبِ فانشر صفحةَ الخصرِ
آثارُ أقدامك الأوتارُ تحفظها
ظمأى الأغاني التي سارت على إثرِ
عما مرايًا وعما صهلةٍ كتمت
ملامحًا تَكسِرُ المرآةَ في مُهْرِ
كف الشتاء حديث الغيم منذ رأى
كفيك تنصر أكواخا على قصرِ

ومــــذ رآك تــربــي الـغــيـم أمـنـيـةً
لـلـعـائـديـن لــبـــاءاتٍ بـــلا جـرِّ
والـكـون يسبح كـم طـودٍ تُـعَـرِّشُـهُ
بـبـصـمـةٍ فتغطي ســوأة الـقـشرِ
أبـا أديــبٍ وصحِّحْها «أبـا الأدبـا»
من كان في الرحم أو من بات في القبرِ
بلعتَ ريـقَـكَ أفقًا بعدُ ما رجَعَتْ
منه العصافيرُ كم للريقِ من حِجْرِ
يـنـافـحُ الـعـدُّ والآبـــادُ مـوهـبـةٌ
نـذرٌ على العمرِ أم عمرٌ على النذرِ
كُـرِّمْـتَ لو تحضرُ الشطآنُ لو خرج
التصفيقُ من سلطة الأيدي إلى البحرِ
وجُلْتَ ما جالَ في الألقابِ من قمم
وغصتَ ما تَغرقُ الأوطـانُ في صدرِ
فـارم الـمـدادَ وعـد للشعر ثانيةً
وارسـمُ سماواتِك المليونَ بالصقرِ
توضأ الشعرُ بـالـطـوفـانِ، لحظتُهُ
فـي كـل حرفين تقضى ليلتا قَـدرِ
فـأولـمِ الشمسَ مـا زالـت نوافذنا
جوعى وما زلـتَ مأمونًا على القِدرْ
ومـا يـزال بـخـورُ الـرمـزِ منتصبًا
لم يقض أوطـارَهُ الفصحى من الجمرِ

مهلا لكي يعبر الـتـاريـخُ بصمته
الكبرى وينفق ما لم يبنِ من جسرِ
مهلا لكي تُـرجِـعَ الدنيا لها رمقًا
ما بين خطوتك العصماء والجهرِ
ومــا لـبـحـرٍ جـلـوسٌ أيــن مقعده
ومــا لموجك أن يشفى مــن الــدُّرِّ
الـسـاكـنـون قطيفا فـي يـديـك ألا
يا نخلُ كتفانِ نجوى السعفِ والجذرِ
ألا مـهـبًـا مــن الأقــــلامِ منتهبًا
يبقي الـرئـاتِ تماثيلا مـن الشعرِ
مــاذا سيبدي إذا ما الخلدُ حائكُهُ
خِــدرُ الـقـوافـي ليبقيها بـلا خـدرِ
حدق بنجمٍ وأغمضْ بالكواكبِ كم
للكحلِ دلــوٌ وكــم للعين مـن بئرِ
يــا بائع الغيبِ والمكيالُ متسخٌ
بالمستحيل، وشى المجهولُ بالسعرِ
لا تسترح قـدر ما تخفيه من سكك
واسكب عصيرَ قطارِ الأمـسِ للعصرِ
كم مولدٍ لك تحتاج القرى لترى
قيامةَ الشعرِ بين الشهبِ والسدرِ

٠١/ ٠٤/ ٢٠٢٢م

٢٠

تحية إلى الأستاذ الشاعر الحاج محمد سعيد الخنيزي

سماحة العلامة السيد عبدالأمير سيد ناصر السلمان

طافت بمغناكَ أشعاري فطاب فمي
رسمتُ حُبَّك بين القلبِ والكلمِ

وشـدّنـي شعرك الـزاهـي وشجعني
على الثناءِ قصيدٌ في ذُرى القِممِ

نسجتَه يا سعيدَ العلم في صُحفٍ
كـأنـه الـوحـيُ مـكـتـوبٌ بـلا قلمِ

يا شاعرَ الخَطِّ أدري أنـتَ مفخرةٌ
وتـسـتـحـقُّ لـتـبـجـيـلٍ مـن الأمـمِ

أكمل مسيرتك الكبرى فـذا شرفٌ
تُتم عُـمـركَ بين الشعر والحِكمِ

حـبـاك شـيـخُ عـلـيّ مـن مـواهـبـه
وذي الـمـواهـب أكـوان مـن النِّعمِ

١٢ شوال ١٤٤٣هجرية

٢١

وعبرت أزمنة الرهان

علي مكي الشيخ

في حضرة العبقرية.. شعرا ونثرا واعيا

وبين يدي أستاذ أدباء القطيف الأديب محمد سعيد الخنيزي..

وهو يخيط أزمنة الإبداع بإبرة الجمال والحب.. ليصنع للقطيف سلال الضوء.. متوشحا نكهة الأبد..

وعرفانا لطول مسيرته المعبأة بالإبداع.. أنثر بين يديه هذه الحروف الخجلى..

أن تسرق..
الإعجاز قبل زمانه..
هو أن ترى اللاشيء خلف مكانه

وإذا ابتكرت

الوحي كنت نبيه..
وزهوت كالخيّالِ فوق حصانه

وتجرك
الكلمات.. فوق مجازها
فإذا الكلام يراك.. طهر لسانه..

وسكبت
فنجان الهوى متأكدا
أن المذاق.. رآك في.. فنجانهِ

وعبرت
أزمنة الرهان جميعها
فوفى لك المضمارُ عند رهانهِ

والضوء
حين يراك تغسل طبعه
بالعبقرية.. يحتفي بكيانهِ

ما أنت
إلا صنع ذاتك.. هكذا
فردٌ.. تجلى السحرُ عند بيانهِ

شغلتك..
عنك الأبجدية مغرمًا
كي تغرس الإنسان في إنسانه

كنت
القطيفَ على امتداد عصورها
كأسٌ.. رأى الإيمان في إدمانهِ..

للأرض
نكهة شاعر.. متصوفٍ
رقصت جلالته على أوزانهِ

نغم جريح..
كان يغسل.. صوته
بهواك حتى صرت من إخوانه

هذا..
وشيءٌ «إسمه الحب.». ازدهى
سحرا شهيا في أرقِّ حنانهِ

يشدو
بك المعنى حكايةَ شاعرٍ
متصوفٍ متبتلٍ.. بكيانهِ

تبني
القطيفَ.. حضارة مغزولة
وعيًا.. يجيدُ الكشفَ عن أوطانهِ

ملأى
بكَ الكلماتُ.. وهي مآذنٌ
عشقتك عشقَ بلالها لأذانِهِ.

وكأنّ (طرفةَ)
فوق وشمك غارق..
يهدي لخولتهِ.. صدى ألحانهِ

ويراك..
في أطلالِ ذاكرة الهوى
«شمّسا بلا أفُقٍ» زهت بجمانهِ

وبنيت..
قلبك.. بيت عزٍّ.. شامخٍ

فإذا الهوى والحبُّ من سكانِهِ

مذ قلتَ
شعراً رقَّ فوق شفاهِهِ
كاللحن يرقصُ في يدي فنّانِهِ

يشتاقكَ
المعنى.. إذا راودتَهُ
كالغصنِ مشتاقاً إلى رمّانِهِ.

****

سطّرتَ
ملحمة الجمال.. وقلتها
إنّ الكتاب.. يُشفُّ من عنوانِهِ

عنوانُ..
مدرسة الجمال.. قطيفها
بلدٌ.. يحبُّ اللهَ.. في قرآنِهِ

أهديتهُ
عمرًا...ولم تمننْ.. بِهِ
طبعُ الأبيِّ.. يغضُّ عن إحسانِهِ

فرآك..
وعيا.. واصطفاكَ.. هُويّةً
وأتاك مشتاقًا إلى شطآنِهِ

يابن..
القطيف.. أبوّةً.. ونبوّةً
كنْ» باب حطّتِهِ» إلى غفرانِهِ.

علي مكي الشيخ

٢٢

وحي من الشعر..

شعر : مصطفى حسن أبوالرز

ألقيت في مهرجان «شيخ الشعراء» الذي أقيم لتكريم شاعر القطيف المخضرم الأستاذ محمد سعيد الخنيزي يوم الأربعاء الموافق ١/ ٦/ ٢٠٢٢م.

وحيٌ من الشعرِ يجلو الدربَ فانكشفا
إن يسمعِ القلبُ من ترتيلِهِ وَجَفا!
نبعٌ سقى من بيانِ القولِ داليةً
والشاعرُ الفذُّ من أعنابِها قَطَفا
من كفِّهِ سال يَسقي الدوحَ فانتعشت
كفى الخميلَةَ منهُ اليومَ ما وَكَفا
والعاشقونَ جميلَ الحرفِ ظامئُهم
من البديعِ رواهُ اليومَ ما غَرَفا
فأبحرُ الشعرِ تمضي طوعَ امرتِهِ
يأمرْهُ يجري وإلا ماؤهُ وقفا
أطاعهُ. ألأنَّ الشعر يعشقُهُ
كأنّما قد غدا في حُبهِ دَنِفا !

يـغـوص ُفــي لُــجّــهِ يجلو مفاتنَهُ
يمضي يُفَتِّح عن أســرارهِ الصَّدَفا
تــلــوحُ منها الآلــي فـهـي لامـعـةٌ
والقلب ُيخفقُ من إعجابِه ِ شغَفا!

❊❊❊❊

هي «القطيفُ « بشطّ الشعرِ حالمةٌ
تَـوسَّـدَ الشعرُ في أحضانِها وغَفا
فــإن تـعـكَّـر بـحـرٌ مـنـه ُظــلّ بها
بـحـرٌ نمير ٌ وعــذبٌ بالبيان صفا
قد سطّرت منذ كان الحرفُ أجمَلَهُ
كانما الشعرُ قبلَ الـخَـطّ مـا عُرفا
فــي كــلّ عـصـرٍ لِـهـا سِـفـرٌ تـعـزُّ بهِ
فـالـتـوأمـان طــوالَ الأعـصـرِ ائتلفا
فــي دوحِـهـا صَـدَعـت دومًــا بلابلهُ
ولحنُه ُفــي سماها طالما عُـزِفـا!

❊❊❊❊

هــذا (الخنيزيُّ)مـن قـرنٍ خـرائـدُهُ
عَقدٌ من الـدُرّ في جِيدِ الدُّنا انتصفا
(كيتوسُ) راحت تباهى في حلاوتِهِ
مـديـنـةٌ لــلــدراري مثلما وَصَـفـا

دعــاه يُـرقـى لـعـرشِ الشعر سـادتُـهُ
كُـــل أقــــرَّ لـــهُ بـالـفـضـلِ واعـتـرفـا

يــداهُ تُدني «خيوط َالشمسِ» حائكةً
بـدائـعَ الفكرِ تقفو خـطـوُهُ السَّلفا

«كانوا على الــدربِ» لكناّ «بلا أفق»
سـرنـا ونــزعُـمُ أن كُـنـا لهم خَلَفا

والـخَـبُّ يفخرُ والمغمورُ منتصبٌ
يبدو على الـرغـمِ من أحـوالـهِ أنفا

لكنّما أنـــتَ لــم تـنـفـكَّ مُنشغلاً
وظلتَ تسكنُ غـارَ الشعر مُعتكفا

والـوحـيُ مــازالَ فاقرأ في مسامِعِنا
شعرا يُــروّي من الظامين من رشفا

إن كــان ضَـــجَّ بـجـرحٍ سـاعـةً ألـمٌ
فـكـم شـفـيـتَ بشعر مـاتـعٍ طَـرَفـا

وكم عصفت وكـم أبديت من حُلُمٍ
فـالـحـرُّ يحلمُ لـكـنْ ربـمـا عَصَفا

وكنتَ ممن بقولِ الحقِّ قد صدعوا
وأنـــتَ أنـتَ لدمعِ الـرفـقِ من ذَرَفـا

❊ ❊ ❊ ❊

تسعونَ عامًا ومنكَ الشعرُ منهمرٌ
إن تُكسف الشمسُ بدرُ الشعر ما انخسفا

وكــم نـظـمـتَ قـــلاداتٍ وأوســمــةً
وكـم غرستَ نخيلًا باسقًا ورفــا!!

* * * *

«شـيءٌ من الحب» لما رُحـتَ تسكُبُهُ
في كُلِّ كأس ٍفأغرى الصبَّ ما رَشفا
أجّجت عزمًا بمن كَلُّوا ومن يئسوا
وهــم يظنونَ أن لـن يُـدركـوا هَدَفا

* * * *

بصيرةٌ رغــمَ بطش الـــداءِ كاشفةٌ
وَهِــمَّــةٌ وكـــأنَّ الـجـسـمَ مـا ضَعُفا
تُهدي الـدواويـن والأسـفـارَ حاملةً
فكرًا جـديـدًا تعدّى فكر من سلفا

* * * *

عباءةُ الشعرِ جـاءَ الجمعُ يحملُها
وجئتُ أُمـسـكُ من أطرافِها طَرَفا
ووشّــحــوهـا بـتــاجِ الـفــنّ زاهــيـةً
وألــبـــسـوكَ بــحُــبٍ صـــادقٍ ووفـــا
وقــد غبطناكَ لـكـنْ دونــمـا حَـسَـدٍ
كُـــلٌّ تمنى الـــذي أدركـــتَــهُ وهفا

* * * *

يا شِيخَةَ الشّعرِ إنّــي جئتُ مُعتذرًا
لم ينُصفِ القولُ هذا اليومَ مَن وَصَفا
لكننَّي حينما خاطبتُ أهــلَ نُهىً
أيقنتُ أنّــيَ نُلتُ المجدَ والشَّرفا

مصطفى بن حسن أبوالرز

الخيرية – يافا –فلسطين

٢٣

شيخ الشعراء

الأستاذ الملا محمد علي الناصر

يا أنجم الحفل البهيج النظير	لكم كفيتم كـل أمـر عسير
رســالــة لـشـاعـر مـاهـر	لـكـل فـذ بالمعاني خبير
بـأنـنـا جئـنـا لـتـكـريـم من	بـكـل تـكـريـم رفـيـع جدير
فـكـلـمـا ألـفـه شـاهـد	يحكي لنا عنه الكثير الكثير
مـــؤرخ ونـاقـد مـلـهـم	وشـاعـر قـل لـه مـن نظير

****

أبـا عـلـي لـيـس بـدعـا إذا	قلدك الحفل الوسام الأثير
فـإنـك الأولـــى بـه رتـبـة	في أول التكريم أو في الأخير

****

أبـا عـلـي لـيـس بـدعًـا إذا	أسموك شيخ الشعراء الكبير
انـت كما سموك يـا شاعرًا	غـنـا بـه كبيرنا والصغير

أبو سيبوية

من صور المهرجان

الفَصلُ الثّانی

دراسات ومقالات

إيضاح

الحمد للَّه والحمد حقه كما يستحقه حمدًا دائمًا أبدًا، والصلاة والسلام على مُعلِّم الإنسانية ومنقذها محمد وآله الطاهرين.

إنه من دواعي سرورنا أن نُقدِّم للقراء الكرام هذا الإصدار «شيخ الشعراء قرن من العطاء» بهذه الحلة القشيبة.

هذا الإصدار الذي تكوَّنت مادته الأدبية من خلال تكريم رائد من الرواد الأوائل، وأستاذٍ ومربٍّ قديرٍ ألا وهو الأستاذ الكبير محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي.

حيث كانت ليلة التكريم عرسًا أدبيًّا رائعًا حضره لفيف من العلماء الفضلاء والأدباء ومريدي الأدب ومتذوقيه.

فكان حفلًا متميزًا كيفًا وكمًّا في ليلة من ليالي عام ٢٠٢٢م على مسرح صالة الغانم الكرام ليلة ستبقى راسخة في الذاكرة.

وإكمالًا للمادة الأدبية، وإتمامًا للفائدة ارتأينا أن نُضيف ملفين هما في

غاية الروعة والأهمية، وعلى مستوى عالٍ من حيث الموضوعية.

الملف الأول: وهو عبارة عن دراسات ومقالات يجمعها عقد واحد ألا وهو شخصية الأستاذ الخنيزي ونتاجاته الأدبية بأقلام صفوةٍ من الأدباء والشعراء، كُتبت في فترات زمنية مختلفة.

الملف الثاني: ويتمثل في الحفل التكريمي الذي نظَّمه وأشرف عليه «منتدى حوار الحضارات»، بمنزل الأديب فؤاد نصر اللَّه عام ٢٠١١م.

هذا ما لزم بيانه، شاكرين ومقدرين لكل من شارك، والشكر موصول أيضًا لمن حضر وتجشَّم العناء، مع صادق دعائنا للأستاذ الخنيزي بالعمر المديد مع موفور الصحة والعافية، وأن يرى ونرى نتاجه الأدبي المخطوط في القريب العاجل.

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

٣/ ٣/ ١٤٤٤هـ

عصام عبداللَّه الشماسي

محمد رسول الزاير

١

مع أخي في ديوانه «النغم الجريح»

بقلم: العلاَّمة المفضال الشيخ عبدالله الخنيزي

قبل الديوان:

يميل البعض إلى أن يتجنَّب الحديث عن شخص -سواء عن شخصيته، أو عن أثر من آثاره- إذا كانت ثمَّة بينهما رابطة من نسب، حتى لَيُسرف البعض منهم فيعد هذا الحديث من الأنانية الممقوتة، فهو لا يعدُّه سوى حديث عن الذات!

وإني لعلى العكس من هذا الرأي تمامًا.

فأيُّ مانع يمنعني، وقد رأيت مجال الحديث متَّسعًا، عن أبي، أو أخي -مثلًا- أو عن أثر من آثارهما: أَلَّا أُعبِّر عن رأيي هذا، كما أُعبِّر عنه لو كان حول شخص بعيد لا يمتُّ لي بواشجة من نسب أو سبب؟!

أي: أن يكون هذا الرأي مجرَّدًا عن كل أسباب العاطفة، هادفًا لتوضيح الرأي المجرَّد، فيسجِّل الحسنة التي يجدها، إلى جانبها الهنَّة، إن وجدها! ويُجري المِبضع في موضعه، كما يُقدِّم باقات الثناء متى استحقَّها؟!

قلتُ: إني على العكس من ذاك الرأي، فترجمتُ لأبي، وترجمتُ

سيرته[1]؛ حتى لو قُدِّر له أن يكون بعيدًا عني كلَّ البُعد.

وهل من ذنب له، أو لي: أن كان قريبًا مني، لكي أتقاعس عن تقديس الحق، وتمجيد الفضيلة؟!

وليس يعني هذا: أنني ممَّن شُدَّت عيونهم إلى الوراء، مفتونين باجترار الماضي، والتغنِّي به، والاتِّكال عليه، دون عمل جديد، أو تقديم ثمر مفيد.

بل إني ممَّن ينظر للحاضر، نظرته العميقة؛ بحيث تتعدَّى الحاضر إلى المستقبل، ويربط بين ذلك الرَّبط الوثيق، ويشدُّ هذا بذاك لتتماسك القيم، ويصلُب البناء، ويشمخ الصَّرح.

وبعبارة أخرى: لستُ ممَّن يرى في المجد العظامِيِّ وحده، فضلًا، يكوِّن شخصية إنسان، لم تمتدَّ يده بلبنة، في بناء هذا المجد، أو تجديد بنائه، فكان خلوًا من المجد العصامِيِّ؛ لأن ذلك المجد لن يُجديه نفعًا، إن كان هو ذاته قاحلًا من الفضيلة، مهما كان ميراثه من مجده الماضي.

وخيرٌ منه -إن جاز التفاضل- مَنْ بنى مجده بيديه، وإن لم يكن له ماضٍ من المجد، فكان مبتور الجُذور... وكوَّن نفسه، غير معتمدٍ على ماضٍ، ليس له فيه تراث.

نعم! خير منهما مَنْ يرث الماضي الحافل، فيُضيف إليه الجديد النافع، فيُتمِّم البعض الآخر، ليبتنى المجد على وطيد الأسس، ومكين الدِّعامات؛ فيكون كما قال أحدهم:

لسنا، وإنْ أحسابُنا كَرُمَتْ يومًا على الأحساب نَتَّكِلُ

(١) في كتابينا المطبوعين: (ذكرى الإمام الخنيزي)، و(ذكرى الزعيم الخنيزي). والأول باكورة النتاج الأدبي، يأتي على شكل كتاب.

نَـبْـنـي كما كـانـتْ أوائِـلُـنـا تَبْني، ونَفْعَلُ مِثْلَ ما فَعلُوا

وحبَّذا إن استطاع أن يفعل الأكثر والأحسن ممَّا فعلوه! فالحياة تتطلَّب المزيد!

* * * *

قدَّمتُ هذه المقدِّمة -وقد كنتُ أريد أن أشير إليها، قبل الآن- لأني أريد الحديث عن أخي الشاعر محمد سعيد، أو بالأصح: عن ديوان أخي: «النَّغَم الجريح» الذي ربطتني به ذكريات عزيزة جميلة.

فقد رافقتُه -في المطبعة- وهو يأخذ طريقه لينطلق من محبسه الذي تسمَّر فيه، في أحد رفوف مكتبتنا، يُناجي شاعره، مع أخوين له، لا يزالان ينتظران اللِّحاق به، ليكسرا قمقمهما المحصورين فيه، ونرجو أَلَّا يطول ذلك كثيرًا.

وإن كانت قصائد كثيرة من هذه الإخوة الثلاثة -زادهما اللَّه إخوةً أُخَر، على الرغم من دعوات تحديد النسل، التي لا تشمل الأبناء الرُّوحيِّين- وإن كانت قصائد كثيرة، قد طلعت في بعض الصحف العربية الكبرى.

مع الديوان:

«النعم الجريح»: ديوان يضمُّ -بين دفَّتيه- أربعًا وعشرين قصيدة[1]، يسم أكثرها ما يعنيه هذا العنوان الدِّراميُّ «الحزين»[2]، وإن كانت بعض هذه

(١) ١٤٤ صفحة من القطع الصغير، منشورات (دار مكتبة الحياة - بيروت).

(٢) الدراما، تعني: الرواية، يندمج فيها المشهد المحزن بالمضحك.

ولنا أن نُعبِّر به -هنا- عن هذا الديوان -ولو تجوُّزًا- لأن الديوان يغلب عليه الطابع الباكي الحزين مع شيء من الطابع الضاحك، بعض الأحيان.

ثم إن قصة (المعبود الثاني) تحمل هذه المأساة التي ينطبق عليها هذا التعبير.

ويجوز أن نعبر عنه -ولعله أصدق- بالتراجيديا.

القصائد قد تمرَّدت على هذا العنوان، وحملت روحًا مرحةً متفتِّحةً متفائلةً، غير برمةٍ بالحياة، ودون أن تنطبع بالألم...

حملتُ هذا الديوان -في رحلتي الممتعة، لتقديمه للطبع- وهو يحمل اسم «الأغاريد».

وقد كنتُ أراه: عنوانًا بعيدًا عمًّا يضمُّه الديوان؛ إذ لا ينطبق هذا العنوان إلَّا على جزء يسير جدًّا من قصائده.

أما البقيَّة فعلى خلاف كبير، بينها وبين الأغاريد، التي يُعرف منها المرح والطرب، لا البكاء والبَرَم.

وقلتُ: فليكن هذا العنوان سبيلًا لتوجيه أول نقدٍ للشاعر، في أول أثر يطلع به على العالم... وهو الذي يفتح صدره واسعًا، للنقد النزيه.

ولن يقوى على ردِّ هذا المأخذ عليه... فالعنوان يجب أن يرمز لما تحته.

وحمل لي البريد -في لبنان الجميل- إحدى رسائله، وهي تُشير إلى الاسم الجديد للديوان.

فهو: «النَّغم الجريج»؛ وليس بـ«الأغاريد».

فهو ثمرة من ثمار الألم الدَّفين، وقِطاف من نتاجه الخصب المبدع.

وهكذا لا يفتح القارئ هذا الكتاب، حتَّى يقف على طائفة من النَّغَم، الذي يحمل في كلِّ نوتةٍ من مُوسيقاه، ما تنطق بالألم؛ وتُشير إلى الجرح، ينزُّ بالألم الطَّافح.

* * * *

قصيدة الديوان الأُولى، هي: «الغَدُ الباكي». وقد سبق لي الحديث عن هذه القصيدة، وأنا في معرض الحديث عن الألم ونتاجه، فعددتُها من نتاج الألم المبدع.

يُصوِّر الشاعر -في هذه القصيدة- غدَه الباكي؛ إذ ينظر إليه، من حاضره الباكي -أيضًا- فلا يرى فيه سوى صورةٍ لحاضره؛ إذ لا جديد تحت الشمس - كما يقولون.

فما غدُه سوى روضة ذاوية انقطع معين الحياة عنها، وصمتت تلك الجداول التي تملأ جنباتها بشدْوها الجميل، وحياتها الخِصبة، مثل ما يعصف الخريف العتِيُّ، حين ما تمتدُّ كفُّه الخشنة القاسية، فتتقصَّف الأفنان الزاهية، بورودها المتفتِّحة، وثمارها اليانعة، وجمالها المشرق!:

أرى مِنْ زوايا حياتيْ «غَدِيْ» فـأُبْـصِـرُهُ رَوْضـةً ذاوِيَـةْ
تَـوَقَّـفَ عَنْها مِعِينُ الْحَيَا ةِ... وَغَارَتْ جَدَاوِلُهَا الشَّادِيَةْ
وَمَـدَّ الخَرِيفُ بها كـفَّـهُ... فَـقَـصَّـفَ أَفْـنَـانَـهـا الـزَّاهِـيَـةْ

ولقد رأى غده من كُوَى ذلك الحاضر المؤلم، فماذا كان آخر ما رأى؟!

أراكَ «غَدِيْ» مِنْ كُوَى حاضِرِيْ فَـأُبْـصِـرُ أشْـبَـاحَـكَ الـرَّاعِـدَةْ

حيث كان يُحسُّ الفراغ العميق، ولا تلمس كفُّه، سوى «الدُّنَى» الباردة.

لا يا أخي!

لِمَ هذا اليأس كلُّه... وأنت في: الشباب القويِّ، والمستقبل المشرق؟!

فَلْتَقَعْ يدكَ على الحياة، التي تتمرَّد على الموت، فتدفأ تلك «الدُّنى» بالحياة الجديدة، والشباب الثائر، وتملأ هذا الفراغ، بما يبقى، ويُثمر،

ويُعطى، لِتَهْرُبَ من أمامك تلك الأشباح وهي ترعَد خوفًا وفَرَقًا.

نظم أخي قصيدته هذه عام ١٣٧١هـ، ونحن في عام ٨١هـ - بعد عشرة من الأعوام على نظمه لها.

ولا شك أن نظرته لغده -الآن- غيرها، قبل هذه الأعوام، إن كان لا يزال ينظر غدَه من كُوى حاضره، فإنه لَغَدٌ باسمٌ، وأملٌ متفائلٌ مطمئنٌ - إن شاء اللّٰه.

****

وثانيةُ قصائد الديوان، تحمل روحًا متسائلة مستفسرة، تريد أن تعرف هذا اللُّغزَ المستعصي المسمَّى بالنَّفس.

فما هي؟ وما كُنْهُها؟

أهي المَلاك الطهور؟ أم الشيطان القاهر الشقيُّ؟

وما هذه الأطوار التي تمرُّ بها، وتجتازها في: إصباحها، وإمسائها؟

وما هذا التناقض، الذي تحياه؟

فهي ضحوكة في دامس الظلام، مثل صبح مشرق طروب، وهي على العكس من ذلك، يعلوها الحزن المميت، في صبح جميل مزهر، حتى أنها لَتُشْبِه الليل، قد تغشَّى بدُجنَّته الكافرة:

مَنْ أنتِ -يا نفسي!- مَلَاكٌ طاهِرُ؟   أمْ أنتِ شيطانٌ شَقِيٌّ قاهِرُ؟!
إنِّي أراكِ مَعَ الظلامِ ضَحُوكةً...   فكأنَّك الصُّبْحُ الطَّرُوبُ الزَّاهِرُ!
وأراكِ في الصُّبْحِ الجميلِ حَزِينَةً   فكأنَّكِ اللَّيْلُ الدَّجِيُّ الكافِرُ!

وهو -رغم الصُّوَر المتناقضة، التي يراها فيها- لا يستطيع أن يُوافينا برأيه الأخير حولها، بل يضلُّ عنه، فلا يقع منه على مخرج؛ بل لا يرى إلَّا الحيرة والضلال:

إنِّي أراكِ مِنَ التَّنَاقُضِ صُوْرَةً حارَ اللَّبيبُ بها، وَضَلَّ الشَّاعِرُ!

ويعود -في قصيدة: «إلى نفسي» للحديث عن النفس، ذلك اللُّغَز الخفيُّ، الذي لم يهتدِ لحلِّه في تلك القصيدة.

وما زاد أن أخبرنا عنه، في حدود تصويره النفسَ، وتنقُّلاتها من طور إلى طور، متأثِّرًا -لحدٍّ كبير- بابن سِينا، في عينيته الشهيرة.

والفرق بين الشاعرين: الفرق بين الفيلسوف المتبحِّر، وبين الشاعر، الذي يقنع بالرَّمز والإيماءة، عمَّا يعتمل في نفسه، ويخطر على باله.

ويعود -مرَّةً ثالثةً- لهذا الحديث، في قصيدته: (روحٌ وهيكلٌ).

وقصائده الثلاث -هذه- يقع تأريخها في شهرٍ واحدٍ، فلم تتأخَّر الثانية عن الأولى، سوى خمسة أيام، لحقتهما الثالثة، بعد أُسبوع واحد فقط.

ولا أظنُّ أنَّ نَظْمَ ثلاث قصائد، في بحر أسبوعين، تكاد تتناول موضوعًا واحدًا -هو الرُّوح- بمحض مصادفةٍ... بل لا بدَّ أنَّ لها أثرها النفسيَّ البعيد، الذي دفعه لهذا النظم المتتابع.

وليس مجرَّد الفترة الخصبة، هي التي دفعت به لذلك؛ إذ الإخصاب يدعوه للنَّظم، دون تحديد للموضوع... ولا ندري بالمؤثِّر المباشر لذلك.

****

أمَّا قصيدة «بين يدَيِ العاصفة» فهي: قصيدة تُسجِّل حادثة للشاعر، وتُصوِّرها بإطارها الزاهي الجميل، كريشة فنَّان ماهر.

وما ريشة الفنَّان بالتي ترسم اللَّوحة، وتُنضِّد الألوان، إلَّا بعد عرض الفكرة، بوضعها الفنِّيِّ، حتى تختار أنامل الفنَّان لمساتِ الريشة، وتنظيمَ الخطوط، واختيارَ الألوان المناسبة.

يصف لنا الشاعر فيها: كيف خرج في أُمسيةٍ بطَّنها الضَّباب، فاحتجبت الشمس خلفه، تُرسل الإشعاعة، فلا تلبث مسرعةً في لَمْلَمَتِها، وكأنها تفتح جفنًا، سرعان ما يخشى شيئًا، فيُطبق أهدابَه.

خرج الشاعر للحقل، في إحدى القرى، في الريف القطيفيِّ، مع أخيه أستاذ الجيل: «الخَطِّيِّ».

وفي تلك الجلسة الحلوة، بين: الأزهار، والريحان؛ بين: النخيل، وأشجار اللَّيمون؛ والقهوةُ تطوف عليهما بأقداحها، والحليب في أكوابه؛ فإذا بصوت العاصف يُدوِّي، يُرسل نُذره العجلى...

... فيرتاع الشاعر، رغْم تطمين أخيه له، وهما يعودان لمنزلهما، في طريق قد امتلأ جانباه بالنخل الطوال، الذي يتلوَّى في قبضة العاصف، تلوِّيَ الأُملود اللَّدن.

وما نظر إليها على أنها نخلٌ، بل ليست سوى أشباح مرعبة من الجن! كأنهم الجنود الشِّداد، قد اصطفَّت على الجانبين:

أيْنَ نَمْضي، والنَّخْلُ أَشْبَاحُ جِنٍّ قائِماتٍ صَفَّيْنِ، مِثْلُ الجُنُودِ؟!

وفي حالة اللَّاوعْيِ - سجَّل أخي على نفسه هذا الاعتراف الصارخ؛

فإنه خاف حتى الفزع، ودبَّ الرعب في أحشائه، فهزَّه...

سجَّل على نفسه اعترافه هذا... ببراءة الطفل، ونقاء زهرة الفجر، وصفاء الدمع:

نَحْنُ نَمْشيْ والرُّعْبُ مِلْءُ فُؤاديْ وصَـداهُ يَـرُنُّ في أحشائي...!

وهذه القصيدة -بالإضافة إلى ما حفلت به، من وصفٍ دقيق وشامل، فسجَّلت هذه الحادثة، حتى كأن القارئ، يمرُّ بها: طورًا، فطورًا...

- تمتاز بورح إنسانية، حيث استغلَّ الشاعر هذا الرعبَ، الذي ملأ منه الجوف، وغبَّر أمامه الكون، بما فعل وأثار...

... فلم ينسَ -في خوفه هذا- غنيًّا فاحشًا، في غناه الجائر؛ وفقيرًا مبغيًّا عليه، قد قَبَعَ في زاوية، من كوخه المهدَّم، ببالي أسماله المرقَّعة...

... فراح يُناجي هذا العاصف، ويطلب منه إقامة ميزان العدالة، ليَنْتقم من ذاك، ويرحم هذا...

أن يقوى ويشتدَّ... لِيَبطش بذاك في صرحه العتِيِّ، وقد بُنِيَ من حقِّ ذاك البائس، وهذا المعدم -فـ:

«ما مِنْ نِعْمَةٍ مَوْفُوْرَةٍ، إلَّا وإلى جانِبِهَا حَقٌّ مُضَيَّعٌ».

- كما يقول الإمام عليٌّ عليه السلام.

... ويهدأ ويلين كالنسمة الناعمة، إذا مرَّ بكوخ الفقير المسكين...!

فما لهذا الكوخ، من قوَّة التمرُّد، في وجه الزوبعة المجتاحة؛ وما الفقير -في جسمه المنهك، وبطنه الساغب، وأسماله الحائلة- بالذي يقوى على

مواجهة هذا العاصف المارد:

أيُّهَا العَاصِفُ العَتِيُّ! تَرَفَّقْ بِنُفُوسٍ في الكُوخِ مُضْطرِباتِ!
كُنْ قَوِيًّا إذا مَرَرْتَ بِقَصْرٍ، وعلى الكُوخِ مُرَّ كالنَّسَمَاتِ
اعْصِفِيْ -يا رِيَاحُ!- بالنَّفر المُجـ ـرِمِ وَاقْضِيْ على نُفوسٍ بُغَاةِ![1]
طَهِّرِيْ الأرضَ -يا رِيَاحُ! وَدُكِّيْ شَامِخَاتِ القُصُورِ والغُرُفاتِ!
وارْحَمِيْ بَائِسًا وطِفْلًا يَتِيمًا... مِلْءَ عَيْنَيْهِما جُرَاحُ الحَيَاةِ...!
لَيْسَ هَـذَا الغُبَارُ إلَّا ذُنُوْبًا مِنْ خَطَايَا الإنْسَانِ مُقْتبَسَاتِ!

****

وهذه الروح الرحيمة، التي تعطف على الفقير، وتُواسيه، نلمسها في كثيرٍ من شعره.

ومن بينها قصيدة «الشتاء»، التي تزخر فيها هذه الروح الإنسانية، تُضمِّد جُراح الفقير، وتتأوَّه لحالته التعسة:

وارَحْمَتَا لِلْكُوخ لَاحَ كَزَوْرَقٍ في الماءِ طافي الشَّكْلِ، دُونَ قَرَارِ
باتَ الفقيرُ مُشَرَّدًا عن كُوْخِهِ نَهْبًا إلى الأنْـواءِ والأخْـطَارِ

وما دمنا قد أشرنا للشتاء، فإنَّنا نُشير إلى أنَّ الشاعر، قد نظم في فصول السنة -عدا فصل الصيف- فله في: الخريف، والرَّبيع -أيضًا- وقد حفلت

(١) من الخير: أن أشير إلى غلطة مطبعة، وقعت في هذا البيت، حيث حملني الشاعر مسؤولية الغلطات، التي وقعت فيه، بصفتي مصححًا للديوان، ومشرفًا على طبعه.
ولكن ما ذنبي أن صححت، وفات على المطبعة بعضها؟
ففي الديوان كلمة «اقضي» بدون ياء. وهناك أخطاء أخرى، لا تخفى على ذي إلمام بالشعر والأدب.

بوصف جميل لكلِّ فصل منها.

ولكن لماذا لم ينظم في فصل الصيف المِعْطاء؟

ألأنَّ الحرارة اللاهبة والرطوبة المرتفعة تأبيان عليه ذلك...؟

ويروقني -من «الشتاء»- وصفُه للثلوج، قد جلَّلتْ قِممَ الجبال، حتى كأنه رأى ذلك، وهو في الطريق بين: سوريا، ولبنان؛ أو على قمَّة جبل الأرز، وقد تجلَّل ببياض الثلج.

ولكنَّ الشاعر ينظر لذلك بخياله، إنْ فاته النَّظر إليها في واقعه.

وقد ردَّدتُ هذه الأبياتَ، إذ لاحت لي هذه الجبال، في هذا المنظر الذي سجَّله الشاعر:

أضْفَى على قِمَمَ الجِبَالِ ثُلُوجَهُ ... فإذا الجِبَالُ تَلُوحُ لِلأبْصَارِ...

... كَالشَّيْخِ جَلَّلَهُ المَشِيْبُ مَهَابَةً ... وَجَـلالَـةً في أعْيُنِ النُّظَّارِ...

والغَيْثُ كالشَّلَّالِ يَهمِيْ صَاخِبًا ... مِـنْ ذِرْوَةِ الأجْبَـالِ كَالتَّيَارِ!

❊❊❊❊

وتطلُّ علينا ظِلالٌ من روح الشاعر المهجرِيِّ الكبير أبي ماضِي، في قصيدة «إليها»... ففيها شيء من روحه المتفلسفة، في «ابْنة الفجر».

فشاعرنا من مقدِّرِي هذا الشاعر، والمُعجبين به، حيث قرأه منذ نعومة أظفاره، في حياته الشعريَّة - ولهذا الأثرُ الكبير.

فلا بِدْعَ أنْ يلتقيَ معه في هذه الروح، أو تطلَّ ظلالٌ من ذاك الشاعر، على فكرةٍ عند هذا... بل مِنَ المحتَّم: أن نشهد شيئًا من هذه الظِّلال.

والتجارب في الفكر، أو الرأي، لا مشاحة فيه؛ بل لا بُدَّ منه... ما دام في حدود التجارب فقط، دون أن يكون، ثمَّة، سطوٌ، أو سرقاتٌ شعريَّةٌ.

وعلى كلٍّ فقد وُفِّق الشاعر، في هذه القصيدة، كثيرًا. وهي من جميل شعر الديوان، بأُسلوبها الحلو، وفكرتها المتناسقة.

وجميلٌ جدًّا من بينهما هذا البيت، بخفَّة ظلِّه، وسلاسته الشعرية العذبة. ولعلَّ لكلمة «غَالِطِيْ» أثرها البعيد، في قيمة هذا البيت:

هُوَ حَيٌّ يَرْعَى النُّجُوْمَ الدَّوَانِيْ غالِطِيْ النَّفْسَ، ثُمَّ قُوْلي «إِلَيْهَا»:

ونحن نشهد شيئًا من هذه الظِّلال، في قصيدة «إذا...»، رغم أنَّ الفكرة في (إذا) شاعرنا، تختلف عنها عند أبي ماضي، في «إذا»...

وهذه القصيدة -أيضًا- تشعُّ فيها روحٌ متفائلةٌ، رغْمَ ما بها من حزين الصُّوَر - ولعلَّها ممَّا تنطبق عليه كلمة «دِراما» في معناها المحدود.

كما أنَّ قصيدة «سَرَاب» تشعُّ فيها هذه الرُّوح، المتفائلة الباسمة، وهي -أيضًا- ذاتُ ظِلال من أبي ماضي:

لَا يَغُرَّنْكَ مَعْشَرٌ قَدَّسُوا «البُـ ـوْمَ» وَقَالُوا فِيْهِ: هِزَارُ السَّمَاء
نَفَخُوا فِيْهِ كَيْ يَطِيْرَ، وَلَكِنْ هَاضَ جُنْحَيْهِ عَاصِفُ الخُيَلَاءِ
رَفَعُوهُ -جَهْلَا- عَلى قِمَمِ الزَّيْـ ـفِ مِثَالًا، مُمَوَّهَ الكِبْرِيَاءِ...
إِنَّمَا هَـذِهِ الأَمَـادِيْـحُ كَالأَصْـ ـبَاغِ، تُمْحَى بِالرِّيْحِ، دُوْنَ «ذَكَاءِ»!

****

ولا بدَّ من إشارة إلى أكبر قصيدة في الدِّيوان، وهي «المعبود الثاني»، التي تُعالج مشكلة كُبرى، تكاد تعمُّ المجتمع الشرقيَّ بعُقَدها المستعصية...

... إذ لا يزال القسم الأكبر، من هذا الجنس، المسمَّى بـ«الإنسان»، يعبُد المادَّة، ولا عبادة الوثنيِّ صنَمه النحيتَ، حتى يتخلَّى هذا الإنسان عن إنسانيته -وبها ميزتُه، التي ترفعه عن مصافِّ الحيوان- فيسقط إلى أحطِّ منحدرٍ من السفالة...

فما بعْد موت الضمير، وتبلُّد الحسِّ، من خيرٍ يُرجى، أو يقظةٍ تُؤمَّل!

وقد عالج الشاعر هذه المشكلة، في أُسلوب قصصيٍّ جميل، يُرغِّب القارئ في متابعة أحداث القصَّة، التي تتلخَّص في:

أنَّ شابَّين قد أحبَّ أحدُهما الآخرَ، منذ التقت نظراتهما في حفل بهيج فنما هذا الحبُّ بنموِّهما، وتطوَّر بأطوار حياتهما... وذكرًا وأُنثى خَلَقَهُمْ...

فلا بُدَّ أن يحنَّ كل جزءٍ لجزئه الآخر، فتعاقدا على الزَّواج: الشابِّ الشاعر الفقير، والفتاة الكَعَاب اللَّعوب، بعْد أن أثمر هذا الحبُّ وأورق:

أَوْرَقَ الحُبُّ -فِي فِمِ الشَّاعِرِ- لَحْـ ... ـنًا وَجَـنَّـةً مِـنْ عَـبَـاهِـرْ...

وفي ما هما في أمل الحياة يعيشان، ومن حلاوة المستقبل الحالم، ينسجان برودَ الحياة موشَّاةً بالحبِّ -وهو روح الحياة- وإذا بالخبر المفاجئ تُلقِيْ به الفتاة في أُذُن الشاعر... فقد تقدَّم لخطبتها شيخٌ مهدَّم القوى، جهولٌ وفقيرٌ، إلَّا مِنَ المال «المعبود الثاني».

وقد نُؤاخذ الشاعر في هذا المشهد، حيث لم يكن متسلسلًا، كما يجب، بل نُحسُّ بهوَّةٍ، تفصل بين مشهد هذا الخبر المؤْلم على قلبيهما، فلا يتَّصل بذلك المشهد الحلو، الموشَّح بالتمتمات السكرى، والحديث الناعم:

تَمْتَمَاتٌ مِنَ الشِّفَاهِ النَّشَاوَى ... وَحَـدِيْـثٌ يَسِيْلُ كَالسَّلْسَبِيْلِ

فَإِذَا بِالْفَتَاةِ تَهْمِسُ في أُذْنَيْ فَتَـ ـاهَا حَدِيْثَ خَطْبٍ مَهُوْلِ...!:
إِنَّ في ذا الصَّبَاحِ وَالِدِيَ الشَّيْـ ـخَ رَمَى بِيْ فَرِيْسَةً لِجَهُوْلِ!

... إذ لا شك أنَّ في هذا اللِّقاء، كانت الفتاة على علمٍ بهذا الخبر الفاجِع...

... ولا بُدَّ أنَّها كانت تنوءُ بحمْله إلى فتى أحلامها، وتأْمل أنْ يُخفِّف عنها ثقْلَ الوطْأة، ويُشاركها في حمْل الألَم، فلا تمتمات في هذا اللقاء، بل شهقاتٌ ودموعٌ غزارٌ، ولا حديثَ كالمعتاد، في: سلاسته، وعذوبته، بتبادل كلمات الحبِّ والشوق؛ بل حديثٌ كاسفٌ، ولقاءٌ فاجعٌ، فلا مهلةَ، ولا تأخيرَ...!

كما أنَّ شاعرنا لم يصِفْ لنا أثَرَ هذا الخبر الكاسف، وموقعه من نفس الشاعر الولهان، ولم يُشرْ لشيء من ذلك، رغم أهميَّة هذا المشهد، كما هو منتظرٌ ومأْمولٌ...

بل اكتفى الشاعر بوصْف ما يمتلكه الشيخ الثرِيُّ المحطَّم، من: ثروة عظيمة، وجاه كبير، ونُضار وافر، ونخيل جمَّة، وقصور تكفل النعيم، والعيش الأنيق...

ولكنه يُشير إلى أنَّ الفتاة، دفعت بحبيبها الشاعر، إلى أن يتقدَّم لخطبتها من والدها، الذي يقف من شِعْره ساخرًا، فيسأله عمَّا يمتلكه من «المعبود الثاني»؟

فما هي حقوله؟ وأيَّ قصرٍ بناه، يزحَم النَّجم البعيد، تحوطه الإماء والعبيد؟

فإنْ تكن ثروتُه الشِّعرَ، فهو صعلوكٌ حقيرٌ؛ إذ ليس هذا بالزاد الذي

يُؤْكل، أو الماء الذي يروِيْ غلَّةً.

نَحْنُ لا نَأْكُلُ القَرِيْضَ، وَلا نَشْـ ـرَبُ مِنْ جَدْوَلِ الخَيَالِ النَّائِيْ!
إِنَّـنَـا نَطْلُبُ الغَنِيَّ وَنَسْعَى -مُنْذُ كُنَّا- إلى ذَوِيْ الإِثْـرَاءِ!

وكذلك يُهمل الشاعر ذكْر ما انْتاب الفتاة، عندما عاد حبيبُها خافقًا في مسعاه، ويكتفي بإلقاء الحبيب خبرَ فشلِه على حبيبته، في صورةٍ تفقِد الحرارة والألَم الكاسف:

مَيُّ! قَدْ عُدْتُ وَآمَالِيْ تَلاشَتْ كَالهَبَاءِ!
لَمْ أَكُنْ ذَا المَالِ والجَاهِ، فَأُحْظَى بِاللِّقَاءِ!

ثمَّ – بعْد مشاهدَ أُخرى- يتمُّ زفاف الفتاة إلى الشيخ المحطَّم، الكبيرِ الثروة، فيتحطَّم أمَلُ شابَّين، في حياة النَّعيم، تحت ظِلال الحبِّ الوارف، ضحيَّةً للمال المعبود، من دونما جريمة أو جناية:

رَبِّ! مَاذَا جَنَيْتُ فِيْ الكَوْنِ حَتَّى حَطَّمَتْ مِشْعَلِيْ يَدُ الأَقْـدَارِ؟

وهذا بيتٌ ما أكثر مردِّديه!

فكثيرون هُمُ الذين تتحطَّم أحلامهم حين ما يُخفقون في حبٍّ طاغٍ، عندما لا تتساوى كفَّتا الحبِّ بين الحبيبين، فلا تتوازن العواطف، ولا تُقابل المشاعر بمثلها... أو تتساوى، فتحول بينهما عقباتٌ، تتحطَّم عليها سعادة الحياة...

كما أنهم كثيرون مَنْ يُخفقون في ناحيةٍ من نواحي الحياة، فتتحطَّم أحلامٌ وآمالٌ، فيُنفِّس كلُّ واحدٍ عن ألَمه، وهو ينفث هذا البيت، المعبِّر عمَّا يختلج في سرِّه...

وتنتهي القصَّة –كما هو المفروض- بنهاية حزينةٍ.

فالعروس المحطَّمة القلب، تذوِيْ كزهرةٍ صوَّحتها الهاجرة، وتسقط ضحيَّةً رخيصةً، في سبيل عبادة المال، وهي التي عرفتْ هذا المصير، منذ أُعدَّت إلى زفافٍ يتحوَّل إلى مأْتمٍ:

سَيَقُوْلُوْنَ فِيْ غَدٍ: مَلْكَةُ الْحسْـ   ـنِ تَـوَلَّـتْ ضَحِيَّةَ الدِّيْنَارِ!
أَتُرَاهَا ضَحِيَّةَ المَالِ والجَاهِ   وَآمَـــالِ أَشْـيَــبٍ خَـــوَّارِ...!
رَامَ أَنْ يُدْرِكَ الأمَانِيْ فَضَحَّى   بِـعَــرُوْسٍ كَطَلْعَةِ الأقْـمَــارِ!

وهكذا يتحوَّل حفْل الزِّفاف، إلى مأْتمٍ تُشيَّع فيه الفتاة إلى مقرِّها الأخير:

احْشُدُوْاالمَوْكِبَالرَّهِيْبَوَطُوْفُوْا   بِسَرِيْرٍ ضَـمَّ الـغَـرَامَ العَاثِرْ!

لَقَدْ سقطتِ الزَّهرة الندِيانة:

هَذِهِ زَهْرَةُ حُسْن لَمْ تُمَتَّعْ بِالشَّبَابِ

لعلَّ مَنْ يقول: إنَّ هذا موضوعٌ، تناوله الكثير مِنَ الشعراء والكُتَّاب، ولكنَّ موضوعًا إنسانيًّا كهذا، ومشكلةً اجتماعيةً كبرى، تتكرَّر في: كلِّ أُمَّةٍ، وكلِّ شعبٍ، ليست بالأمر السَّهل، التي يُكتفى بأنْ يتناولها واحدٌ أو اثنان، وضحاياها لا تُعدُّ كثرةً، ولا تحصى...

ونحن أحوج ما نكون ليتناول الأدباء هذه المشاكل، لعلَّ العلاج يأتي بالشفاء العاجل، وهو مرضٌ مسْتعصٍ، يحتاج إلى بذْل الجهد الكبير من الأطباء النُّطُس الخلَّص...

ويُشرِّفني أن أنضمَّ إلى قافلة من عالج هذه المشكلة؛ إذ وضعت قِصَّةً تتناول هذا الموضوع – أيضًا.

* * * *

وفي الديوان قصة أخرى، تختلف عن هذه، بالنسبة للموضوع والنهاية.

فهي قصَّة حبيبين، لم يعثرِ الحظُّ بهما، بل حالفهما التوفيق، فكان حبُّهما محلَّ رضا والدَي الفتاة، فمهَّدا لـ«ليلة العمر» - وهو عنوان القصَّة...

... فكانت ليلةً حالمةً، جسَّدتِ الحُلُم، وحقَّقت الأمل، إلى واقعٍ رهينٍ، فجنى من ثمارها ما شاء، من روضةٍ بِكرٍ، وارْتشف مِنَ الرُّضاب، الذي لم تعتصره كفٌّ، تُلوِّث منه النَّقاء الطَّهور:

دُوْنَكَ الرَّوْضَ فَامْلإِ الكفَّ مِنْهُ زَهَـرَاتٍ رَيَّا الأدِيْـمِ عَوَاطِرْ...
وَارْتَشِفْ مِنْ فَمِيْ أَلَذَّ مِنَ الشَّهْـ ـدِ: حُمَيًّا، لَمْ يَجْنِهَا كَفُّ عَاصِرْ
اسْدُلِ السِّتْرَ بِالصَّبَاحِ عَلَى جَنْـ ـةِ عِـرْسٍ، كأَنَّهَا حُلْمُ شِاعِرْ

وإنَّنا لَنَلمح -في هذه القصيدة- وجه الشاعر إبراهيم العُرَيِّض، في «ليلة الزِّفاف» يطلُّ واضحَ الملامح، عريضَ الخطوط.

ولكن لا بُدَّ من الإشارة إلى أنَّ هذه القصيدة، تمتاز بكونها صورةً حيَّةً، تُسجِّل ليلة الزِّفاف -في القطيف- بأوضاعه الوطنيَّة، وعاداته المألوفة، وقد وصفتِ العاداتِ وصْفًا دقيقًا شاملًا.

****

قلتُ: إنَّ الطابع الدِّرامِيَّ -أو التراجيدِيَّ- هو الظاهرة الملموسة في الدِّيوان، وقد انطبعت به أكثر قصائده.

وقصيدة «النَّغم المجرَّح» من تلك القصائد؛ حيث عرض فيها للسبب الذي طبع شعرَه بهذا الحزن، وأشار فيها إلى منبَع الألم، الذي شرب فؤادُه كؤوسه المترعة، حتى عاد حفنةً من رماد، يُغطِّي جَمْرَ الشقاء، وجحيم

العذاب، وراح يصبُّ جام غضبه على القضاء الذي سَكَبَ اللَّيلَ بعينِه:

اهْدَئي فالقَضَاءُ قَدْ سَكَبَ اللَّيـ ـلَ بِعَيْنِيْ، فَحَالَ دُوْنَ مُرامِيْ
أنْبَتَ اليَأْسُ فِيْ طَرِيقِيَ شَوْكًا... إنَّ دَرْبِيْ جَمُّ المخَاوِفِ دَامِيْ
مَنْبَعُ اليَأْسِ والشَّقَاءِ «عُيُوْنِيْ» فَعُيُوْنِي مُسْتَوْدَعُ الآلامِ!

ونحن لا نُريد أن نُحاسبه على كلمة «عيونيْ»، وإن لم نجد في بني الإنسان أكثر من عينين.

وجميلٌ جدًّا هذه الصورة الباكية، التي تصف مأساتَه، بعْد تلك الأبيات مباشرةً:

هَلْ أُطِيْقُ الحَيَاةَ، والأمَلُ الحُلْوُ ذَبِيْحٌ عَلَى شِفَاهِ الشَّبَابِ...!
... وَالكِتَابُ الحَبِيْبُ عِنْدَ فُؤادِيْ مِثْلُ قَلْبِ الظَّمْآنِ عِنْدَ الشَّرَابِ؟!
كُلَّ مَا رُمْتُ أنْ أُرَوِّيْ فُؤَادِيْ عُدْتُ مِنْهُ بِحُرْقَةٍ والْتِهَابِ
مَاتَ لَوْنُ الحَيَاةِ فِيْ جَفْنِيَ الظَّا مِيْ إلى مَنْظَرِ الرَّبِيْعِ السَّابِيْ

ولكنَّ الشاعر خانه الأداء الفنِّيُّ -في البيت الثاني- فأصبح قاصرًا عن إعطاء المعنى، الذي حاول الشاعر تجسدَه؛ لأنَّ الشاعر يريد:

أنَّ الكتاب قريبٌ منه، ويُريد أن يقرأ سطوره؛ ولكنَّ عينه لا تُسعفه في ذلك، رغم شدَّة شوقه وحاجته إليه، فهو شبيهٌ بقلب الظامئ الملتهب الحشا، قد وقف عند المعين الزُّلال، دون أن يستطيع الارتشاف منه، لِيُطفئَ تلك اللَّهبة الواقدة...!

وبعْد تلك الأبيات، ينفتح بابٌ من العزاء، وإشراقةٌ من الأمل الوضيء، فتشعُّ تلك الصورة القاتمة، ببعض من البصيص:

فَعَزَائِي أنَّ الضِّيَاءَ بِقَلْبِيْ سَرْمَدِيُّ الإِشْعَاعِ وَالإِصْبَاحِ
وَعَزَائِيْ أَنِّيْ شَقَقْتُ عُبَابَ الـ ـبَحْرِ -وَحْدِيْ- فِيْ عَاصِفِ الأَتْرَاحِ

ولكنها إشراقةٌ باهتةُ الضوء، لا تقوى على فرْيِ الظلمة، فلا تلبث أن تتلاشى لِيَعود القَتَام بصورته المريرة، ويأْسه القتَّال:

مَنْبَعُ اليَأْسِ فِيْ حَيَاتِيْ «عُيُوْنِيْ» فَعُيُوْنِيْ يَنْبُوْعُ يَأْسٍ عَصِيْبِ

ويعود لعرْض هذه الصورة المؤْلمة في: (ضحيَّة القدر).

فهي ملتهبةُ الألَم تُجسِّدُها مأْساته، في: شقائها، ويأْسها المرير؛ وتتصاعد منها الشكوى الحزينة، وتُصوِّر الحيرة القاسية:

وَيْلَ القَضَاءِ! فَإِنَّهُ... أَلْقَى عَلَى عَيْنَيَّ سِتْرَا
لا أَلْمَحُ النَّجْمَ البَعِيدَ، ولا أَرَى فِيْ اللَّيْلِ فَجْرَا

وفي هذه القصيدة بيت قد لا يعرف مناسبةَ التشبيه فيه، إلَّا مَنْ يعيشس صيفًا ملتهبَ الحرارة، لا صيفًا ربيعيًّا شتويًّا – كصيف لبنان، في جباله الشمَّاء، حيث يجمع بين: عطاء الصيف المِخْصَاب، وجمال الربيع المُخضوضِر، وبُرودة الشتاء بلذَّةٍ، دون قارِّ صِرِّه...

نَامَ الظَّلَامُ بِمُقْلَتِيْ... كالصَّيفِ في جَفْنِ الزُّهُوْرِ
دَبَّ الفَنَاءُ بِرَوْضَتِيْ وَمَشَى عَلَى الغُصْنِ النَّضِيْرِ
إِنْ كَانَ فِيْ عَيْنِيْ الظَّلَا مُ... فَفِيْ فُؤَاديْ نَبْعُ نُورِ...!

ونحن إن كنَّا نعرف بكاءه على ذاوِيْ أحلامه، فإنَّنا لا نعرف كيف يبكي على هذا الفراغ، الذي يُشيع الموت... وكيف يكون هذا البكاء؟:

لَكِنَّمَا أبْكِيْ عَلَى حُلُمٍ ذَوَى، مِثْلَ الوُرُوْدِ...!

أَبْكِيْ عَلَى هَذَا الفَرَاغِ يَشِيْعُ مَوْتًا فِيْ وُجَوْدِيْ

ولا نريد أن نتتبَّع كلَّ هذه الصور الباكية، ما دام هذا الديوانُ يحفل بالكثير منها؛ إذ علينا -لو أردنا ذلك- أن نقف عند كلِّ قصيدة، عدا القليل.

❊❊❊❊

ولا بُدَّ لنا أن نُشير إلى شيء وقع في الصياغة -عدا ما عرضنا له في ثنايا البحث- وإن كانت غير ذات تأثير كبير، على القيمة الشعريَّة.

ولكنَّا نودُّ لو تجنَّبها، كقوله:

«وعَلَيْنَا أَغْصَانُهُ حَانِيَاتٌ» - ص٢١.

فنحن لا ندري علامَ يعود الضمير في هذه الأغصان؟ فقبْل هذا البيت:

وَمَدَدْنَا البِسَاطَ فَوْقَ الرَّيَاحِيْـ ـنِ، وَبَيْنَ الغُدْرَانِ والأَعْشَابِ

... وكلُّ هذه ليس لها أغصان، تحنُو عليه.

فالرَّيحان والعِشب، لا يكاد يرتفع كلٌّ منهما أكثر من ذراع، حتى تمتدَّ لهما أغصان تطوله -حتى ولو كان جالسًا- فتحنُو عليه... ولا سيَّما وأنَّ البساط -كما يقول- قد مُدَّ فوق الرَّياحين، فكيف تحنُو منها الإغصان -لو كانت- وقد قصَّف البساطُ منها المستقيمَ...

كما أنه قد أغاظ سيبويه، حيث لم يجزم «أُشاركُكِ» في قوله:

«مَثِّلِيْنِي حَيًّا أُشَارِكُكِ العَيْشَ» - ص٣٣.

وكان باستطاعته أن يُرضي الخليل في فنِّيه، لو قال:

«مَثِّلِيْنِيْ حَيًّا أُشَارِكْكِ العَيْشَ».

وقد أفْلَتَ ثاني هذين البيتين، من وزنه، فلم يزِنْهُ الشاعر بذوقه الفنِّيِّ:

فَعَادَتْ لِعَيْنَيَّ أَطْيَافُهُ... وَطَافَتْ عَلَى العَالَمِ الحَاضِرِ

فَصَوَّرَهُ القَلْبُ طَيْفًا كَئِيبًا تَكَسَّرَ فِيْ جَفْنِيَ السَّاهِرِ - ص٨٤

وقبل هذا بيت نافر التشبيه.

فأيُّ مناسبة بين أشباح الليل، ترفُّ على مقلته، وبين رفيف النَّدى في الزهرة:

وَأَشْبَاحُ لَيْلٍ عَلَى مُقْلَتِيْ تَرُفُّ رَفِيْفَ النَّدَى فِيْ الزَّهَرْ...؟

ولا نعرف المناسبة، في تمثيل أحلام الجرح بالسَّراب:

إِنَّمَا ذِكْرَيَاتُ أَمْسِيْ أَحْلَا مُ جَرِيْحٍ تَلُوْحُ مِثْلَ السَّرَابِ - ٨٦

فبعد أن يجعل هذه الذِّكريات أحلامَ جريحٍ، فهي أحلامٌ مفزعةٌ مؤلمةٌ، لا تُبشِّر برجاء، كما يُبشِّر السرابُ البهرجُ، مَنْ كان على وقيد الظَّمَإِ، بالرِّيِّ المعين...

اللَّهُمَّ! إلَّا أن يُريد الشاعر، بأحلام الجريح في الشِّفاء!

وقد جاءت كلمة «باحترامٍ» في بيت، فوقعت عليه ضيفًا ثقيلًا، لا تحمل الموسيقى الشعريَّة - فهي من إضبارة المعاملات.

ولعلَّ القافية اضطرته لذلك، في قصيدته الفلسفيَّة (روحٌ وهيكلٌ)؛ أو أنَّ روح القصيدة الفلسفيَّة، تقبَّلت هذه الكلمة:

حَدِّثِيْنِيْ! فَإِنَّنِي أَتَلَقَّى كُلَّ مَا تَنْطُقِيْنَهُ بِـ«احْتِرَامِ»!

وجاءت كلمة «الشَّكل» حشوًا في هذا البيت - أيضًا:

وارَحْمَتَا لِلْكُوخِ! لاحَ كَزَوْرَقٍ فِيْ المَاءِ، طَافِيْ الشَّكْلِ، دُوْنَ قَرَارِ!

وحشوةٌ أُخرى جاءت في هذا البيت:

أَفْلَتِّ مِنْ سِجْنِ الجُسُوْمِ وَقَيْدِهَا وَسَمَوْتِ بِالشِّعْرِ الذي هُوَ طَائِرُ

وهي حشوةٌ ليست من «اللَّوزينج»، الذي يُعطِي الطعمَ اللَّذيذَ؛ وإنما هي حشوة جمَّدت حركة البيت، وقضتْ على جماله الشعرِيِّ.

وليس لنا أن نُطيل الحديث -أكثر من هذا- حول الديوان، بعْد أن وقفنا عند أكثر قصائده. فعلى القارئ أن يستجلِيَ النواحي الأخرى منه، بذاته...

****

وخلاصة القول فيه: أنَّ الدِّيوان تطبعه الروح الدِّرامية، بصورة خاصَّة في بعض القصائد؛ ويكاد يتَّسم بـ«التراجيديا» في عمومه -عدا القليل.

وتلك تكاد تكون ظاهرة الشاعر في كلِّ ما نَظَمَ، حتى غزله، الذي قَصَرَ عليه ديوانًا بكامله -من بين دواوينه الثلاثة- وسمَّاه «إليها»[1]...

ولعلَّ هذا راجعٌ إلى جانب من حياته، التي يُحاول أن يُسجِّلها للناس.

فعُقدة العُقَد -في نفس أخي محمَّد سعيد- إصابتُه في عينه، منذ نعومة أظفاره.

فهي: منبع الألم العميق والشكوى المرَّة، ومصدر الشقاء، والمِنظار

(١) عاد، فأبدل عنوانه بـ«شيء اسمه الحب»، وهو الذي أشرنا إلى أنه تم طبعه، في صدر هذا البحث، ص٩.

الأسود التي يعكس الحياة -بمفاتنها، ومُتَعِها، وسحرها، وكلِّ ما فيها من ألوان النعيم واللذَّة- سواء كاسفةَ اللَّون، رمداءَ الطَّلعة، كريهةَ الطعم، مُرَّةَ المذاق.

إنه -بسببها- لا يجد مِنْ نفسه القدرة، على إشباع نَهَمِهِ الأدبيِّ، مِنَ القراءة والاطِّلاع، بدون المساعدة، فكان في حاجةٍ مستمرةٍ، لمعونة إخوانه وأخدانه، من هذه الناحية، فهو في غنًى بهم...

ثمَّ إنه -بسببها- لم يكن ليقوم بأيِّ عمل، سوى عمله الأدبيِّ، الذي أنتج منه، في تلك الفترة، نِتاجًا ممتازًا، كان للألم الفضلُ الأكبرُ، في: تجويده، وإخصابه...

فهذه العقدة ليست شرًّا محضًا... وإنما هي مزيجٌ مِنَ: الخير، والشر؛ حيث كانت نبْعَ شعره الثرِّ، ومثارَ الوحي والإلهام عنده...

ولكنه لَمَّا تغلَّب على هذه النقطة، ونَزَلَ لمعترك الحياة، فشقَّ العُباب، وخاض الغمار، بقوَّةٍ، ومِضاءٍ، وتوفيقٍ، كاد يُطلِّق الشعر، لولا أنَّ آلهة الشعر، تعطف عليه بين لحظةٍ وأُخرى، وتحنُّ لعهده الماضي، فتُرسل إليه قبَسًا من وحيها...

فكان آخر ما في هذا الدِّيوان قطعةُ «الجدب»، التي صوَّر فيها أعوامه الستَّة المجدبة، مِنَ الإنتاج المعنوي... حيث شُغِل بالنتاج المادِّيِّ...

... وكأنه لا يعرف أنَّ مِنَ الممكن: أن يجمع بين: الروح، والمادة، جمْعًا لا يضير هذه، ولا يقضي على تلك.

وإنَّ له من مهنته (المحاماة)، لَمَعينًا يُمدُّه بالحَيِّ من المواضيع، حيث

يعيش في قلب المآسي والمشاكل، وفي كلِّ يوم يمرُّ به الشيء الكثير منها...

فعلاجه لها -بروح إنسانيَّة- تكون عن معرفة ودراسة عميقتين...

فعسى أن يُوافينا بشيء من ذلك، في القريب العاجل...

ونحن نُحَيِّي الشاعر، ونرجو أن ينال الدِّيوان ما يستحقُّه من إقبال، ليكون مشجِّعًا ودافعًا له في تقديم بقيَّة ثماره...

وعسى أن نلتقيَ به في أحد الدواوين، في وقت قريب - إن شاء اللَّه.

القطيف:

٢٣/ ٢/ ١٣٨١هـ

٠٦/ ٨/ ١٩٦١م

٢

محمد سعيد الخنيزي

الأستاذ الأديب محمد سعيد المسلم

من كتاب: (القطيف واحة على ضفاف الخليج)للأستاذ الأديب محمد سعيد المسلم، حيث ذكر الأستاذ الشاعر محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي بما نصه:

هو نجل العلامة الشيخ علي أبو الحسن الخنيزي، شاعر رومانسي من الرعيل الأول الذي حمل لواء التجديد، وقد تجاوزت شهرته النطاق المحلي، بسبب نشره لعدد من دواوينه حتى أصبح معروفًا في وسط الأدب السعودي.

ولد بالقطيف عام ١٣٤٣هـ وتفيَّأ في ظل والده وحظى برعايته وعطفه، لا سيما حين فقد بصره وهو لَدِن العود، فأوكل تعليمه إلى من يعتمد عليه، فألَمَّ بقواعد اللغة العربية وحفظ الكثير من الشعر، حتى استطاع أن يُثبت وجوده في الوسط الثقافي.

كما تعرَّض في حياته لنكبة أخرى بعد فقد بصره وهي فقد والده وهو في ريعان الشباب لم يتجاوز العشرين عامًا، فأصبح يُعاني مرارة الحرمان والضياع والفاقة، وقد انعكس كل ذلك على بواكير شعره، الذي يُعبِّر عن

واقعه أصدق تعبير، ولكنه استطاع أن يجتاز هذه الأزمة وأن يُحقِّق نجاحًا ماديًّا، حين زاول مهنة المحاماة، فانقشعت عن وجهه غيوم البؤس، فخسر شعره تلك الحرارة التي كُنَّا نلمسها في ديوانه الأول.

آثاره:

نشر ديوانه الأول (النغم الجريح) عام ١٣٨١، ثم ديوانه (شيء أسمه الحب) سنة ١٣٩٦، وديوانه (شمس بلا أفق) سنة ١٤٠٦، وله ديوان آخر بعنوان (كانوا على الدرب) لم يطبع، جمع فيه شعره الذي قاله في المراثي، وشعره متأثِّر إلى حدٍّ بعيد بالمذهب الرومانسي.

ومن شعره:

(لا تقولي)

لا تقولي: إن الحياة ستطوى ... ويموت الغرام شيئًا فشيا
وتموج الديدان في الثغر والخدّ ... وتغفو الأحلام في مقلتيا
لا تقولي فقد أثرت شجوني ... وسكبت الفؤاد في راحتيا
لا تقولي فإن صوتك مازال ... صداه يرن في أذنيا
لا تقولي فإنني سوف أغدو ... زهرًا عاطرًا ولحنًا شجيًّا
سوف أغدو بعد الحياة حديثًا ... في فم الدهر كوثرًا علويًّا
أنا كالبدر ضاحك في الروابي ... أنا كالخصب يفرش الجدب فيًّا
أنا في الكون قطرة فاض منها ... جدول يملأ السباسب ريًّا
لا تقولي إذا ذوى غصني الرطب ... ومات الربيع في شفتيًّا
وتوارت وراء عيني ألوان ... من الشعر مشرقات المحيًّا
لا تقولي: قد غاب فكر منير ... كان يزهو في أفقه كالثريا

لا تقولي فإنني أنا كالشمس　　تمدّ الحياة نــورًا سنيًّا
أنا كالفجر والندى والروابي　　زهرات تضوع عطرًا ذكيًّا

وله أيضًا:

(ضحية القدر)

ويـــل الــقــضــاء فـإنـه　　ألـقـى على عيني سترا
لا ألـمـح النجم البعيد　　ولا أرى في الليل فجرا
وارحـمـتـا هـذا الشباب　　ذوي كـأغـصـان تعرى
أنــا حائر في ذي الحياة　　كتائه فـي وسـط صحرا
كـيـف الـنـجـاة وخلفي　　الأحداث تعدو كالسعالي
نثرت سهامًا في طريقي　　مـدمـيـات كـالـنـصـال
وتـنـفـسـت أشـبـاحـهـا　　في مقلتي مثل الصلال
ولمحت في دنيا الشبيبة　　طـيـف شـيـب كالظلال
عصرت فؤادي الحادثات　　فعاش مـذبـوح الـرَّغـابِ
ذبـحـت مـنـاي النائبات　　ومـات حبي في الشبابِ
ماتت على وتـري أنــا...　　شيدي وغصت بالشرابِ
سكنت على أمـواج حزنٍ　　مـثـل أمـــواج الـعـبـابِ
أمسي وأصبح في هدوء　　صـامـت صمت القبور
نـــام الــظــلام بمقلتي　　كالصيف في جفن الزهور
دبَّ الـفـنـاء بروضتي　　ومشى على الغصن النضير
إن كـان في عيني الظلام　　فـفـي فـــؤادي نـبـع نـور
لــم أبـــكِ نـــورًا قـد خبا　　كالفجر في أفـق السعود
أبـــكـــي عـــلـــى حــلــم　　ذوى مـــثـــل الـــــورود

أبكي على هــذا الفراغ يشيع موتًا في وجــودي
فكأنني لجمود هذا العيش فـــي دنـــيـــا جـلـيـد
ربــــاه طــال بــي العناء وضـقـت ذرعًــا بالشقاء
هل تسمح الأقــدار ثانية لــعــيــنــي بــالــضــيــاء
فـــأرى الـحـيــاة طليقة الأضــواء في هذا الفضاء
فأعيش فـي جـو انطلاق بــعــد سـجـنـي بالعماء

وله أيضًا:

أين الحقيقة..؟

ذكرتك فوق بساط الربيع على زنبق الخلد حول النهر
فثاب فؤادي لذكرى الهوى وطاف على سبحات الذكر
يصوّرك الشوق طوع اليدين كأني وإيـــاك فـي مستقر
وأنــت مثال لكل الجمال تجلّى على لمحات البصر
ذكرتك والنهد في راحتي يرف رفيف الندى في الزهر
نبيت سكارى بخمر الهوى ونغفو على نغمات الوتر
نزلنا على رفرفٍ في الجنا ن ودويت قلب الهوى المستعر
تمر بنا الــريــح هفهافة فترسم أفقًا لنا من صور
فعدت إلــى عالم طاهر فلم تبصر العين غير الأثر
سوى أثر من بقايا الغرا م تراءى على شاطئٍ مندثر
فجبت الدنا سائحًا سائلًا لعلَّي أحصِّلُ عنك الخبر
ففتشت عنك نسيم الصباح لعلك في نسمات السحر
وفتشت عنك جيوب الورود لعلك وسط الشذا المنتشر
وفتشت عنك وكور الطيور لعلك في دمعها المنهمر

وفتشت عنك جميع الجهات وساءلت عنك جميع البشر
لعلك أنت إطار الوجود لعلك أنت جمال الصورْ
وطرت إلى الأفق بين السحا ب.. أفتش عنك فؤاد القمرْ
فصرت إلى أفقٍ هادئٍ وعدت إلى عالمٍ من فكرْ
فجاوبني البدر في أفقه وألقى عليَّ بيانًا أغرْ
تريد الحقيقة من مهدها تطلَّبت شيئًا مضى واندثر

٣

هكذا قرأت جدِّي

بقلم: حسام سعيد الحبيب

هذه شذرات أُحاول فيها رسم بعض الخطوط والجوانب لشاعر استطاع أن ينقش حروفًا على صفحات الحياة برغم الظروف العصيبة التي واجهته وجعلته يُعارك الحياة وحيدًا، ولكنه استطاع أن يتغلّب على ظروف الحياة ويُثبت أن الإنسان هو صانع السعادة إذا استعان باللّٰه سبحانه وتعالى، فأهدانا ذلك البستان الذي عندما يتجوّل فيه السائح يجد ما يصبو إليه من كل فن ونوع حتى يتسنى له قطف ما يشتهي من تلك الثمار الروحية.

ولا أستطيع في هذه الصفحات الإحاطة ولكنها شذرات ممَّا جاد عليَّ به مداد قلمي.

الإنسان صفحة بيضاء عند ولادته تتغيّر بتأثير من أبويه وبيئته التي يعيش فيها، لذا حثَّ سيّد البشرية أبو القاسم محمد ﷺ على التربية الحميدة، ووعد مَنْ يُربّي أبناءه تربية صالحة بالجزاء الأوفر، فذلك الابن ما هو إلَّا لبنة في بناء المجتمع المسلم، وصلاح تلك اللبنة هو الركيزة الأساسية لبناء مجتمع صالح، وفسادها هو بداية الانهيار لذلك المجتمع.

وممَّا يُؤسف له أن كثيرًا من الأشخاص الذين يؤدون الواجبات والسنن يتناسون أُصول التربية الصالحة لأبنائهم بسبب الإهمال أو الثقة العمياء، ممَّا يتسببون في انهيار مجتمع كامل، فيا ترى بماذا سيجيب من يقف بين يدي الرحمن ويُسأل عن تلك الأمانة؟!

ومن هنا حرص الإمام الشيخ علي أبو الحسن[١] الخنيزي على تربية أبنائه تربية صالحة، وأخذ يتعهّدهم برعايته حتى تعطي أحلى الثمار، وفي ذلك الجو نشأ شاعرنا في بيت تُحيط به أجواء التوحيد الروحانية، فيتزود منها ما يُطهّر تلك الروح الحبيسة في الجسد المادي، وأخذ ينهل من أصناف العلم والمعرفة، فدرس على أيدي أولئك العلماء الأساتذة الذين كانوا يُديرون دفَّة البحث والتدريس تحت ظل والده الإمام الشيخ أبي الحسن الخنيزي، فحفظ القرآن ودرس كتب اللغة كالقطر والألفية والمغني، كما درس كتب المنطق والفلسفة والبلاغة والتصريف، ثم انكبَّ على دراسة الأدب والتاريخ وأصول الفقه والحديث، فأصبح شرهًا للعلم يقرأ ما يستطيع الحصول عليه من أدب أجنبي مترجم أو مهجري إلى أن تفجّرت ملكة الشعر عنده وهو في سنِّ الرابعة عشرة حيث كتب أولى محاولاته الشعرية بعنوان عهد الطفولة:

عهد الطفولة عهد يستراح به ما فيه من حزن يشجي ولا كدر

وفي عام ١٣٦٣هـ ظهر تأثير شعراء المهجر في شعره فكتب قصيدة البدر الحائر:

---

(١) هو الإمام الشيخ علي أبو الحسن بن الحاج حسن الخنيزي الذي وضع أول بحث خارج في القطيف ولعله الأخير بمستوى الأبحاث التي كان يلقيها جهابذة العلم في النجف الأشرف.

أيـا بــدر عمت بهذا الوجود وشـاهـدت فيه فنون الصور

الشعر مرآة لنفسية الشاعر:

ثم عــودي لصورتي وشعري فهما نـاطـقـان فــي ديـوانــي
اقرئيه ففيه فجر ابتساماتي ولــيــل الآلام والأشــجــان
اقرئيه كأنما شاهدت روحك روحــي فـي عـالـم الـوجـدان

الشعر هو ترجمان لمشاعره وأحاسيسه السعيدة منها والمؤلفة وفلسفته، فمن أراد سبر أغواره فليتمعن في شعره، ففيه الكثير من الرموز التي تترجم حياته وفلسفته.

وبصورة مختصرة نلمح في شعره عاطفة وجدانية تمتزج مع الكلمات يساندها ذلك الخيال الواسع. كما يتميّز بدِقَّة الوصف والتشبيهات الرائعة وخاصّة في القصائد التي وصفت قلعة القطيف ومعالمها التاريخية.

ولا ننسى تلك الفلسفة الصوفية المتأمِّلة في أسرار النفس والطبيعة التي سارت في طريق واحد مع الفلسفة الإسلامية الصحيحة.

لذا كان الشعر عنده كالماء الزُّلال ينحدر بسهولة ويسر من غير عناء؛ لأنه ما هو إلَّا تلك المشاعر والأحاسيس التي يترجمها إلى لغة الشعر.

وقبل أن أدير الصفحات أريد أن ألقي الضور على نقطة قد تكون نوقشت في بعض الترجمات الشعرية للشاعر، وهي النظرة التشاؤمية للشاعر والتي أجد عكس ما يُقال في شعره حيث لاحظت فيه التفاؤل والصبر فيقول:

في أغاني الشباب ذوبت قلبي في كـؤوس سقيتها الأحــرارا
وسكبت النهار في مقلة الليل على الأُفــق فاستحال نهارا

فبنيت الكوخ المبعثر قصرًا صـار لـلـودِّ مهبطًا وشعارا

أما في الأبيات التالية فنلاحظ مدى انطلاق روحه حيث يقول:

ملكك الجو والفضاء فحلّق بجناح الـخـيـال والتفكير

إنـمـا أنـت طـائـر يتغنَّى بـجـمـال الطبيعة الـمـأثـور

وهنا هو يُبيّن سرّ تفاؤله والبلسم الشافي للظروف العصيبة حيث يقول:

أرسل الشعر كوكبًا وسط هذا الليل تسفر ظلماؤه بالضياء

وعندما نريد أن نتقصَّى ذروة التفاؤل نجدها في النهر الطروب حيث يقول:

أنا في العواصف كالجبال تكون للأحداث قبرا

أنا كالمراهم للجروح أسيل فوق الجرح عطرا

والليل إن أرخى ا لظلام طلعت في الظلماء بدرا

والصبر مفتاح الحياة وما يطيق الناس صبرا

في الصفحات التالية سأحاول الإشارة إلى بعض النقاط التي تتناول العوامل المؤثرة في الاتجاه الشعري للشاعر وأغراضه بصورة مجملة وسريعة.

أولًا: العامل التأثيري لإصابته في عينه:

منبع اليأس والشقاء عيوني فـعـيـوني مـسـتـودع الآلام

والكتاب الحبيب عند فؤادي مثل قلب الظمآن عند الشراب

كلما رمت أ ن أروي فؤادي عـدت منه بحرقة والتهاب

فـعـزائـي أن الـضـيـاء بقلبي سرمديٌّ الإشعاع والإصباح

كانت عينه سبب لكثير من الظروف العصيبة التي واجهته، ويرى شقاءه الأكبر في عدم استطاعته القراءة التي شغف بها، حيث يقول:

بتُّ ليلي ومني القلب شظايا تتمزق
للكتاب الأمل المنشود عقلي يتشوق
ظامئ الروح إلى جدوله الصافي المرقرق
رشفة من ضوئه الشفاف للروح المحرق

وهكذا يمضي في التأسي لضياع وقته بسبب عينه التي تقف حاجزًا في كثير من الأحيان عن مسامرة الكتاب.

ضاع وقتي ضاع عمري في حياة خاوية
كل يوم في حياتي ليس فيه قافية
هو من عمري جذب كصحارى خالية

ثانيًا: العاطفة:

تعتبر العواطف الإنسانية من أكبر الطاقات المؤثرة في حياة الكائن الحي ومن ثم في حياة البشرية ككل. فنضوج المجتمع وتكاملة أو دماره وفناؤه تحكمه تلك العواطف الثائرة، فتلك الطاقات هي التي تدفع الإنسان للحب، للكره، للسلام، للحرب، كما هي التي تحكم أطماعه وترسم درب حياته.

تلك العاطفة التي تؤثر على كل شيء يترجمها الشعر لتظهر على صفحات الورق، لتعكس صورة ذلك البركان الثائر في أعماق النفس. من هنا كانت العاطفة عند الشاعر من أكبر العوامل المؤثرة في شعره ومن يعرفه

يعرف ذلك الأب الحنون على أولاده الابن البار بوالديه. ترى تلك الطاقات الهائلة تنبعث من روحه فتترجم إلى أفعال؛ لذلك أصبح فقد الأحبة جرح لا يندمل في نفسه، يبكيه كلما وردت عليه خواطر الماضي. ولا تقتصر عاطفته على أشخاص، بل تتعدَّى ذلك كله. وسأحاول رسم فصولًا من تلك الصور التي أشرت إليها:

١- والده:

كان فقد والده من العوامل التي تركت الأثر العميق في قلبه، حيث لم يجد ذلك القلب الرحيم الذي كان يتعهَّده برعايته.

لقد مات والده وهو ذلك الوالد الذي كان عَلَمًا يبكيه البعيد قبل القريب، فترك فراغًا في حياته بل في المجتمع ككل، فكان بكاؤه على والده يرد عليه كلما مرت الذكرى ونجد أثرها في قصائده حتى بعد خمسين عامًا.

٢- أولادنا أكبادنا تمشي على الأرض:

قد يكون الموت فجاءة صعبًا ولكن معاناة المرض ورؤية المريض وهو يتعذب من الآلام المبرحة أصعب وخاصة على محبيه، كانت تلك الثمان سنين أشبه بالظلام الذي يخطو بتثاقل تحمل في طياتها الآلام والمرض لطفل صغير.

كان ابنه حسينًا مصابًا بالثلسيميا ذلك المرض الوراثي الذي يقتل صاحبه بعد أن يُذيقه مرارة الحياة ويُذيق أهله طعم الحسرة والألم والحزن ويقطع نياط قلوبهم وهم يرون فلذة كبدهم يكابد تلك الآلام.

تلك المآسي فجّرت شعرًا يحكي قصة حسين وما هي إلَّا الآلام تصور

شعرًا فأصبحت دموعًا ممزوجة بالدم، وها أنا كلما قرأت قصيدة:

ذهبت إلى «مصح» في الصباح وطيف الموت في كل النواحي

تذرف عيناي بالدموع.

وبالرغم ممَّا يُعانيه من ألم لم يتناسَ زوجته وما تقاسيه لإحساسه بعافطة الأُمومة فيخاطبها بقوله:

اسكبي من دموعك الطاهرات وأذيبي الفؤاد في القطرات
فوق جسم أحاله الداء ورسًا وتمشى في الدم في الذارت
في المصحات عشت فيها طويلًا وقضيت الساعات في الآهات
تحرسين الطفل المريض بقلب وتذودين عنه بالحدقات
قد هجرت بيتًا حبيبًا وأبناء حيارى في وحشة الغرفات

إلى أن يحاول التخفيف عنها بقوله:

إيه يا زوجتي الحنون اصطبارًا إنما الصبر آية العزمات
اصبري فالنفوس تصلح بالصبر وبالصبر ابلغي الغايات

ونراه يسترجع الذكرى عندما زار ابن أُخته الأُستاذ عصام عندما كان طفلًا وكان في نفس الغرفة التي توفِّي فيها ابنه حسين حيث يقول:

ها هنا قد ذوت به غاليات وتلاشت غر الرؤى من حياتي
وتمثلته تعاطي من الدم كؤوسًا محمومة الشوكات

٣- والدته:

أُصيبت بعدة جلطات في المخ فأصبحت ترقد على الفراش لا تحسُّ بما في الحياة، فأخذ يتألَّم كلما رأى أُمَّه في تلك الحالة وهو مكتوف اليدين:

مقعد أنتِ بلا دنيا حراك في سكون
ميتة أنت ولكن لم تمت فيك الأماني

ولم يتناسَ أن الأُمَّ جنَّة لأبنائها وركن حصين يأوي إليه حيث يقول:

أنت لي ركن منيع كمقر لأمين

ويقول في أخرى:

أحنُّ إليكِ حنين الرضيع وها أنا في حلة المفلق

٤- الوطن:

الوطن حب كبير لا ينكره إلَّا شخص عديم الانتماء لكنه يتفاوت بين قلب وقلب، ولن يفلح شعب إلَّا إذا تمسَّك بأرضه وانتمائه لأنه سيشعر بوحدة المصير والأهداف، فيتماسك ذلك الشعب لرسم الطريق لحياة أفضل، ولا أُريد أن أسرد الأمثلة لأن التاريخ وكذلك الحاضر مليء بالأمثلة. وبالمقابل لا نرى شعبًا تعلَّق بأمجاد قوم آخرين وأفنى حبَّه فيهم وأشاد بهم وبتراثهم ونسي وطنه وما فيه، بل وأخذ الفرد فيه يحسد الآخر، إلَّا ذل وضُربت عليه المسكنة وأصبح شعبًا عديم الهوية والشخصية وبالتالي سيصبح مصيره الفناء والعدم.

لذا كان الوطن في حياته شيء ثمين يعشقه بكل كيانه، فتمخَّضت تلك القصائد تتغنى بوطنه بكل ما يحويه من أُناس وبحر ورمل ونخيل وقلاع كان حيًّا أو جمادًا؛ لذلك نراه حينما شهد عملية هدم القلعة عن كثب، صوَّر هذا المشهد:

قلعة المجد والندى والسماح أنتِ مثل المعين للأرواح

ويواصل الوصف والتشبيهات الجميلة فيصف المدينة قبل الهدم وكأنك تشاهدها قائمة على أقدامها قبل الهدم والإزالة فيقول:

وعلى جدرها تشعُّ مرايا وهي رمز لعالم فتَّان
ونقوش في جدرها تتجلَّى كتماثيل جسدت لحسان
وبأبوابها النقوش ودنيا من معانٍ لمبدع فنَّان

ويصف الحياة الاجتماعية للنساء في تلك المدينة التي عفا عليها الزمن وأصبحت كالصحراء الخاوية بقوله:

أين تلك القصور فيها تميس الغيد غصنًا في حلَّة من حرير
يتدافعن كالقطاة إلى الماء ويمشين مشيةَ المخمور
وعطور يسكبنها من قوارير على الجسم ضافرات الشعور
وورود على الرؤوس كإكليل نضار مذهَّب التسطير
يوقدون الشموع مثل المصابيح فوانيس في الظلام الضرير

ويصف الحياة الزراعية في القطيف حينما يجني الفلَّاح والفلَّاحات أثمار زراعتهم التي يسقونها من عرقهم فيبعن نساؤهم تلك الثمار في الأسواق الشعبية التي تُقام بوسط القلعة:

ويُباع الحليب في البرحة الكبرى مع البيض في مساء الصيام
وترى الورد والرياحين واللوز سلالًا في روعة من نظام

ويصف النخلة التي كانت غذاء الغني والفقير وتستخدم أليافها وسعفها في عمل الكثير من الأدوات المنزلية بقوله:

تحمل العرجون كاللؤلؤ في أشهى غذاء
هي في الأرض وعنق لاح منها في السماء

وأيضًا بقوله:

شرقها البحر والنخيل عذارى   مثل جن أعناقها في السماء

ويصف تلك العيون المنتشرة في المنطقة التي بناها العمالقة بقوله:

وسط شكل من الفنون غريب   هندسي في قعرها والبناء
تبصر العين ما يدور على القعر   إذ رقَّ ماؤها في الصفاء
فهي في عمقها تضيق ولكن   في سماها رحيبة الأرجاء

ونلاحظ جمال تشبيهه للسفن بقوله:

سفن كالحمائم البيض   كالأنجم تطفو على فم الموجات

وعلى كثرة الدراسات التي صدرت عن شاعرنا وعن كتبه المطبوعة الأربعة، فبعضها دراسات أكاديمية وغير أكاديمية إلَّا أنها لم تتحدَّث عن عاطفتين وطنيتين كانتا تجسِّدهما هذه الدواوين، ولربما أشار لها البعض كإيماءة الشاطئ أو كلمحة الضوء، فأحببت أن أُشبع دراستي بالحديث عن هاتين النقطتين.

العاطفة الأولى:

تصوير الشاعر الحياة العملية في الخليج التي لا تختص بالقطيف، بل هي تنتظم دنيا الخليج بأسره، وهي عمل البحر، وهذا العمل لا يكون إلَّا في فصل الصيف حيث تخرج السفن الكبيرة تمخر عباب البحر لاصطياد اللؤلؤ من أعماق البحر ويسمّى في عرف الخليج بالغوص. الغوص له موسم يتعرّض فيه البحارة الذين يمتطون السفن إلى عواصف قد تودي بحياتهم، كما أن هناك أسماك القرش التي يتعرَّض لها البحار.

وكان سوق اللؤلؤ يعيش عليها زمرة من أهل الخليج، حيث يصل اللؤلؤ إلى أنحاء العالم، وكان له دور عظيم في تزيين مفارق التيجان والعقود التي توضع في أجياد الفتيات أو الصدور للزينة وإظهار المجد.

وعندما طغى عليها اللؤلؤ الصناعي بسعره الزهيد الذي لا يساوي نظرة من ذلك اللؤلؤ الطبيعي زاحمه في الأسواق فصار لا يغطّي ما ينفقونه على رحلاتهم حتى طويت صفحة هذا العمل من الخليج عامة، ولكن الشاعر لم ينسَ هذا الموسم وهذا العمل الشعبي التاريخي الذي عاش عليه جماعة كثيرة من أبناء الخليج، خشي شاعرنا أن تنسى هذه الحياة ويلفَّها التاريخ وتضيع في أنقاض الزمن، فسجَّلها في قصيدته عروس الخليج، وسأورد منها فصولًا حتى لا ينسى موسم الغوص الأجيال الآتية.

يفتتح الشاعر فصل الغوص بقوله:

وأطلَّت مواكب الغوص يا بحر ولاحت من كوَّة الأزمان

سفن كالعقاب مدَّحت جناحًا ماخرات في البحر كالعقبان

إنه الغوص كالربيع ازدهارًا وانفتاحًا على سنا المرجان

ثم يتحدَّث عن المواويل وهي الأناشيد الشعبية التي كان يرددها الغواصون في موسم الغوص:

المواويل كالحياة إلى الغوص دروس في صفحة الأكوان

ثم ينتقل في القصيدة فيصف التركيب الوظائفي ويقول:

وهم تحت «نواخذاء» مطاع فهو ربّ السفين والصولجان

وهكذا ينتقل ليُبيِّن ما يحمل مع البحار من طعام، كما يناقش قضية

البؤس التي يتعرَّض لها البحار حيث يثقل كاهله بالديون ولا يعطى غير الأجر الزهيد برغم الأخطار التي يتعرَّض لها حيث قال:

زودوه مـن الـنـقـود ببعض   جعلوها «قـلاطـة» للنفير
قـيـدوه مـن الـسـقـام بقيد   رهن دين على ممر العصور
هو عبد لنواخذاء على البر   وعـبـد لـنـواخـذاء البحور

ويستمر في وصف عملية الغوص عندما تقف السفن في عرض البحر لاستخراج اللؤلؤ وكأنك تشاهد هذا المشهد على متن السفينة:

في يديه حبل يشدُّ به السيب   فيلقى فـي مـوجـه إعـصـارا

ويستمر في الوصف الدقيق في كيفية سحب الغيص ووظيفة السيب، ثم يختم الفصل بالثمرة ثمرة الجهد والتعب وهو اللؤلؤ:

فيفك المحار عن فجر أنوار   تـراءت إلـى العيون عـذارا

العاطفة الثانية:

هي مواساته للفقير وحنوه وعطفه على جرحه، فقد كان للفقير دنيًا واسعة في فصول هذه الدواوين فحياة الفقير لها جروح لا يسبرها المسبار ولا تضمد إلَّا بالحنان والعطف والمواساة، ففي قصائد الشاعر تجد المنهل العذب والظل الذي يحنو على الفقير وبقية من وهج الشقاء وحرارة الحياة وتسجيله صور من تلك الحياة المرَّة، فقصيدة الفقير من ألفها إلى يائها غمامة باردة تظلِّل أكواخ الفقراء حيث يقول:

غرق الناس في السرور وإنِّي   غـارق في شجوني السوداء
وحـوالـي صـبـيـة ويـتـامـى   تتلوى من الطوى والظماء

وغطائي السماء مصابحي النجم ومــهــدي حـــرارة الـرمـضـاء
وشرابي من الغدير فإن جعتُ فقوتي الحشيش في البيداء

وعندما كتب الشاعر عن قسوة الشتاء وما في طبيعته من عتوٍّ وعواصف وأمطار وصف كوخ الفقير وصفًا دقيقًا بحيث سجَّله في مشهد كأنك تبصره وهو كالزورق الذي تتلاطم به الأمواج:

وارحمتا للكوخ لاح كزورق في الماء طافي الشكل دون قرار
بات الفقير مشرَّدًا عن كوخه نهبًا إلـى الأنــواء والأخطار

وعندما وصف الصيف وما فيه من خيرات وثمار لم ينسَ الفقير حيث إن الصيف هو ربيع الفقير، فضمن هذا الربيع في قصيدته:

في صدرها رطب جنيٌّ هانئ يبدو كمثل اللؤلؤ الفتَّان
تحنو على جرح الجياع فيرتوي من نبعها الصافي بكل حنان

وهكذا يمضي في عرض الفقر وما يخلفه من أضرار اجتماعية كما في قصيدة مأساة إنسانية وذئب في صورة إنسان، وعندما أكتب وغيرهم، ولا يكتفي بذلك، بل إنه عندما يرى تلك التيارات الجارفة تعصف بالشباب يخاطبهم في قصيدته بقوله:

يــا شـبــابًـا تـائـهًـا فــي دربــه حائر الفكر شريد الخاطر

فالوطن أخذ نصيبًا كبيرًا من شعره وليس وطنه فقط مسقط رأسه، بل كل بلاد العرب والإسلام، فهو يخاطب أعضاء البعثة المصرية بقوله:

إن القطيف ومصر شعب واحد في المبدأ السامي وفي الأفكار
فمتى نــرى هــذي الشعوب توحَّدت ترمي العدو بمارد من نار

ويخاطب الفدائيين الفلسطينيين:

صوت الفداء يدوِّي من فم اللهب ليستعيد فلسطينًا إلى العرب

فالدم شعلة أضــواء مقدَّسة تضيء ظلمة هذا الليل كالشهب

أقحم وقيت الردى ميدان مغتصب ودك صرحًا من التمويه والكذب

إلى أن يقول:

لـولا الفداء ما كانت مآثرنا غراء في عتمة التاريخ كالقمر

ويشد أزر أطفال الحجارة بقوله:

سلاح الحجارة أمضى سلاح وأفـتـك مـن مدفع أو حسام

هكذا كان الوطن وحبه في قلبه.

٥- المرأة:

عندما أُريد الحديث عن المرأة لا أجد لها المتَّسع في هذه الوريقات، فهي نواة المجتمع وصلاحه، فهي الباني والزارع، وهي السند والملجأ، والحديث: «تخيَّروا لنطفكم فإن العرق دسَّاس» يُبيِّن أهمية اختيار الزوجة، وأن الزوجة الفاسدة تنتج الذرية الفاسدة.

وفي التاريخ القديم شموس وضَّاءة وأعلامًا رفيعة تعكس دور المرأة، وتوضِّح إرادتها وقوَّتها في شتَّى المجالات، ولا أجل وأعظم من خديجة الكبرى وفاطمة الزهراء والعقيلة زينب اللواتي كُنَّ الزوجة والأُمّ والأُخت والابنة، وكانت لهم المواقف العظيمة في رفع كلمة التوحيد، فيا حبَّذا لو تأخذهن كل فتاة القدوة في بيتها ومجتمعها حتى تكون الزوجة الحنون والأُمّ العطوف والمرأة العاملة.

لقد كان للمرأة المكانة الرفيعة في قلب الشاعر، وكانت مثارًا لكثير من القصائد حيث يقول:

أنــا لــولا أنــتِ مــا فتحت فـــي دنـــيـــاي جـفـنـا
أنــا لــولا أنــتِ مــا وقعت كـــالأطـــيـــار لـحـنـا

ويقول في أُخرى:

لمست قلبي فاغتذى شاعرًا يصوغ فيك المثل السائرا

إلى أن يقول:

أنــتِ سماء الشعر يـا فتنتي لولاك ما جـوَّدت هذا النشيد

والحب عنده ليس الحب المادي، بل هو حب الروح والنفس:

كـذب الوهم أن أراك بعيني إنــمـا يبصر الــفـؤاد حبيبه

ويخاطب الفتاة المتحرِّرة بقوله:

عـــودي إلـــى الـسـيــاج لا تــذبــل أوراق الـشـجـر

وفي الأبيات القادمة نرى حلاوة الوصف يقول:

ما إن نظرت إلى الربيع وزهره إلَّا رأيتك في الربيع الزاهر

يقول في أُخرى:

إذا ما غرَّد البلبل في روضته الغنَّا
وتاه بسحره تِيهًا فخورًا ردَّد اللحنا
ففيك السحر والفتنة فيك الشاعر افتنَّا
ففيك اللحن يسبيني وفيك الكون قد جنَّا

وللمرأة في شعر شاعرنا ميدان واسع، حيث كتب عنها ديوانًا كاملًا أسماه «شيء اسمه الحب».

التأمُّل:

الإنسان روح وجسد، فالروح تمثِّل الجانب الشفَّاف الصافي التي تتعلق بالإلهيات وتسافر في الملكوت الأعلى لتصبو إلى مرتبة الكمال، أما الجسد فيتمسَّك بالعالم المادي ويصبو للشهوات، وعلى مدى التوازن بينهما يكون سلوك الإنسان واعتقاده.

إن الثقافة الدينية التي تربَّى عليها الشاعر ودراسته لأُصول الفلسفة والمنطق جعلته دائم التفكير في النفس وأسرار الحياة والموت والطبيعة والكون حيث يقول:

من أنت يا نفسي ملاك طاهر؟ أمـا أنـت شيطان شقي قاهر
إني أراك مع الظلام ضحوكة فكأنك الصبح الطروب الزاهر
وأراك في الصبح الجميل حزينة فكأنك الليل الدجيُّ الكافر

فهو يرى تقلبات النفس ولا يرى التفسير الشافي في نفسه.

وفي قصيدة «روح وهيكل» يظهر التساؤل عن الروح:

حدّثيني يا نفس عن أُفق الروح وكيف الحياة فـي الأرحــام
أنت ماذا؟ في عالم الروح شخص أم خـيـال مـجـنّـح الأحــلام

إلى أن يقول:

لست أدري ما كنهها؟ غير أني أعرف الروح فيض باري الوجود
حدّثيني عن الممات وكيف الكون يُـطـوى فــي لحظة كـالـرداء

إنـما الـروح قـوة يستمد　　الجسم منها كالزيت للمصباح

ويظل يبحث في نفسه وخفاياه ويقول:

اقرئيني بصفحة الكائنات　　تجديني أسرارها المبهمات
ادرسيني فإنني لم أزل سرًّا　　خـفـيًّا وراء هــذي الحياة

وهكذا نرى مدى التأمُّل والبحث ومع ذلك لم يخرج عن الثقافة الإسلامية، بل استمد أفكاره من القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية.

الرحلات:

كان للرحلات التي قام بها الشاعر لمصر وسوريا والعراق وإيران أثر على شعره جعلته يعاصر تجارب وأحداث ليست محصورة في نطاق بلده فقط، بل في العالم العربي. وأود التوضيح بأن المجلات التي كانت تصل له من البلاد العربية سمحت له بالاتصال الثقافي مع باقي الدول، وفي قصيدة له يصف ما رآه في المتحف المصري من آثار ويصف حضارة مصر:

أتيتُك -يا أُفق الحضارة- في الدُّجى　　وأنت كأحلام تسلسل في فجر
حضارة «خوفو» ما تزال كأمسه　　تشعُّ كضوء الفجر في ظلمة العصر

وكذلك قصيدته مع الخيَّام حيث يقول:

طاف الخيال بنيسابور فابتسمت　　عرائس الغيد من أطياف تشرين
ولاح وجهًا إلى الخيَّام في دِعة　　يخصل الضوء في باقات نسرين
فيحتسي من بنات الكرم أعذبها　　فترسل الدفء في ليلات كانون
معانيًا من معاني السحر قد جليت　　كأنها باقة فـي كـفِّ تشرين

كان ذلك عرض لبعض الجوانب التي يتميَّز بها الشاعر دواوينه السابقة،

أما في ديوانه الخامس فقد كان جُلُّه رثاء وبكاء على الأحبة، ولا ننسى ما عرفناه عن الشاعر من عاطفة أثارت أوتار قيثارة الحزن ليسكب قلبه قصائدَ.

بطاقة تعريف:

محمد سعيد بن الإمام أبي الحسن الشيخ علي بن حسن بن مهدي بن كاظم بن علي بن عبداللّٰه بن مهدي الخنيزي من بني عبد قيس. كان والده الزعيم الديني والسياسي لمنطقة القطيف.

ووالدته هي عبدة العلي بنت الحاج عبداللّٰه بن راشد الغانم، أجدادها كانوا أُمراء على ربوع القطيف ردحٌ من الزمن.

تزوَّج من خاتون بنت الشيخ محمد صالح المبارك من أُسرة ذات جذور عميقة في العلم الديني، كان والدها قاضيًا.

وُلد ي قلعة القطيف في السابع من رجب عام ١٣٤٣هـ الموافق فبراير ١٩٢٥م.

زاول مهنة المحاماة.

له من المؤلفات:

١ - النغم الجريح شعر، منشورات دار الحياة - لبنان.

٢- **شيء اسمه الحب** شعر، منشورات الأنجلو مصرية.

٣- **شمس بلا أُفق** شعر، الدار العالمية - لبنان.

٤ - **مدينة الدراري** شعر، مطابع الرضا - الدمام.

٥- **كانوا على الدرب** شعر، منشورات مؤسسة البلاغ - بيروت، لبنان.

٦- **أضواء من الشمس** شعر، مخطوط.

٧- **أضواء من النقد في الأدب** نثر، مخطوط.

٨- **خيوط من الشمس** شعر، مخطوط.

٤

رحلة مع والدي

الأستاذة فردوس محمد سعيد الخنيزي

أحاول في هذه السطور أن أطير بين: زهرةٍ، وأخرى، أستنشق ريحها وأتلذَّذ برحيقها، تلك الزهور التي طالما غذَّتني وتعهدتني بالمعرفة منذ كنت طفلة تمدُّني بالحنان والدفء الأبوي، وتدلُّني على طريق المعرفة والعلم متحلية بالدين والأخلاق.

منذ كنت طفلة وأنا أرى أبي وأعمامي يتوقون الكتاب، ذلك الكنز الثمين يتعهَّدونه كالرضيع يستأنسون به ويتدارسونه.

وكلما شربوا من معينه ازدادوا ظمأً. في ذلك الجو الرائع نشأت أنهل من المعرفة، وأتزوّد من تلك الأسفار ما يُنير عقلي وقلبي، فأخذوا يُفيضون عليَّ بفنون الكتابة والخط والقراءة في فترة العصر، ثم أبدأ في قراءة الكتب لوالدي في الليل وأُسجِّل ما تجود به قريحته الشعرية، حتى أرى القصيدة منذ إبصارها النور إلى أن تصبح زهرة فوَّاحة، بعد ذلك أجلس ساهرة لوحدي أسبح في كتاب على ضوء فانوس، إلى أن أرتوي من معينه؛ ويراودني ذلك البيت الذي طالما ردَّده عليَّ أبي وشرحه لي ليكون مثالًا ودستورًا لحياتي عندما أكون أمًّا:

الأمُّ مدرسة إذا أعددتها أعددتَ شعبًا طيِّب الأعراق

من هنا تبدأ مسيرة حرف حياتي مع ذلك الأب العطوف، ذي القلب الرقيق الذي ألجأ إليه عندما يقسو عليَّ الزمان، أو تضطرب الأفكار في مدلهمات الحياة.

ألجأ إليه ليدلَّني على الطريق اللاحب، لأنه منذ الطفولة هدم كل تكلُّف أو جدار يحول بين الأب وابنه، فكان بيننا كصديق وأخ حطَّم كل كلفةٍ؛ وفتح كل سبيلٍ أدخل منه إليه، فلنبدأ بتعريفه:

أبي هو: محمد سعيد بن الإمام أبي الحسن الشيخ علي بن حسن بن مهدي بن كاظم بن علي بن عبداللَّه بن مهدي الخنيزي، من بني عبدالقيس، تلك القبيلة التي زهرت بالشعراء والأدباء والعلماء، عندما استوطنت الساحل الشرقي.

ووالدته هي عبدة علي بنت الحاج عبداللَّه بن راشد عبداللَّه الغانم. وهي من أسرة عريقة تسكن المنطقة. وكان والدها عبداللَّه بن راشد زعيمًا سياسيًّا يُشار إليه بالبنان.

ولد في القلعة - القطيف، في السابع من رجب عام ١٣٤٣هـ، في الثاني من فبراير ١٩٢٥م، ونشأ تحت ظل والده الإمام أبي الحسن الذي كان الزعيم الديني والسياسي لمنطقة القطيف، فرعاه أحسن رعاية وأدخله الكتَّاب وحفظ القرآن وقرأ كُتُب القطر والألفية والمغني والمنطق والفقه والبلاغة والتصريف، وكان في كل ما درس واعيًا. قطع العلوم في مدة قصيرة، كما قرأ الأدب والتاريخ الحديث، وأصول الفقه، وأخذ ينهل من كتب الشعر، فقد قرأ أدب المهجر وتأثر به تأثيرًا عميقًا، وكان له الأثر الأكبر في نَضج شاعريته، كما قرأ الأدب الأجنبي المترجم.

بداية الإيحاء والعوامل المؤثرة في شعر أبي:

قد تكون بداية الإيحاء لوالدي في سن الرابعة عشر، وقد كانت أول محاولة بعنوان عهد الطفولة والحبيب المتألم، ولكن والده كان يمنعه من أن يشغل نفسه في ذلك السن عن الدراسة، وكان يود أن يؤجِّل ذلك إلى أن يفرغ من دراسته.

عهدُ الطُّفولة عهدٌ يُستراحُ به ما فيه مِنْ حزنٍ يُشجي ولا كدرِ

أما بداية نضجه وتحوُّله الشعري ففي عام ١٣٦٠هـ. وفي عام ١٣٦٣هـ أخذ ينهج منهجًا شعريًّا جديدًا يختلف عن زملائه وبيئته فكتب قصيدته التي يصف فيها جمال الطبيعة وجعل بينه وبين البدر حوارًا وقصصيًّا.

أيـا بـدرُ عمتَ بهذا الوجودِ وشـاهـدتَ فيه فنونَ الصُّور

أما العوامل التي أثرت في شعره أبي فهي:

١- مؤثرات نفسية بسبب إصابته في عينه، وهو ضعف بصره الذي ساعد على نمو خيال واسع عميق المعاني يسع الدنيا مبطّن بالألم والحزن، على ذلك الصديق الذي لا يستطيع الانفراد به حيثما شاء، حتى يزوِّد روحه المحلِّقة بسحره وجماله، حتى وصف حالته النفسية بقوله:

بتُّ ليلي ومني القلبِ شظايًا تتمزَّقْ
للكتابِ الأملِ المنشودِ عقليْ يتشوَّقْ
ظامئَ الرُّوحِ إلى جدولِهِ الصَّافيْ المرقرَقْ
رشفةٍ مِنْ ضوئِهِ الشَّفَّافِ للرُّوحِ المحرَّقْ

ذلك الشوق -وما أحلاه من شوق!- لا يُحسُّ به، إلَّا من رقت روحه، وصفى باطنه:

ضاعَ وقتيْ ضاعَ عمريْ في حياةٍ خاويةْ
كلُّ يومٍ فيْ حياتيْ ليسَ فيهِ قافيةْ
هوَ مِنْ عمريَ جذبٌ كصحارى خاليهْ

ما أمرَّها من صرخة! فذلك اليوم الضائع عند أبي الذي لا يكتب فيه حرفًا على سطور الحياة، فكيف بالذين يقضون السنين الضائعة الخاوية، حتى ينطووا من هذه الدنيا بدون أن يعملوا شيئًا لهم ولأبنائهم، إذن فهم أشبه بالموتى وإن لم يفارقوا الحياة. ثم تردَّدت هذه الحالة النفسية وهذا الوقت الذي يعتبره أبي ضياعًا عندما لا يكتب فيه حرفًا واحدًا:

كـــلُّ يـــومٍ يـــمــرُّ بــيْ فـــيْ حــيــاتــيْ ويــخــطــرُ
لــيــسَ فــيــهِ قــصــيــدةٌ أنَـــا -يــا مـــيُّ!- أخــســرُ

٢- وفاة والده، حيث تُوفِّي ليلة ٢١/ ١١/ ١٣٦٣هـ وكان يبلغ من العمر تسعة عشر عامًا، حيث أصابته أزمة اقتصادية حادَّة، جعله يعارك الأحداث. فسُلوته الشعر يخلد إليه يشدُّ من أزره، ويستمد القوة مع خيوط فجر ثانٍ.

لَا.. لنْ يموتَ الشِّعرُ فيْ قلبيْ المجرَّح بالخطوبِ
سيظلُّ ينبوعًا سخيًّا ينفحُ الدنيا بطيبِ
يسقيْ الحياةَ ربيعُهُ فتعودُ في ثوبٍ قشيبِ

كذلك تعلُّقه بوالده، فهو المثال والقدوة، الذي أثَّر في نفسه، فانطبعت

في شعره كلمات تمثِّل ذلك الحب والتقدير:

أبتاهُ! فاضَ القلبُ بالأحزانِ   وعدَتْ عليه طوارقُ الحدَثانِ
أبتاهُ! قمْ للخطِّ فهي صريعةٌ   رهن البلى وحوادثِ الأزمانِ

أما العوامل الأخرى التي أثرت في شاعريته فهي:

١- العاطفة الصادقة التي تمثِّل الإنسان الحق، لا ذلك المستذئب، تلك العاطفة يسندها الخيال الحالم، وعمق التعبير، أبدعت في نقش تلك القصائد الرائعة:

رأيتُكِ من شرفةٍ تنظرْينَ   فآمنتُ بالسِّحر: سحرِ المقَلْ
وددتُكِ يا زهرتيْ! برعمًا   ولمْ أدرِ معنى الهَوَى والغرامْ
فأنتِ صباحيْ وشمسيْ التيْ   أطلَّتْ تُنيرُ لقلبيْ الظَّلامْ
وددتُكِ والحبِّ فجرٌ ضَحوكٌ!   ونارُ تُحوِّلُ قلبيْ ضرامْ

٢- الحالة الاقتصادية في تلك الفترة، حيث كان الفقر الصفة السائدة، فتناول تلك المشاكل الاجتماعية:

لقدْ حسرَ العريُ جسمًا صقيلَا   فلاحَ شبيهًا بميْتِ الورودْ
ورودٌ ولكنْ بأيديْ الخريفِ   يُساقطُها عاصفٌ كالرُّعودْ
لقدْ ضقتُ ذَرْعًا - فهلْ منقذيْ   مِنَ الجوعِ يَا ربِّ! ولوْ بالوعُودْ

وكان في شعره يتألم للفقير، ويشعر بشعوره ويواسيه؛ كما نراه يصوره في قصائده حيث يقول في قصيدته الشتاء:

وارحمتاهُ! للكوخ لاحَ كزورقٍ   فيْ الماءِ طافيْ الشَّكلِ دونَ قرارِ
باتَ الفقيرُ مشرَّدًا عن كوخِهِ   نهبًا إلى الأنواءِ، والأخطارِ

٣- الثقافة الدينية التي زرعها ونماها فيه والده الإمام حتى ما فتر يراجع ويحاسب نفسه، تارة: يتأمَّل في الكون، وتارة: في نفسه يبحث عن خباياها:

ما أنتِ يا نفسيْ...! ملاكُ طاهرٌ؟ أمْ أنـتِ شيطانٌ شقيٌّ قاهرُ؟

وهكذا يسترسل في القصيدة يبحث في نفسه. ويقول في أخرى:

اقرئينيْ بصفحة الكائنات تجدينيْ أسرارَهَا المبهماتِ
ادرسينيْ فإنَّنيْ لَـمْ أزلْ سرًّا خفيًّا وراءَ هـذيْ الحياةِ

ضمن هذه العوامل تجد إبداعه في الشعر الدرامي، وأُسلوبه الخيالي الذي يبطنه الحزن والتأمُّل، ولم يغفل عن المشاركة الاجتماعية، والتأثير فيها، فنجد يشارك الفقير أحزانه:

ضاقَ هذَا الفضاءُ بالبائس العانيْ وهـذَا الـفـؤادُ رهْـنَ الشَّقاءِ

ويخاطب الفدائيين في أخرى:

صوتُ الفداءِ يُدوِّيْ مِنْ فَمِ اللَّهَبِ ليستعيدَ فلسطينًا إلى العربِ

ولم يخلُ جو هذا الشعر وآفاقه من تصوير أفكار المكتشف الحديث، ونرى في قصيدته القنبلة الذرية:

قصَّة الـذَّرَّةِ تـدمـيرُ بـقـاءٍ للوجودْ
فحياةُ النَّاسِ أخطارٌ مِنَ العلمِ الجديدْ

وله أيضًا الكثير من الرثاء في ديوانه: «كانوا على الدرب».

مؤلفاته:

النغم الجريح - شيءٌ اسمُه الحبُّ - شمسٌ بلا أُفق - مدينة الدَّراري (هو هذا) - كانوا على الدرب (شعرٌ مخطوطٌ) - أضواءٌ من النَّقد في الأدب (نثر)

- خيوطٌ مِنَ الشَّمس (نثر، سيرةٌ ذاتيَّةٌ) - أضواءٌ من الشمس (شعرٌ مخطوطٌ).

الديوان مدار الحديث: مدينة الدراري.

الدَّراري:

الكوكب العظام المتلألأة.

ويقصد بها مدينة العلماء حيث كانت في فترةٍ من أكبر مراكز الفكر والأدب والعلم.

القطيف:

بفتح أوله وكسر ثانيه (على وزن فعيل) مشتق من القطْف: قطف الثمار والزهور. والقطيف هو اللباس المخملي، ومن أسمائها: الخَط، حيث تُنسب إليها الرماح الخطية، وقيل: إنها تعريف كيتوس قبيلة سكنت المنطقة ومن أسمائها: جبروت - أيضًا.

الموقع:

يذكر صاحب التعريفات الشافية: إن الخليج العربي كان يسمى بحر القطيف. والقطيف تشمل الساحل العربي كلَّه، أما في عهد العيونيين، فقد ذكر ابن المقرب في شعره، بأنها تشمل من الظهران حتى صفوى.

والخطُّ مِنْ صفواءَ حازُوها فَمَا ... أبقَوْا بِهَا شبرًا إلى الظَّهرانِ

المدن والقرى:

حتى منتصف القرن الرابع عشر كانت القطيف، هي المدينة المزدهرة الوحيدة في المنطقة، ولم تكن المدن المزدهرة حاليًّا -كالدمام والخبر-

غير قرى تابعة للقطيف. وهي مجموعة من الأكواخ. لجأ لها الدواسر سنة ١٣٤١هـ، وهي اليوم تتفوق على مدينة القطيف، من ناحية التطوُّر المدني والعمراني.

أما في الوقت الحاضر فتتكون منطقة القطيف من مدن وقرى هي: القطيف - صفوى - تاروت - دارين - سيهات - عنك - الملاحة - العوامية - الزارة - الجش - أم الحمام - حلة محيش - الجارودية - الخويلدية - التوبي - البحاري - القديح - الآجام - أم الساهك - أبو معن - الدريدي - النابية - شعاب - العبا - الرويحة - السَّنابس - الزَّور - الربيعية.

الأقوام التي سكنت القطيف:

١- **العمالقة**: وهم اللذين بنوا العيون المنتشرة في المنطقة.

٢- **الفينيقيون**: رحلوا عنها إلى الشام سنة ٢٧٥٠ قبل الميلاد.

٣- **الجرهائيون**: هاجروا إليها في الألف قبل الميلاد وكانوا يشتغلون بالتجارة.

٤- **بنو عبدالقيس**: شعراء وأدباء المنطقة.

ويرى بعض الباحثين أن المنطقة كانت مأهولة بالسكان في العصر البرونزي.

النشاط السكاني:

كان المجتمع القطيفي ينقسم إلى طبقة المُلَّاك للنخيل والمزارع، وطبقة الفلاحين. وكذلك يوجد صيادوا الأسماك واللؤلؤ، وطبقة الكادحين وهم النجارون والحدادون والبناؤُون، فهي مركز زراعي لتصدير التمور والخضار

والسلوق، وترتبط تجارتها بالهند وكانت مركزًا لصيد الأسماك واللؤلؤ ولا تزال المركز الرئيسي لصيد الأسماك وتسويقه في الشرق الأوسط.

ونلاحظ في شعر الشاعر الكثير من الوصف لهذه النشاطات، في قصائده. فأول ما يفتتح الشاعر ديوانه بالكلمات الرقيقة التي يهدي بها مدينة الدراري إلى ذلك الكوكب والكنز الثمين إلى الأم.

ثم يفتتح تلك المدينة بمدخل مليء بالصفات والتشبيهات الجميلة يصف بها تلك المدينة الرائعة.

وهكذا يتنقل من زهرة إلى أخرى، فيصف القطيف في جملة من القصائد التي تصف طبيعتها كلوحة فنية قبل أن تتوسَّع مبانيها على حساب بساتينها وبحرها. وأحيانًا الحياة الاجتماعية، ونرى كيف يوجه الشاب في قصائد ويحثُّهم على العلم في أخرى وكيف يبيِّن الشرور من الحرب وأسلحة الدمار في أخرى.

وفلسطين الحبيبة لها نصيب - أيضًا- في انتفاضتها، ونراه تارة يناجي قلبه والقيثار المهجور، وتقرأ ذروة تفاؤله في النهر الطروب.

وأعود مرة أخرى إلى حياتي مع أبي حتى عندما تزوّجت لم أنفصل عنه ولم أستغنِ عن توجيهاته، فهو الملجأ لي عندما تضيق بي الدنيا، ودائمًا على اتصال مع مؤلفاته وأفكاره وجلساته الحلوة التي لا أملُّها أبدًا، وعندما كبر ابني البكر حسام[1] والذي يدرس الطب في جامعة الملك فيصل، أخذ حيِّزًا كبيرًا لدى والدي، فهو يقرأ له دائمًا ويكتب له ويتناقش معه ويساعده

(١) حسام سعيد الشيخ سلمان العبد الهادي الحبيب.

في مكتبته وفي أي ديوان يعدّه للطبع، فهو مولعٌ بالأدب والتاريخ، كذلك هو الذي لملم الخيوط التاريخية عن هذه المنطقة، وساعدني في إبراز هذه المقدمة، هذه حياتي مع أبي الذي أعتز وأفتخر به، وأرجو له مديدًا من العمر والصحة والإخصاب الأدبي.

أصداء مؤلفاته:

لعل من الخير أن نلم ببعض ما كتب عن مؤلفات والدي:

١- الدكتور/ بدوي طبانة في كتابه: من أعلام الشعر السعودي.

٢- الأستاذ/ الشيخ عبداللَّه الشيخ علي الخنيزي في كتابه: نسيم وزوبعة.

٣- الدكتور/ بكري شيخ أمين في كتابه: الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية.

٤- الأستاذ/ محمد سعيد المسلم في كتابه: واحة على ضفاف الخليج.

٥- الأستاذ/ عبداللَّه عبدالجبار في كتابه: التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية.

٦- الأستاذ عبداللَّه الشباط في كتابه: أدباء من الخليج العربي.

٧- الدكتور/ عبداللَّه آل مبارك في كتابه: الأدب العربي المعاصر في الجزيرة العربية - القسم الأول: الشعر في شرقي الجزيرة.

٨- الدكتور/ عبداللَّه الحامد في كتابه: الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية.

٩- الأستاذ/ خليف بن سعد الخليف في كتاب: الاتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث.

١٠- الدكتور/ عمر الطيب الساسي في كتابه: الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودية - كما نرى له مقالات منفردة في الصحف السعودية.

١١- الأستاذ/ عبدالعلي آل سيف في كتابه: القطيف وأضواء على شعرها المعاصر.

١٢- الأستاذ/ عبدالرحمن العبيد في كتابه: الأدب في الخليج العربي.

١٣- الدكتور/ الشيخ عبدالهادي الفضلي.

١٤- الأديب/ السيد حسن أبو الرحى في المنهل.

١٥- الأستاذ/ الخياط في البلاد السعودية.

١٦- الأستاذة/ شفاء عقيل دراسة عن الشعر الرومانسي في شعر والدي، أطروحة قدَّمتها في الماجستير.

كما أذاعت عنه الإذاعة السعودية وإذاعة الأهواز وإذاعة البحرين عدَّة حلقات عن كتبه الثلاثة المطبوعة «النغم الجريح» و«شيء اسمه الحب» و«شمس بلا أفق»، وكتبت عنه مجلة اقرأ في مقابلة أجرتها معه، وهناك العديد من الكتاب والناشرين ومن الإذاعات لم نذكرها، ولكن ما جاء كان على سبيل المثال لا الحصر.

ابنة الشاعر

فردوس محمد سعيد الخنيزي

١٥/ ٩/ ١٤١٣هـ

٨/ ٣/ ١٩٩٣م

٥

رحلة في عقل الشاعر محمد سعيد الخنيزي

حوار فؤاد نصر الله

مر الشعر العربي بمراحل متعاقبة.. وكل مرحلة استفادت من سابقتها سواء بالنسبة لرؤيا الشاعر وبالنسبة للمفردة الشعرية نفسها.. إضافة إلى أدوات الإلهام الفنية بالنسبة للرؤيا التي يراها الشاعر بحاضره ومستقبله، سواء فيما يخص ذاته كشاعر أو ما يخص مجتمعه. والخليج العربي الذي زخر بعدد من الشعراء العرب الأفذاذ منذ زمن الجاهلية زمن طرفة بن العبد إلى زمن شعرائنا الحاليين الموجودين بيننا.

أعطى الكثير من الشعراء والأدباء والكتاب.. ومحمد سعيد الخنيزي واحد من أولئك الذين استطاعوا في فترة حرجة أن يخرجوا بالشعر من تقوقعه بالمنطقة إلى حيِّز أوسع بالرغم من عدم توفّر وسائل نقد تُثري الحركة الشعرية بالمنطقة.

والشاعر الخنيزي بالرغم من ظروفه الحياتية القاسية التي عاشها في تلك الفترة إلَّا أنه استطاع أن يتغلّب على المشاق ليخرج إلى العالم بشعر عذب يصوّر الحياة البائسة التي سادت بالمنطقة آنذاك، بالإضافة لشعر الغزل الذي تميّز به الشاعر.

وكان نتاج تلك المراحل الحياتية خمسة دواوين شعرية، طبع منها ثلاثة، هي: النغم الجريح، وشيء اسمه الحب، وشمس بلا أفق، إضافة لكتابين نثريين لم يريا النور بعدُ.

ولكي نُبحر في أعماق تجربة هذا الشاعر أجرينا الحوار التالي:

طفولة مرحة باكية:

□ لنبدأ من الطفولة.. حلوها ومرها، شدتها ورخاءها؟

طفولتي كغيرها بالنسبة للآخرين.. عشت طفولة مرحة باكية.. تجمع التناقض؛ لأنني أُصبت بعيني في تلك الطفولة، ولم أكن حينها قد تجاوزت السابعة من عمري، فقد أُصبت برمد في عيني، وكان والدي في رحلة إرشادية إلى بعض قرى القطيف، وكانت إحدى المتطببات جاءت إلى والدتي وطلبت منها عدم فتح عيني وإبعاد الماء عنها وعدم تغسيلها، فتركت تتراكم عليها الأوساخ والميكروبات ولم يعد والدي إلَّا وقد فات الأوان، فأمر بفتحها وتغسيلها وإذا قد تجمّع فيها الأوساخ ونتأ لها «البياض والحقروص» أي العين القرنية.. فمكثت فترة طويلة أعاني من آلام العين وعدم الرؤية جيدًا، إلى أن ذهب بصر إحدى العينين تمامًا وضعفت الأخرى.

لذلك فقد امتزجت طفولتي البريئة المرحة بالآلام والبكاء والحرمان من نعمة البصر، فالعين هي العدسة التي تلتقط صور الحياة الجميلة وغير الجميلة وبدونها يحدّ من نشاط الأديب والشاعر والعالم أو أي عامل في حق الحياة.

وانعكست تلك الآلام في قصائد باكية تمثّل تلك المرحلة من حياتي،

وقد نشرتها في المجموعة الشعرية في ديوان «النغم الجريح».

الموهبة الشعرية:

□ متى انطلق موهبتك الشعرية

ظهرت الموهبة الشعرية لديَّ في فترة مبكرة جدًّا من حياتي بفضل والدي الذي حرص على توجيهي توجيهًا إسلاميًّا وأدبيًّا وعلميًا، وكنت أكتب الشعر وأعرضه عليه وأنا في مرحلة مبكرة فكان يُصلح لي بعض الأبيات ويوجّهني التوجيه الصحيح؛ لذلك فهو موجّهي الأول، إلَّا أنه عندما لاحظ أن اتجاهي الشعري سيتغلب على الاتجاه العلمي منعني من كتابة الشعر وقال لي: إن الشعر والأدب يميل له الإنسان بفطرته وطبيعته، والعلم يحتاج إلى رياضة فكرية، فنصيحتي لك أن تترك الشعر والأدب حتى تقطع شوطًا من العلم ثم تعود إليه؛ لذلك أصبحت أكتب الشعر من رواء الستار دون أن أعرضه عليه.

هل تتذكر القصائد التي ميّزت موهبتك الشعرية في تلك الفترة؟

أغلب القصائد التي كتبتها في تلك الفترة أتلفتها؛ لأنها كانت تأخذ طابعًا تقليديًّا، إلَّا أنني أتذكّر بعض الأبيات من تلك المرحلة، منها:

عهد الطفولة يستراح به ... ما فيه من حزن كلَّا ولا كدر

لا يدرك الطفل فيها بعد غايته ... ولا يفرق بين الحزن والضجر

وأيضًا:

لا تغترر إن قيل عصر يراعة ... عصر عليه من السخافة سيما

جلسات شعرية:

□ في مرحلة الشباب كانت هناك جلسات شعرية وأدبية تجمع شعراء وأدباء القطيف، ماذا لو أطلعتنا على شيء منها؟

لقد كانت لنا جلسات أدبية جميلة تجمعنا في مكان واحد بشكل يومي، ويحضرها من شعراء وأدباء القطيف محمد سعيد المسلم، ومحمد سعيد الجشي، والسيد علي العوامي، والسيد حسن العوامي، والأستاذ الشيخ عبداللَّه الخنيزي، والشاعر عبدالواحد الخنيزي، ومنصور نصر اللَّه، وملا علي الطويل. وقد كتبت عن هذه الجلسات في كتابي المخطوط «خيوط من الشمس»، وهو كتاب يمثّل حياتي وجانبًا من الحركة الفكرية والثقافية التي تكوّنت في تلك الفترة بالقطيف.

هذه الجلسات تمخَّضت عن ولادة عدد من الشعراء وعدد آخر من الكتَّاب، والبعض كان حضوره مشاركة في تلك الجلسات، وقد يناقشون بعض القضايا الشعرية والأدبية إلَّا أنه لم تكن لديهم ميول في كتابة الشعر أو النثر. وفي مرحلة الستينات الهجرية عاد إلى القطيف الشيخ عبدالحميد الخطي حيث كان يتلقَّى العلوم الدينية في العراق، وانضمَّ الأستاذ الخطي إلى تلك المجموعة فكان له فضل ريادة الحركة الفكرية والثقافية بالمنطقة، واعتبر أول واضع لبنة في هيكل الأدب الجديد بالقطيف؛ ذلك لدوره الفعَّال في إثراء الحركة الفكرية، ثم انضمَّ للمجموعة الأستاذ عبداللَّه الجشي، والذي يعتبر من الشعراء المجدِّدين أيضًا.

عوامل التجديد:

□ يعتبر جيلكم هو الجيل المجدِّد في الحركة الأدبية بالمنطقة، ما هي العوامل التي أسهمت في ذلك التجديد؟

أهم تلك العوامل التواصل الثقافي بين حركات التجديد في لبنان والعراق ومصر، حيث إن الكتب الأدبية والدواوين الشعرية والمجلات الأدبية التي تصدرها دور النشر في مختلف تلك المناطق تصلنا باستمرار ولم تنقطع يومًا، ممَّا ساهم في إثراء الحركة الثقافية. بالإضافة إلى أن عددًا من الشعراء ومنهم الأستاذ الخطي عاشوا في تلك الأجواء الأدبية، ممَّا جعل التجديد الشعري يتصل اتصالًا مباشرًا بالحركة الثقافية بالقطيف، خاصة أن الجميع كانوا يجتمعون باستمرار ويقرؤون القصائد الجديدة في تلك المجالس، وكان التجديد الشعري يثير فضول ونهم الجميع في الاستزادة من ذلك.

خروج إلى التجديد:

□ وبالنسبة لك، كيف استطعت أن تُجدِّد في شعرك وتخرج من التقليد الشعري؟

في نظري أن الشاعر يجب أَلَّا يرتبط بأي شاعر آخر، وإلَّا لا يكون شاعراً. فلا بد أن تكون للشاعر شخصية مستقلّة وطابع خاص به وأسلوب يميّزه عن الآخرين.

□ كيف كانت تصلكم المجلات في تلك الفترة، وما أهم ما يصلكم منها؟

كانت المجلات تأتينا عن طريق البحرين، وأهم تلك المجلات: الكتاب المصرية، الأديب، العرفان، الألواح، المعارف اللبنانيات، كذلك

الحركة الفكرية بالمهجر كانت على اتصال بنا، حيث كانت الدواوين الشعرية المتجدِّدة تصلنا.

شخصية مستقلة:

□ **متى استطعت أن تستقلَّ بشخصيتك الشعرية؟**

منذ كتبت الشعر لم أكن مُقلِّدًا، إلَّا أنه لا بد لكل شاعر أن يتأثَّر في بدايته ولو بإيماءة الشاطئ بشاعر آخر، وقد كنت متأثِّرًا بجبران خليل جبران والأديب المهجري في أول سنة من كتابتي للشعر، ولدي مقال عن جبران في الأدب المهجري نشرته في مجلة الأديب، وقد نشرت عدة مقالات وقصائد شعرية في كبريات المجلات التي كانت تصدر في تلك الفترة، حيث نشرت في الآداب والأديب والعرفان والنهج والألواح، كذلك نشرت في عدد من المجلات السعودية التي كانت تصدر آنذاك.

□ **هل كانت لديك تجربة في الشعر الحر؟**

لدي شي بسيط من الشعر متعدّد التفعيلات، وهو ما يسمَّى بالشعر الحر، أما ما يكون بدون تفعيلة فأنا لا أسميه شعرًا، بل نثر، فالشعر يتكوَّن من ثلاثة عناصر هي: الموسيقى، الصورة التي تحكي التجربة أو المعاناة، والغناء، فلو أخذنا مثلًا قصيدة الشاعر الفيتوري «وعلى الصدر جحيم يتفجَّر» هذه تجد فيها الموسيقى والصورة والغناء، وإذا لم تجمع العناصر الثلاثة في القصيدة لا تكون شعرًا.

□ **ماذا عن المهرجان الشعري الخليجي الذي أقيم مؤخَّرًا بالرياض؟**

أقيم المهرجان لخدمة الفكر العربي بصفة عامة والخليج على الأخص، ويتضمن المهرجان عدة نواحٍ أهمها التواصل المباشر والتعارف وجمع

الحلقات المتباعدة في الخليج العربي.. وقد ورد في المهرجان اقتراح جيد، وهو جمع عدد من قصائد الشعراء الخليجية وطبعها في كتاب وترجمتها إلى عدة لغات، وهذه خطوة عظيمة، وقد وعد سمو الأمير فيصل بن فهد أن يقوم بطبع ذلك الكتاب على حسابه وترجمته إلى عدة لغات. وهذا تعريف كبير بالأدب في الخليج العربي ونقل الفكر الخليجي إلى الآخرين.

النغم الجريح:

□ مجموعتك الشعرية الأولى «النغم الجريح» لقيت إقبالًا متزايدًا من القراء ممَّا جعل الطبعة الأولى تنفذ في أيامها الأولى وكذلك الطبعتين الثانية والثالثة.. إلامَ يعود نجاح الديوان؟

حظي الديوان باهتمام كبير في الوسط الثقافي، وقد كتبت عنه العديد من الدراسات النقدية وأذيعت عنه بعض الأحاديث الإذاعية في المملكة؛ وذلك لأن الديوان يصور حياة باكية والناس تُقبل على مثل قصائد ذلك الديوان لتعلُّقهم بعبقرية الألم.. فالناس يُحبُّون الألم.. وكل قصيدة في الديوان تمثِّل جوانب عديدة من الألم، وكل إنسان يشكو من جانب واحد على الأقل من الألم.

وكذلك المجموعة الثانية المسمَّاة بـ«شيء اسمه الحب» التي تمثِّل جانبًا آخر من الحياة المرحة والغزل.

شمس بلا أفق:

□ ماذا عن مجموعتك الشعرية الأخيرة «شمس بلا أفق»؟

طبعت مؤخَّرًا، وقد كتب عنها الدكتور عمر الساسي دراسة نقدية نشرت في إحدى الصحف المحلية. والديوان يمثل جزءًا من حياتي، وفيه

عدد من القصائد الاجتماعية.

□ **ماذا عن كتاباتك النثرية؟**

لديَّ كتابان نثريان هما: «أضواء من النقد الحديث» وهو كتاب نقدي لعدد من القصائد الشعرية. نشر منه قسم في صحف عربية ومحلية.. والكتاب الثاني هو «خيوط من الشمس» وما زلت أواصل كتابته.

□ **ما هي مشروعاتك الشعرية الجديدة؟**

ديوان «مدينة الدراري» وهو يتحدث عن القطيف وعن تاريخ الغوص وصور اجتماعية ونفسية، بالإضافة لديوان «كانوا على الدرب» وهو مجموعة قصائد رثاء لعدد من الأصدقاء والشعراء وبعض الشخصيات الاجتماعية، بالإضافة لبعض القصائد المشابهة للرثاء..

□ **هل حدث موقف طريف كتبت على أثره قصيدة شعرية؟**

ذات يوم خرجت لأحد البساتين في القطيف برفقة الأستاذ الشيخ عبدالحميد الخطي وعدد من الأصدقاء.. وكان يومًا مُلبَّدًا بالضباب، وكانت الشمس تفتح جفنًا ثم تغمضه، وعندما استقر بنا المقام بالبستان وكان الشجر قد بدا أجمل ما يكون لكثرته وتزاحمه والورود المتفتحة تنشر رائحتها في أرجاء البستان.. وبينما كنا نشرب القهوة وعذوبة الهواء تبعث النشوة في قلوبنا، وإذا برياح قوية تهبّ جهتنا وتنثر علينا الغبار وتهزّ النخيل بعنف لدرجة أننا خشينا أن تسقط أشجار النخيل فوق رؤوسنا، فكتبت قصيدة مطلعها:

في سماء مبطّن بالضباب جئت أسعى للحقل كالمرتاب
أنا أسعى والشمس تفتح جفنًا ثم يرتد مطبق الأهداب

فـنـزلـنـا بـه كـظـل خفيف فـوق دينـا مـفـاتـنٍ ورغـاب
ومددنا البساط فوق الرياض وبين الـغـدران والأعـشـاب

وكان سنة ١٣٦٩هـ، وقد نشرت هذه القصيدة كاملة بمجلة الأديب.

الفضل لوالدي والخطي

□ **لمن يعود الفضل فيما وصلت إليه؟**

يعود الفضل أولًا للَّه سبحانه وتعالى الذي وهبني الموهبة ثم لوالدي الذي وجّهني التوجيه السليم وكذلك للأخ الأستاذ الشيخ عبدالحميد الخطي والذي فتح آفاق الشعر والنثر لجميع شعراء وأدباء القطيف.

□ **ماذا تقرأ هذه الأيام؟**

أقرأ في دواوين الشعر وكتب الأدب إلَّا أن قراءتي هذه الأيام ليست منتظمة بسبب ظروف الحياة.

□ **ما رأيك في الصحافة المحلية؟**

الصحافة المحلية قفزت قفزات واسعة وأصبحت تخدم القارئ أولًا.. هذا هدف الصحافة.

□ **والتلفزيون؟**

أصبح جهازًا إعلاميًّا ينفذ للأشخاص حتى في أسرتهم.. ولو استغل هذا الجهاز في الناحية الثقافية والأدبية لأخرج جيلًا أدبيًّا ومثقفًا راقيًا.. وعمومًا فدور التلفزيون حاليًّا يخدم نواحٍ اجتماعية ولو تضاف النواحي الثقافية والأدبية لكان مردوده أفضل.

◻ الإذاعة؟

الإذاعة تطوّرت كثيرًا وهي تعطي الجوانب الثقافية والأدبية اهتمامًا بالغاً إلَّا أن المستمعين لها أقل من مشاهدي التلفزيون.

◻ إلى ماذا تعود ندرة مساهمتك في الصحافة المحلية؟

لضيق الوقت لاشتغالي بالمحاماة والتي تأخذ جزءًا كبيرًا من وقتي، كما أنني في حاجة لمن أُملي عليه وذلك لضعف بصري.

ساهمت في الإذاعة

◻ ماذا عن مساهماتك في الإذاعة؟

ساهمت فيها منذ وقت طويل.. وذلك عندما كان الشاعر طاهر زمخشري رحمه اللَّه مذيعًا في الإذاعة حيث قام بزيارة للمنطقة الشرقية والتقى بي وسجّل لي ثلاث قصائد أُذيعت من راديو مكة المكرمة آنذاك، كما زارني بدر كريم سجّل لي حديثًا وقصيدة، وكذلك أثناء تواجدي في الرياض للمشاركة في مهرجان الشعر الخليجي زرت الإذاعة وسجّلت ثلاثة أحاديث.

◻ ما هي الأمنية التي تمنيتها قبل ٤٠ سنة وتحققّت الآن؟

تمنيت أن أُعلّم أبنائي.. وهذه قد تحقّقت، فجميع أبنائي خريجون جامعيون ومنهم من يُحضّر الدكتوراه وسيحصل عليها في الأيام القريبة إن شاء اللَّه، وهو الابن أديب.. وكذلك الابن الدكتور وديع سيحصل قريبًا على الزمالة في الطب، وهي تعادل الدكتوراه. كذلك تمنيت أن أطبع كتبي وقد

طبعت بعضها وسأطبع البقية إن شاء اللَّه. أما أمنيتي للمجتمع فقد انحصرت في تطور التعليم والعمران وأن يصبح المجتمع مجتمعًا مثقفًا وقد تحقق ذلك أيضًا.

أعامل أبنائي كصديق

□ **كيف كان أسلوبك في التعامل مع أبنائك؟**

أعامل أبنائي برقَّة وأعاملهم كصديق، وكنت أحيانًا ألعب معهم «التيلة» عندما كانوا أطفالًا، وأحيانًا أقسو عليهم إذا اقتضى الأمر.. ولم أكن أغضب من أي تصرف يبدر عنهم ما دام في حدود اللياقة حتى ولو أزعجني تصرفهم.. فأنا أترك لهم حرية التصرف والاختيار ولكن لا أغفل أن أرشدهم وأعوّدهم على المبادئ والمثل الإسلامية.

٦

فقدت بصري في الصبا فتفجرت براكين شعري

حوار: فؤاد نصر الله

الشاعر محمد سعيد بن الشيخ علي الخنيزي أحد رواد الحركة الشعرية الرومانسية في المنطقة الشرقية التي انطلقت في أواخر الخمسينات الهجرية.

ويتدرج الأستاذ الخنيزي في هذه الذكريات ليحدّثنا عن مشواره التعليمي وأصدقاء الطفولة والصِّبا والمحطات المتعلقة بالوظيفة الرسمية وغير ذلك من مساحات مشواره الحياتي التي يمتزج فيها العملي مع الشاعري والفكري.

مدينة القطيف:

◻ حدثنا عن نشأتك الأولى وماذا تبقَّى من تلك الأيام في خلايا الذاكرة؟

ولدت ونشأت في حاضرة القطيف (القلعة)، وكانت كاسمها حصنًا يحنو على مدن القطيف وقراها، فهي تصدق عليها كلمة الحاضرة بحق؛ لأنها منبع الفكر والعلم، ومنبع الاقتصاد. ونشأت نشأة -في مدرسة والدي- دينية وفكرية وأدبية في آفاقها المتسعة، فكونت لي تلك المدرسة معارف دينية وثقافية. وكتبت الشعر وأنا لا أزال غض الغصن لم أتجاوز السابعة عشرة من عمري.

وكانت الذكريات عن هذه الحاضرة (القلعة) تمدّ شعري بألوان من روعتها وآثارها المعمارية وحياتها في روافدها المختلفة، وصورها لا تزال منظرًا يتمثل بين عيني وفي خاطري. أذكر تلك البيوت الشامخة وتلك الطرقات الضيِّقة، كما أذكر أيام كانت «براحتها» حافلة وعامرة حيث يجتمع فيها شريحة من فلاحي القطيف وكل ما تنتجه هذه الأرض الخيّرة من لوز ونبق وفواكه وغير ذلك من ألوان الثمار.

المحطات الجميلة والمحزنة:

◻ عشتم طفولة جميلة برغم ما اعتراها من صعوبات ومآس حدثنا عن بعض محطاتها؟

الطفولة الملائكية.. تحدثت عنها في كتابي خيوط الشمس، ووصفتها بأنها جميلة، ورسمت ما أحط بها من حنان الأب والأم وحنو الخال علي بن عبد الوهاب الغانم، حيث تبناني لأنه عاش بدون ولد، فقد كان يفقدهم واحدًا بعد الآخر. وأوجد لي كل ما كنت أحتاجه وأطلبه، حتى دمى الأطفال والتي لم تكن معروفة آنذاك.

وظللت أعيش جمال الطفولة حتى أُصبت بكارثة ممضَّة وهي إصابتي في عيني، والعين هي المرآة التي تنعكس عليها صور الحياة، فكانت لي بركانًا متفجِّرًا ونزيفًا ينزُّ جروحًا انعكست في شكوى قصائد باكية كتبتها تخفيفًا لهذا الألم الذي يتجدد كلما عطشت لأشرب من سلسال الحرف فأعود بحسرات ظامئة تنعكس شعرًا متفجرًا لهيبًا في قصائد مأساوية تمثل الواقع المرير.

□ مَنْ تتذكرون من أصدقاء الطفولة؟ وهل ما زلتم تتواصلون بزيارات وجلسات؟

أصدقائي الذين عشت معهم ودرجت على صعيد (الكتاتيب)، في طليعتهم الشاعر الراحل عبدالواحد الخنيزي، والأستاذ السيد علي باقر العوامي، والسيد حسن العوامي، وسليمان الفارس، ومنصور مهدي نصراللَّه، وعبدالواحد نصر اللَّه، هؤلاء بعض أصدقائي في طفولتي الغرة.

أما في ميعة الشباب وفجر انبثاق الثقافة التي غرس بذرتها رائد الحركة العلمية والأدبية في القطيف الوالد الشيخ علي الخنيزي، فهم الأستاذ محمد سعيد المسلم، والأستاذ السيد علي العوامي، والشاعر عبدالواحد الخنيزي، والأستاذ الشيخ عبداللَّه الخنيزي، والشيخ علي الطويل، والسيد حسن العوامي، والشاعر محمد سعيد الجشي، فكانت هذه الكوكبة تكّون قبسة فكرية واحدة، وقد أطلقت عليها اسمًا أدبيًّا في كتابي خيوط من الشمس (النادي السيَّار)، لأنه يعقد جلساته الفكرية والأدبية متنقلة بين بيتي وبيت المسلم والجشي، وليس لها رئيس ولا أعضاء، ولا كان يعرف بهذا الاسم، ولكني حينما كتبت عن الحياة الأدبية في القطيف تناولته في فصل استغرق أربعين صفحة من كتابي المذكور. وقد شبّهت هذه المجموعة بالرابطة القلمية للمهاجرين في بوسطن بالولايات المتحدة.

كيف كانت مقررات وكتب الدراسة في وقتكم؟ وما الذي تعلمتم منها رغم تقليديتها؟

كانت كتب الدراسة تتكون من قواعد اللغة وهي الآجرومية، قطر الندى وبل الصدى، وألفية ابن مالك، والمغني. وكتب للرياضة العقلية (الحاشية)

و(الشمسية)، وأصول الفقه، والفقه، وفي المعاني والبيان مثل المطول للتفتازاني، وكلها كتب عميقة معقدة، ولكن الطالب بعد فهمها ودراستها يخرج بحصيلة علمية واسعة الآفاق والأرجاء.

والفرق بين التعليم السابق والآن، أن هذه الكتب قد اختصرت، وفي رأيي أن اختصار بعضها أخلَّ بمعنويتها، فلم يعد الطالب كطالب الأمس، علمية متّسعة في أرجائها.

الأساتذة والوظيفة الأولى:

□ مَنْ أكثر الأساتذة تأثيرًا في شخصيتكم؟

الوالد الشيخ علي الخنيزي، وأعتبره المدرسة التي علّمتني من الأول حتى آخر مراحل الجامعة، ويأتي من بعده الأستاذ الشيخ فرج العمران، والأستاذ الشيخ عبدالحميد الخطي، فهو الموجّه لي في الحياة العلمية والأدبية، وقد استفدت منه ألوانًا من الثقافة توجيهًا في مساري الشعري.

□ حدثنا بالمزيد عن التحصيل العلمي والمعرفي خصوصا في فترتي الصبا والشباب والتي دائما ما تمتاز بالإنغماس في بحور الفكر والثقافة والشعر؟

إن أجمل أيام التحصيل وفي مختلف محطاته وتنقُّلي من دراسة كتاب إلى آخر، هي الاجتماعات اليومية في الضحى لمناقشة الكتب العلمية، فتدور بيننا معارك أدبية تبلغ أوجها.

وبالرغم من أحزان تلك المرحلة -بعد وفاة والدي يرحمه اللَّه- حيث عشت أجرُّ ذيول الفقر المرير، ولدي عائلة تتألف من مجموعة من الإخوة

والأخوات، رغم ذلك لم أترك الدراسة، بل كنت أحرص عليها وأبحث عنها كما يبحث عطيش في صحراء ملتهبة عن الماء العذب ليروي صدأه.

فكنت أغالب هذه الظروف القاسية فأدرس وأعلّم ثلّة من الشباب وأكتب الشعر ولم أنزل إلى ميدان العمل إلَّا بعد أن بلغ السيل الزُّبى وطغى الهدير على الخرير. نزلت إلى ميدان العمل ١٣٧٤هـ.

الحركة الفكرية والأدبية:

ماذا عن الحركة الفكرية والأدبية في المملكة في ماضيها وحاضرها؟

انبثاق الحركة الرومنسية في المملكة كان في بداية الخمسينات الهجرية، وأول من مارسها ووضع لبناتها الأولى في الحجاز محمد سرور الصبان والغزاوي، وفي المنطقة الشرقية الشيخ عبدالحميد الخطي، وفي الأحساء أحمد راشد المبارك.

وكانت في بدايتها تميل للكلاسيكية في الحجاز، وإلى التجديد والأقرب إلى المدرسة المهجرية في المنطقة الشرقية.

وكانت الحركة الأدبية في الخمسينات تضع جذورها الأولى، وفي الستينات نشطت وأخذت تجديدًا بالمعنى المعاصر. فكتبت الكوكبة الأولى ألوانًا من الشعر، وثلّة أخرى مارست شعر التفعيلة.

أما في وقتنا الراهن، فتعدُّ الحركة الأدبية والفكرية في المملكة في مصاف مثيلاتها في مصر والشام والعراق، إلَّا أنها لم تأخذ مكانها الحقيقي ومستواها الجغرافي على مستوى العالم العربي.

هل اتّجهتم في بداياتكم العلمية إلى الوظيفة الرسمية؟

لم يدر في خلدي أن أتّجه إلى وظيفة ما سواء كانت رسمية أو للقطاع الخاص، ولكني خطّطت لنفسي طريقًا يناسب حياتي العلمية لأستفيد منها في نفس العمل واخترتُ المحاماة، وهي مهنة شريفة إذا استُعملت في طريق الحق. فاخترتها ونزلت إلى ميدان العمل بها، وذلك سنة ١٣٧٤هـ، وتركتُ العمل سنة ١٤١٥هـ لأتفرغ للحياة الأدبية وأعطيها كل ما أملك من حياتي الفكرية.

أول قضية:

□ ما أول قضية ترافعت عنها؟ وما أول مبلغ تقاضيته؟

أول قضية ترافعت عنها هي قضية ميراثية، وكان صاحبها فقيرًا لا يملك شيئًا، وجعلتها كفاتحة خير لعملي، ولم أتقاضَ عنها أجرًا. وقد أخذت على نفسي عهدًا ألَّا آخذ قضية حتى أدرسها وأطبقها على القواعد الشرعية، فإذا وجدتها صحيحة ومطابقة قبلتها وإلَّا رفضتها، ولأجل هذه الظاهرة كسبت كل قضاياي التي ترافعت عنها إلَّا ما ندر.

أما أول أجر تقاضيته عن قضية فكان مائتي ريال مقدّمًا فكانت فرحة في نفسي لم أشعر بها من قبل لأنها جاءتني على جزر مادي. أما المؤخّر فلم أستلمه.

□ ما الذي حقّقته من طموحاتك، وما الذي ظل حلمًا لم يتحقق؟

إن الطريقة التي اخترتها لنفسي وبمدد من خالقي هي عندي أفضل طريقة؛ لأنها ارتبطت بالحياة العملية والثقافية، وأنتجت خمس مجموعات

شعرية مطبوعة وأربع مجموعات منها مجموعتان شعريتان ومجموعتان نثريتان.

أما الجانب العلمي فانبثق من جنس الحياة العلمية وأنا راضٍ عنه لأنني اخترته برضى من نفسي.

الحلم والطموحات:

إن طموحاتي برغم ما قدّمت من إنتاج أدبي، إلَّا أنني أعتبر نفسي لا أزال لم أبلغ الشوق فأرضي نفسي، فتهدأ على آمال خضر قد تحقّقت ونبتت الورد والسوسن.

وكل ما أتمناه أن أقدّم للنشر هذه الكتب الأربعة فتكسر القمقم وتعيش تحت ضوء الشمس.

السيرة الذاتية:

□ هل هناك عمل فكري أو سيرة ذاتية تعكفون على كتابتها الآن؟

إنني لا أزال أكتب عن حياتي التي وضعتها في كتاب أسميته خيوط من الشمس، لكن هذه الخاطرة لم تقتصر على السيرة الذاتية، بل اتسع أفقها ليمتد إلى كل ما يتصل بهذه السيرة، فيمر بألوان من تاريخ القطيف ومن حياتها الأدبية وانبثاق الحركة الأدبية الرومانسية وبعض الأحداث التاريخية، مارًّا بتاريخ بعض الأعلام والحركات الفكرية والسياسية والاجتماعية، فهو يعطي لونًا مزيجًا من التاريخ، كما أشرت فيه إلى أحداث وقعت كوقعة الشربة التي حدثت سنة ١٣٢٦هـ، ووقعة الطف التي حدثت في بدايات القرن الرابع الهجري، إلى غير ذلك من أحداث الإيقاع.

جيل الأمس واليوم:

□ تعرفت في مشوارك الحياتي على الكثير من التجارب وعرفت أجيالا متعددة ما توصيفك للأجيال السابقة وجيل اليوم؟

لا يصح أن نقول: إن جيلًا أفضل من جيل آخر؛ لأن لكل جيل سلبيات وإيجابيات، فلا بد أن نبحث عن سلبيات ذلك الجيل وإيجابياته ونقارن بينه وبين الجيل الآخر، فإذا كثرت إيجابياته على سلبياته، كان أفضل منه، وكذا العكس. والفرق بين القرن الرابع عشر وأواخر القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر، وجود المغريات في الآخر دون الأول، وسهولة الحياة حيث ذلّلت العقبات الصعبة التي واجهها ذلك الجيل.

□ ما اتجاهاتكم في القراءة اليومية؟

لا تتقيد قراءاتي بلون من ألوان الفكر أو التاريخ أو الأدب، فهي كانطلاقة تجول في كل ما يمكنها أن تسمح السانحة بقراءتها؛ لأن قراءتي مقيّدة بآخر لأن عيني لا تساعدني على ذلك.

٧

لا أؤمن بشياطين الشعر ولا شياطين النثر
مع الشاعر محمد سعيد الخنيزي

إعداد: فؤاد نصر الله

□ **محمد سعيد الخنيزي.. كيف تعرّف نفسك للقرّاء؟**

مواطن تجاوز سلسلة من الآلام في الحياة يحب خالقه ووطنه.ويسعى لخدمة أبناء وطنه.

□ **متى هبط عليك شيطان الشعر لأول مرة؟**

كان ذلك عام ١٣٦١هـ حيث كنت يافعًا غضًّا.

□ **هل تؤمن بأن لكل شاعر شيطانًا يعتريه؟**

لا أؤمن بشياطين الشعر ولا شياطين البشر.

□ **وماذا عن وادي عبقر؟**

أفق خيالي يهيم فيه الشعراء ويصوّرونه.

□ **ومن أي وادٍ أنت؟**

من وادي تجارب الحياة والانفعال النفسي.

□ من الذي فجّر ينبوع الشعر لديك؟

كتاب الطبيعة المفتوح والموهبة الذاتية.

□ ما دور المرأة في تحريك عواطفك الشعرية.

لها دور خطير تمثل في ديوان «شيء اسمه الحب».

□ وهل لا يزال لها بقية باقية في داخلك.

لا يمّحي أثرها حتى آخر نفس في الحياة.

□ متى تشعر بالحاجة إلى امرأة؟

في كل لحظة من لحظات العمر، وأؤمن بأن وراء كل رجل عظيم امرأة والعكس.

□ ضمن أي مدرسة شعرية تصنّف نفسك الآن؟

هذا متروك للنقاد فالشاعر لا يصنف نفسه.

□ ديوانك الأول «النغم الجريح» ماذا كان يمثل بالنسبة لك حين نشر في مطلع السبعينات؟

يمثل فترة من حياتي البائسة.

□ و«شيء اسمه الحب»؟

موقع المرأة في حياتي حين بدأت أتعرف على أسرار الجمال.

□ مدينة الدراري يتحدث في معظمه عن قلعة القطيف. هل أنت راضٍ عنه كل الرضا؟

بالتأكيد وهو في الحقيقة يمثل واقعًا ملموسًا لطبيعة القطيف وصورًا تعكس ألوانًا مختلفة.

□ ما قصة تداعي الأفكار بين قصيدتك وقصيدة الحاج أحمد الكوفي في القلعة؟

لم يكن بين القصيدتين أي التقاء في الأفكار والصور، وقصيدتي ولدت قبل قصيدته التي لم أطَّلع إلَّا على بعض أبياتها حينما نشرت مؤخَّرًا.

□ وماذا عن «خيوط من الشمس»؟

قصة وتاريخ وسيرة ذاتية، ويمثل في مجمله معالم القطيف، ومرحلة من تطور حياتي.

□ ماذا عن دراساتك النقدية التي أعددتها في فترة مبكرة من حياتك الأدبية؟

أضفت إليها دراساتي الجديدة وجمعتها في كتاب أسميته «أصداء من النقد في الأدب العربي» وهو جاهز للطبع.

□ كيف تجد رواج القصيدة العمودية في وقتنا الراهن؟

لا تزال تتمتع بحضور قوي، والدليل ما يتمثّل به النقاد والكتّاب والمتحدثون في النوادي منه.

□ **ماذا تقول عن هؤلاء:**

- الدكتور غازي القصيبي:

شاعر رومانسي مبدع.

- تركي السديري (رئيس تحرير الرياض):

صحفي يحمل أفكارًا منفتحة.

- الدكتور إبراهيم العواجي:

شاعر مبدع وإنسان رائع يحمل روحًا عذبة.

- الشيخ عبدالحميد الخطي:

أول رائد غرس بذرة التجديد في هيكل الشعر الحديث بالمنطقة الشرقية.

- الشيخ عبداللَّه الخنيزي:

فكر وقّاد زوّد المكتبة العربية وأثراها ولا يزال عطاء مخصوصًا.

- عبداللَّه الجشي:

شاعر ورائد ومجدّد.

- محمد رضا نصر اللَّه:

صحفي تجاوز أفق المحلية وكوّن له شخصية مميّزة.

□ **كيف تجد اهتمام الصفحات الثقافية في الصحف المحلية بالقصيدة العمودية؟**

الصحافة المحلية لا تحتفي بالشعر مطلقًا، وكان الأجدر بها أن تحتفي

بالآثار الشعرية ودراستها.

□ لماذا لا نجد لك مساهمات في الصحافة المحلية؟

لعله شيء من الكسل وتراكم الأعمال والتأليف.

□ كيف تجد تعاون النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية مع أدباء المنطقة؟

بدأ يتطلّع إلى أدباء المنطقة من خلال الأمسيات الشعرية التي يُحييها لهم، وقد طبع بعض كتبهم، آمل أن تستمر هذه الظاهرة لتشمل جميع الآثار الفكرية.

□ ماذا تقول عن مشاركتك الأخيرة في الأمسية الشعرية التي أحياها النادي الأدبي؟

كانت أمسية ناجحة بكل المقاييس.

□ الشيخ حمد الجاسر -علَّامة الجزيرة- دعا إلى إيجاد نادٍ أدبي بالقطيف.. ماذا تقول؟

إنها فكرة من شخصية علمية مرموقة لها قيمتها.

□ ماذا تتذكر من أيام النادي السيَّار؟

أتذكر تلك الليالي المقمرة التي تبلور فيها الفكر عن نتاج رفيع.

□ في مشوار العمر الطويل -أطال اللَّه عمرك- هل ندمت على اختيار قرار ما؟

لم آسف في حياتي الماضية على أي قرار، وحياتي كانت عن خياري

وبتوفيق من اللَّه، ولم أندم على شيء حدث لي مطلقًا.

□ **بماذا يذكرك البيت الشعري من «شيء اسمه الحب»:**

فـي ليلة قبل انبثاق السنا   رأيتها تسري إلـى مخدعي؟

يذكّرني طيفًا صورته القصيدة يمثّل فتاة فاتنة.

□ **جلستك اليومية والتي يقصدها عِلية القوم.. لماذا لم تحوِّلها إلى جلسة أدبية أسبوعية؟**

هي جلسة أدبية يومية أعدَّت للاستفادة والإفادة، فلماذا أجعلها أسبوعية؟

□ **هل جرَّبت كتابة الشعر الحر؟**

كتبت قطعة ولم أُسجّلها، ولو حاولت لكنت من أولئك الذين سلكوا هذا الطريق.

□ **ألا تجد ضرورة لتجديد الأوزان الشعرية؟**

الأوزان سبعة عشر وإن جدّدت كالموشحات الأندلسية، وقد سار عليها اليوم بعض الشعراء في شعر التفعيلة، وليس هناك أي بأس في تجديدها باستمرار.

□ **وماذا عن التخلّي عن النغم الموسيقي الخارجي إلى الموسيقى الداخلية في شعر ما بعد الحداثة؟**

هذا ليس بشعر، لأن للشعر ثلاثة عناصر: الموسيقى والصور والغناء، وهذا خالٍ منها جميعها.

□ ما ديوانك الشعري القادم؟

«تهاويل عبقر» وهو يصور انفعالات نفسية وتجارب وقصصًا تحمل طابعًا إنسانيًّا ووطنيًّا.

□ ماذا تقرأ في هذه الفترة؟

كان وقتي مقسَّمًا بين قراءة التاريخ والكتابة والشعر، وفي هذه الفترة أحاول إكمال كتابي «الشعر العربي ودوره في الحياة».

□ ما أثر ضعف بصرك على حياتك الفكرية والأدبية؟

بفضل ربي، إن الأثر كان إيجابيًّا مثمرًا مخصوصبًا.

□ بعد عمل أربعين عامًا في المحاماة.. بماذا خرجت من هذه الحرفة؟

خرجت بتجارب حلوة ومرة، ومرُّها أكثر من حلوها، ورغم ذلك فقد كنت سعيدًا بالمحاماة لأني كنت أدافع عن أناس محقِّين.

□ هل تحرص على قراءة الصحف اليومية؟

بالتأكيد ولكن الوقت لا يتَّسع دائمًا لذلك.

□ ما مأخذك على الصحافة المحلية؟

تعجُّلها الدائب الذي يوقعها أحيانًا في التنازل عن الحد الأدنى من الجودة.

□ الإنترنت والفضائيات.. هل أثرت على حركة الكتاب؟

التلفزة والفضائيات استقطبت الجيل وأثرت في الاهتمام بالكتاب، أما الإنترنت فهو في صالح الكتاب في كل الحالات.

□ **كيف تجد مستوى الحركة الشعرية بالمنطقة الشرقية؟**

حسب قراءاتي وتطلُّعاتي ستكون هناك حركة شعرية قوية أتمنى أن يُكتب لها النُّضج.

□ **ماذا تقترح لتطوير أنشطة الأندية الأدبية؟**

أن تُطعَّم بالمفكرين والأدباء الرواد والشباب.

□ **متى تشعر بالأسى؟**

كلما مرت على النفس حادثة مؤلمة أو هواجس نفسية.

□ **هل تشعر بالحنين للماضي؟**

الإنسان مجبول على الحنين إلى الماضي، وحنيني إليه أبدًا.

□ **بماذا تُذكِّرك قلعة القطيف؟**

تُذكِّرني القلعة بأيام الصبا ومدارج لهوي ولعبي.

٨

محمد سعيد الخنيزي..
الشاعر الرومنسي العاشق للحياة

فؤاد عبدالواحد نصرالله

محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي شاعر من الرعيل الأول من شعراء القطيف، بل واحد من أوائل من أصدر ديوانا شعريا في هذه المنطقة ذات البعد الحضاري والعمق الثقافي. يقف شاعرنا الخنيزي على قمة شامخة لقامات سامقة كان لها أكبر الأثر في غرس جذور الثقافة والأدب مع نخبة الشعراء والأدباء في الجيل الجديد الذي نهل من معين الرواد الأوائل، حيث امتد ذلك الأثر ليصل إلى الجيل الجديد.

محمد سعيد الخنيزي من مواليد الثاني من فبراير سنة ١٩٢٥ م، نشأ في رعاية والده الشيخ علي أبي الحسن الخنيزي، الذي عمل قاضيا ومرجعا للسنة والشيعة، وهذا الوضع الاجتماعي جعل الشاعر ينظر دائما بعين عادلة، منصفة لشؤون الحياة خاصة انه التحق بالكتاب وهو في سن السابعة من عمره، وقبلها بعام واحد أصيب في عينه، وهو الحادث الذي لم يقعده عن طلب الدرس، لكنه بالتأكيد ذو تأثير كبير في حياة الشاعر.

لم تكن المدارس الحديثة قد توفرت بعد، لذا تعلم في كتاب الشيخ

محمد صالح البريكي وأخيه الشيخ ميرزا البريكي.

في تلك البدايات الأولى تلقى العلوم الدينية وحفظ كتاب الله، وبعض دروس الحساب المختلفة من جمع وطرح وقسمة وضرب، كما سنحت له الظروف أن يتعرف على ألوان من الشعر العربي.

في الثالثة عشر من عمره تخرج من مكان الدرس الأول، واتجه للتخصص في العلوم الدينية بكافة فروعها مع دراسة علوم النحو والصرف ومنها « متن الأجرومية »، وقطر الندى لابن هشام، وألفية ابن مالك، والـمغني لابن هشام، وهي ذات المرحلة التي قرأ فيها بعض الكتب الفلسفية والعقائدية، من بينها: الحاشية فـي المنطق، والشَّمسية في المنطق، و كتب البلاغة، كالمطول ومختصره، وهو يتبحر في أسرار البلاغة، كذلك تمكن من قراءة بعض كتب الفقه، و أصوله فتعلق بحب تلك العلوم التي لا يشبع المرء من النهل منها.

لكن هل يستمر صفو الحياة ؟ هذا مالم يحدث حيث فوجيء وهو في قلب الدراسة برحيل والده، وهذا أحدث أثرا كبيرا في حياته لكنه استمر بقوة ودأب في شق طريقه نحو التزود بالعلم وطلب كل جديد من المعرفة.

وقد استمر في تلقي العلم حتى نضج واستوى على عوده، وأصبح هو نفسه معلما، وهو في الوقت ذاته يعمل بمهنة المحاماة التي تعتمد على علم جاد، وعقل فطن، كلها توفرت له فبزغ نجمه، لاسيما انه لم يكن يقبل قضية إلا بعد أن يتأكد من عدالتها وقوة موقف موكله.

وكان من الحصافة بمكان حيث أنه يطبق معلوماته حول القضايا

المسندة إليه على القواعد الشرعية التي يتمسك بها مهما كانت حاجته ملحة للمال. فالضمير لا يباع ولا يشترى بل هو منحة ربانية تعطى الإنسان، وهو وحده المسؤول عنها، وكل يعمل بما يطابق خططه في العمل والحياة.

إصداراته الشعرية والأدبية

نشر باكورة إنتاجه الشعري: النغم الجريح عام ١٩٦١، ثم شيء اسمه الحب ١٩٧٦، وشمس بلا أفق ١٩٨٦. ثم تتالت الإصدارات بين شعر ونثر حيث ألف: مدينة الدراري،كانوا على الدرب،خيوط من الشمس، تهاويل عبقر،العبقري المغمور،أضواء من النقد في الأدب العربي، إيحاءات سماوية، أوراق متناثرة، أشباح في الظلام، من ذاكرة التاريخ،أيام من الماضي، المعري الشاك، ذكرى أبو نسيم، دراسات في شعر أبي نواس، أطياف وراء السديم

من قراءات الكتب، تأملات،أحداث تاريخية، من جراحات الأيام.

نشر قصائده ومقالاته في العديد من الصحف والمجلات المحلية والعربية، ومنها: الكتاب (المصرية)، والأديب والعرفان والألواح والمعارف (اللبنانية)، الغري والأفق (العراقيتين)، والرائد والعربي (الكويتيتين)، أخبار الظهران، وصوت البحرين، وعدد من الصحف السعودية والخليجية، كما أذيعت بعض قصائده في عدد من الإذاعات السعودية والخليجية والعربية بالإضافة لإذاعة الأهواز، الواسعة الانتشار آنذاك.

نتوقف قليلًا أمام الجانب الأدبي، فقد كتب عنه مؤرخون ونقاد من مختلف الاتجاهات. ممن كتبوا عنه وعن شعره:

د. بدوي طبانة، الشيخ عبد اللَّه الخنيزي، د.بكري شيخ أمين، الأستاذ

محمد سعيد المسلم، الأستاذ عبد اللَّه عبد الجبار،الأستاذ عبد اللَّه أحمد الشباط، د. عبد اللَّه آل مبارك، د.عبد اللَّه الحامد،خليف بن سعد الخليف، د. عمر الطيب الساسي، عبد العلي آل سيف، أ/ عبد الرحمن العبيد،د.الشيخ عبد الهادي الفضلي، الأستاذ الخياط، د. شفاء عقيل، د.علي جواد الطاهر، السيد حسن أبو الرحى، الشيخ علي الشيخ منصور المرهون. الأستاذ أبو بكر الشمري، عبد اللَّه حسن آل عبد المحسن، السيد حسن العوامي، الأستاذ محمد الصويغ، الأستاذة فردوس الخنيزي، د. حسام سعيد الحبيب، الأستاذ سعود الفرج، الأستاذ فائز المسلم، د. خالد سعود الحليبي، الأستاذ خالد أحمد اليوسف، د.محمد عثمان الملا، معجم البابطين، الأستاذ سعيد أحمد الناجي، وزارة التعليم العالي، الموسوعة، مكتبة الملك فهد، الشيخ علي البلادي.

محمد سعيد الخنيزي شاعر غزير الإنتاج، له إسهامات جادة في الحركة بالقطيف يشكل خاص والمملكة بشكل عام. من المملكة.وهو رغم ظروفه الصعبة فإن شعره مفعم بالدعوة إلى التفاؤل. وكما يتعامل مع الحياة بواقعية، فهو في ذات الوقت لايتخلى عن رومانسيته.

في قصيدة «إذا» يتجاوز شاعرنا كل الآلام وينظر إلى الكون نظرة مبتهجة، لا يشوبها الأسى:

إذا ما أطـلَّ الظلام الكئيب ومـرَّ بجفنيكِ طيف الحبيبْ
ولاحت لعينيكِ دنيا الشباب تـرفُّ على عالمٍ من لهيب !
وشاهدتِ حلم الشباب الفتيّ يموت وراء ضباب المشيب!
فلا تسكبي الدمع يا فتنتي! ولا تجزعي من ظلال الغروب!

إنه إحساس قوي بما يمكن أن تشتمل عليه الحياة من عنفوان، لذلك كان انحيازه لقوى النور في مواجهة الظلام الذي قد يلامس النفس في محاولة لإيقاعها في مهاوي القلق والعصف، حتى الغروب الذي ينذر بنهاية الأمل يمكن أن يتحول إلى واحة من الظلال الظليلة:

إذا ما رأيتِ جُذى الذكريات رماداً، ذَرَتْه رياح القدرْ
لتجبل منه السنون الكؤوس فترتدُّ صارخة بالبشر:
هلمَّ اشربوا من مَعين الحياة كؤوساً تفيض بشتى العِبَر

تصبح الذكريات هي النافذة التي نطل منها على حياة مفعمة بالتفاؤل، ويتخذ من معين الحياة شرابا يذكره دائما بما في تضاعيف الحياة من عظات وعبر. المفارقة هنا أن إيقاع القصيدة يقترب من الشعور القوي بما في الحياة من مسرات ومباهج؛ وهو تحول من فكرة القنوط واليأس «الغروب» إلى التفاؤل، وهذا الإيقاع الرشيق الذي يرسله في القصيدة يدل على نفس حافلة بالمسرة والبهجة والتفاؤل وحب الحياة.

تلعب اللغة دورًا مهمًّا في اكتشاف ما في العالم من محن يمكن تخطيها، وهو ما يجعلنا نعتقد أن الشاعر كان لديه مصدر للإحساس المتزايد بقيمة الإنسان في صراعه الدائب والدائم لنشر الفضيلة والحق والخير والعدل والجمال. يسوق كل هذه القيم في ثنايا النص الشعري المتداخل، بالرغم من توجسه وحذره الذي يصل إلى درجة اليقين. هو هنا يخالف رؤية الشاعر عمر الخيام التي تستبيح القيم من أجل إحياء اللذة والمتعة العابرة. إنه يقف على شاطئ مقابل يتأمل الكون فلا تخدعه العلامات المتحولة ولا الرؤى العابرة بل هو يتجه نحو الجوهر ويتمسك بالكينونة:

فـلا تشربي خـمـرهـا... إنها تـفـحُّ عليها أفـاعـي الغِيَر
إذا ما رأيـتِ طيوف الشجونِ تَـراقـصُ حولك مثل الظلام
تمرُّ بنعش الحياة الرهيـبِ فـتُـودِع أشـلاءهـا في الرَّغام

نلاحظ أن قاموسه اللغوي المحتشد بمفردات نظنها عابسة، لكنه يحركها أمامنا فكأن مرآة تجلو عيوبنا، فنتمهل في الاختيار، ثم نلتقط الأنفاس ونحن نعرف أن الحياة متداخلة الأجواء، وان كل اختيار هو محنة للإنسان في عالم يموج بالمغريات:

وتنسج في جـوِّك الحادثات حـيـاةً مـلـبَّـدةً... بالغمام
فلا تسكبي الدمع – يا فتنتي! ولا تجزعي من خيال الحِمام!

هي دعوة للحياة، وهو الصوت الذي ينطلق لنصرة الحياة في ذلك الصراع الأبدي بين البناء والهدم. الحب العذري، البعيد كل البعد عن الذاتية والذي يعطي معنى للحياة ويمنحها براءة ويدعو الحبيبة إلى التوقف عن البكاء، ويشاطرها الحزن فيما تمر به من احزان لكنه في ذات الوقت يدعوها لتكون متماسكة قوية حتى لو كان الموت هو القدر الحتمي والذي سيأتي ليخترم الجسد. على أنه مثلما يهبها شيئا من قواه المعنوية يلتمس معها الشعور بعدالة السماء حين تنقشع السحب المتلبدة وتصفو الأجواء وتصبح الابتسامة ممكنة:

فقولي له سوف تصحو السماء وينجاب عنها سجاف الظُّلَمْ
ويلتئم القلب بعد الجراح وتمسح عنه دمـوع الألـم

فكل جرح يمكن أن يلتئم مع وجود قوة محبة وقلب لا يعرف الضغينة، لذا يمكننا أن نعبر عن قوة هذا الأمل الذي يزيح الظلام، ويرشق النور كزهرة تتفتح أو كبسمة فمها المتبسم:

ويعقب هذا الظلامَ الكثيفَ صـبـاحٌ كـشـغـركِ لما ابتسم
ويشرق فجر المنى، والهوى فيُطوَى بساط الأسى والسأم

أما في قصيدته الأخرى «على ثبـج المـوج»، فهي لا تقل روعة عن الأولى في اختيار عناصره البنائية وفي التماهي مع مظاهر الطبيعة التي يخلع عليها مشاعره. وهو من الحصافة والتمكن بحيث يبدأ قصيدته برسم أجواء العاصفة التي هي صدى لنفسه المشتتة كقناع للشاعر:

على ثبج الموج في العاصفه وقفتُ وحـيـداً: مُنًى راجفه
أحدِّق في ذا الفضاء الكئيب فـتـرتـدّ مـقـلـتـيَ الخائفه
تـروِّعـنـي صـرخـات العباب وتـفـزعـنـي رعــدةٌ قاصفه

تلك الوحدة التي يتحدث عنها الشاعر هي أصداء لنفسه المشتتة بين الهموم، لذلك نجد صدى الوحدة في التحديق المستمر في الفضاء، وفي تلك المقلة التي باتت مرتعدة، تستشعر الفزع، وفي العباب الذي يبدو كأنه يصرخ فيمزق الصمت.

هو قاموس لغوي حي منتزع بمهارة من البيئة ومشحون بمشاعر طازجة، حتى تتساوى الرعود مع صرخات النفس التي تحس بالوحدة، وهو صوت يدوي في الفضاء وينذر بالرحيل وما أقساه، وما أشد رعبه:

وأسـمـع صـوت نـداء رهيبٍ نــداء الـرحـيـل إلــى الآزفــه
صــداه يـــردِّد: إن الحياة تجفّ من القلب والعاطفه

ما أجمل أن تتعانق الرومنسية بالواقعية؛ رغم أن الشعر بناء لغوي يشوبه الكثير من الخيال، لكنه في الوقت ذاته ينحاز للحقيقة والواقع في معمعة الرومنسية. فالحياة بالفعل تجف عندما تجف العاطفة وتشحب من القلوب.

هو اكتشاف مبكر يصل بين الأنفس المحبة للحياة وبين هؤلاء الذين تتجمد قلوبهم وتفقد قدرتها على الحب. وفي الحب خلاص للإنسانية من عبوسها المقيم:

وحيداً وحيداً بهذا الوجود أعيش على موجةٍ من ضبابْ
وألمح خلف بروق المنى حياة تلهَّب مثل الشباب

.. أتصور أن الشاعر كان يعقد العزم على أن يحتفي بعزلته لكنه استفاد من درس الطبيعة وأمكنه ان يحيا بقوانينها فحيثما وجد الأمل تدفقت الدنيا بحكايات مثيرة، وبقدرات عميقة للتغلب على الشعور باليأس مع مرور السنين:

حياةً تنوء بما أُثقلتْ جفونٌ لها بطيوف الرِّغاب..
ولكنها حلُمٌ كاذبٌ كحلم الرمال بماء السحاب!
فبين القنوط، وبين المنى أخذتُ مكاني على ذي الهضاب

هي بالفعل حياة مضنية، تنوء بالمتاعب والمهام الصعبة، وهي تحمل أحلاما كاذبة، وبين اليأس والأمل تتدفق الأمنيات الحلوة، لأن لنفس الطيبة قادرة على محو الصعاب:

على مفرق الدرب وسط الظلام وعند فم الزمن الغادرِ
وفي هوّة من ظلام الحياة ظللت أجرُّ خطى عاثر
أفكِّر في عالم داثر وأنظر للعالم الحاضر..

إنه يقف وسط الظلام، تكتنفه قوى لا قبل له بها، وتحاصره موجات من العدم غير أنه استطاع أن يسخر من ذلك كله ليثبت للدنيا أنه لايعرف اليأس من يجيد فهم الحياة كما قال الشاعر الذي يحمل عقل حكيم وقلب شيخ:

كــأنَّ غــدي موجة مــن ظـلامٍ   يقهقه من حاضري الساخر
فــإن الــحــيــاة كدنيا القبور   متى عُــرِّيــت من رجــى ناضر
فكن أمــلاً أخــضــراً كالربيــع   فــتــورق دنــيــا، كدنيا الزهرْ

هذا الاخضرار البليغ يتسلل إلى فضاء القصيدة فينتشلها من وهاد اليأس، ونشعر بأن روح الشاعر المحلقة تبعث ألقها في ثنايا النص الشعري الرقيق المشوب ببهجة غامرة:

وكــن نسمةً كحنان الربيــع   تضمِّد - عطفاً - جراح البشر
وكن جــدولاً يملأ الخافقيــن   فيسقي القلوب ويسقي الفكر
وكن مشرقاً، مثل بدر السماء   يضيء الحياة: شعاعاً أغر..!

هذه الباقة من الأفكار والحكم تجعل الحياة اكثر إشراقا، وتحول الظلام إلى نور، وهي منحة ربانية؛ أن يتعالى المرء فوق هزائمه، وأن يلتمس الامل ممن يحيطون به حتى يتحول هو ذاته إلى مصدر للتفاؤل وهي مدرسة بدأها شعراء المهجر لكنها لامست كل القلوب المحبة والنفوس النبيلة والوجدان الصادق الذي يحيا الحياة بلا يأس. هاهي حكمة الحياة تتجسد في بيت شعري من اروع ما يكون:

فإن فـؤاد الحياة الـرجـاءُ...!   ولولا الرجاء غدَتْ كالحجر...!

إنها المشاعر الصادقة التي تمنع أن يتحول الإنسان إلى حجر، فلولا الرجاء لصار من الصعوبة بمكان أن يستمر المرء متوهجا بالعطاء، حاملا كتابه بيمينه، يسطر اروع الكلمات واكثرها خلودا.

هكذا كان محمد سعيد الخنيزي: أب وحكيم، وشاعر محب للحياة وللناس.

٩

القصة في شعر الخنيزي

عقيل ناجي المسكين

كما هو معلوم عند المتابعين للحركة الأدبية في عالمِ الإنسان العربي عبر تاريخه الممتد منذ أكثر من مائة سنة قبل ظهور الإسلام في جزيرة العرب وحتى العصر الحديث أن الشعر العربي ينقسم الى ثلاثة فروع - وليست بالضرورة أنها اجتمعت في العصر الجاهلي أو في بدايات العصر الإسلامي وإنما هو استنتاج عقلي من منهج الاستقراء- وهي:

القسم الأول: الشعر الغنائي، وهو ما أكثر العرب منه.

القسم الثاني: الشعر القصصي، وهو يوجد في الكثير من شعر العرب.

القسم الثالث: الشعر التمثيلي، ولعل في القِدَم كانت المساجلة الشعرية؛ أو المحاورة بالشعر نوعاً من التمثيل بين اثنين أو أكثر أو يشابهه، ولا يخلو شعر العرب من لقطات تصويرية يُلاحظ فيها بعض الشعر التمثيلي كتصوير الشاعر حواره مع حبيبته.

والشعر الغنائي هو كل ما يتغنى به الشاعر من أحاسيس ومشاعر ووجدانيات وتتمثل في عدة أغراض اصطلح عليها النقَّاد بأغراض الشعر

العربي وهي:

١- الفخر.

٢- الحماسة.

٣- الغزل، والتشبيب والنسيب.

٤- المديح، والثناء.

٥- الهجاء، والسخرية والذمّ.

٦- الرثاء، والعزاء.

٧- الوصف.

٨- الاعتذار.

٩- الخمريات، واللهو.

١٠- التأمل والحكمة.

١١- الاستعطاء.

١٢- الملاحم.

١٣- الإلهيات والمناجاة.

وقد أضاف المهتمون بالحركة الأدبية في الوطن العربي إلى هذه الأغراض -بشكل مباشر أو غير مباشر- الشعر الوطني لما له من المميزات والخصوصيات التي عُرِف بها، والشعر التاريخي وهو شعر سردي لأحداث تاريخية حقيقية غير الملاحم التي يدخلها عنصر الأسطورة والخرافة والخيال، وشعر الأناشيد للأطفال وهو شعر تربوي بالدرجة الأولى، أما الموشحات، وشعر الطرائف أو ما يسمى بالشعر الساخر، فهي أغراض قد تلحق ببعض أغراض الشعر المذكورة، فالموشحات قد تأتي في الغزل والنسيب والوصف

وغيرها، ومضامين التهكم والسخرية تأتي في شعر الهجاء، وهناك تداخل بين الأغراض حتى على مستوى القصيدة الواحدة، وهكذا.

والشعر القصصي يندرج تحته السيَّر الحقيقية كالأحداث التاريخية الواقعية؛ ومن أمثلة ذلك ملحمة الغدير للشاعر المسيحي بولس سلامة، وإن كان يغلب عليها الحس الملحمي أكثر من الحس القصصي إلا أن في تضاعيفها الكثير من القصص والأحداث التاريخية بأسلوب القصة الشعرية.

والسيَّر الخيالية التي ينسج أحداثها خيال الشاعر ومثالها في الشعر الإنساني غير العربي «الألياذة» و «الأوذيسة» للشاعر الأغريقي هوميروس، والشعر التمثيلي هو ما يوضع بغرض الأداء على خشبة المسرح وما سمي في العصر الحديث بالمسرحيات الشعرية مثل مسرحية الأديب الموسوعي المرحوم علي أحمد باكثير «همام في بلاد الأحقاف»، ومسرحيته الشعرية الأخرى «روميو وجولييت» التي أخذها عن شكسبير.

وفي العصر الحديث تناول الكثير من الشعراء القصة الشعرية من ضمن نشاطهم الأدبي ومنهم شاعر القطرين خليل مطران، وأمير الشعراء أحمد شوقي، وشاعر النيل حافظ ابراهيم، وغيرهم الكثير، وقد تفاوت الشعراء في أساليبهم في القصص الشعري ومقدار قيمته الأدبية في هذا المضمار ويمكننا أن نحصرهم في التقسيم التالي:

١. الذين تخصصوا في القصة الشعرية وأبدعوا فيها.
٢. الذين لم يتخصصوا في القصة الشعرية إلا أننا نجد محاولاتهم في ذلك بتضاعيف قصائدهم وبعض أشعارهم و أبدعو رغم قلة ما كتبوا في هذا المجال.

٣. الذين حاولوا الدخول في هذا الميدان ولكنهم أخفقوا بالمعنى الفني للقصة الشعرية.

ولسنا هنا بصدد توزيع الشهادات والألقاب على المبدعين وغير المبدعين من الشعراء والأدباء فهذا ما تحدده الحركة النقدية المستمرة في عصرنا الحديث والتي لم تغلق ورشتها ولن تغلقها مادامت الأقلام تقطر مداداً وتسطر إبداعاً في شتى مجالات الأدب والثقافة بشكل عام، ولكن ما نود التطرق اليه هو فعاليات الحركة الأدبية النشطة في منطقة من أغنى مناطق العالم وساحلٍ من أخطر سواحل العالم من حيث الإستراتيجية ألا وهي منطقة القطيف على ساحل الخليج العربي شرق المملكة العربية السعودية، وهي منطقة غنية بالذهب الأسود وغنية بساحتها الخضراء، هذا على الصعيد المادي أما على الصعيد المعنوي فهي تتحلى بتاريخ عريق من «الأدب العربي الأصيل» وقد عُرفت القطيف وتوابعها بكثرة الشعراء عبر قافلة الزمن ومنذ عمق التاريخ في العصر الجاهلي حيث قبيلة آل عبد القيس وإلى يومنا هذا وهي لازالت تحمل لواء الأصالة العربية المعتمدة على العوامل الإنسانية و المبادىء الأخلاقية والقيم الإسلامية السمحاء، وكما أقول في قصيدة لي بعنوان (طير يرتقي وسماء جذلى) في تمجيد هذا الأدب الذي تتحلّى به منطقة القطيف (على الكامل الثاني):

نجم الأصالة في القطيفِ تدفَّقتْ ... أنـوارهُ قدساً يفيضُ جلالا[1]

والشعرُ فيها يرتقي مِنْ مِربدٍ ... فيهِ القرائحُ قدْ رَمَـتْ أحمالا

---

(١) المسكين، عقيل بن ناجي، مثواي قلبك، (ط ١، القاهرة، جمهورية مصر العربية، دار غراب للنشر والتوزيع، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م)، ص: ٤٦، ٤٧.

والحبُّ فيكِ كقصةٍ ما استُنفدتْ   حلقاتُها، أبـداً تكونُ طِـوالا
رسم الفؤادُ فصولها في لوحةٍ   تـرويْ ظماء الناظرينَ وِصالا
وكأنَّها شدَّتْ على تلكَ العيو   نِ وشائجاً تُهدي الهوى قتَّالا
منْ قدّها المنسابِ في غنجِ الندى   كالتبر يلمع لـونـهُ مـيَّـالا
أو دَلِّـهـا التيَّاه يندى طيِّباً   عبق النخيل يغازل الأطلالا
أبيات «عبد القيس» في أنحائها؛   والـلائـذون بـعـزِّهـمْ سـؤَّالا
زرعوا المشاعر في القلوبِ أزاهراً   وغـدا شذاها ينعش الأحـوالا

ففي هذه المنطقة الكثير من الجوانب والاتجاهات الشعرية سواء على مستوى المذاهب الأدبية وانعكاساتها على أنواع الشعر لهؤلاء الشعراء، أو على مستوى كثرة الموضوعات والمضامين التي تطرق إليها هؤلاء الشعراء، أو على مستوى أنواع الأجناس الشعرية كالشعر العمودي، والشعر التفعيلي، والشعر النثري، وكلٌّ له قواعده وأسسه وأعمدته، ولكنّ الملاحظ في الكم الهائل من النتاج الأدبي لهذه المنطقة قديماً وحديثاً هو غلبة الشعر العربي الفصيح بجنسه العمودي، وجولة سريعة في المكتبة القطيفية كفيلة بالوقوف على ذلك والتأكد من هذه الحقيقة، وهذا يعود لعوامل عدة وأهمها قوة الحِراك العلمي والأدبي قديماً في هذه المنطقة، وكذلك انفتاحها الحضاري باعتباره مدينة ساحلية تنفتح بحراً من خلال الخليج على العالم من حولها، وانفتاحها على مختلف مناطق الخليج وشبه جزيرة العرب انطلاقاً للعراق والشام، وانطلاقاً لأقاصي عمان واليمن، وإلى مختلف دول العالم.

الشاعر الخنيزي عَلَمٌ من أعلام الأدب في القطيف والمملكة:

ومن شعراء القطيف الساحل الشرقي للمملكة العربية السعودية

الشاعر الكبير محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي «وهو من مواليد ٧/ رجب / ١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م بالقطيف وقد تلقى دراسته الاولى على أيدي مدرسي بلدته، وقد عالج الشعر وهو لدن العود فأبدع في الشعر الدرامي وتميز على رفاقه الشعراء... بأسلوبه الحزين وخياله المجنح، وفي شعره مسحة صوفية متأملة، تبدو في جميع ما نظمه، حتى أنها تبدو في قصائد الغزل، التي اقتصرت على المرأة كبدوِّها في قصائد التأمل التي توحي بالانفراد والعزلة».

ولشاعرنا الخنيزي دواوين شعرية وهي: «النغم الجريح»، «شيء اسمه الحب»، «شمس بلا أُفق»، «مدينة الدراري»، ودواوين و مؤلفات أخرى، وقد كتب في شتى أغراض الشعر العربي.

القصة أحد أهتمامات الشاعر الخنيزي:

يوجد في مجموعة قصائد شاعرنا الخنيزي بعض القصص الشعرية التي حلَّقت في سماء الإبداع؛ كما نجد في تضاعيف بعض قصائده الأُخرى مشاهد قصصية تنطبق عليها كل معايير الإبداع في القصة الشعرية؛ وكلها تستحق الوقوف عليها والتأمل فيها بعين النقد والتأمل؛ لما بها من النكات اللطيفة والفوائد الجمة، و هذا اللون الفني البديع الذي يستحق الرصد من قبل الباحثين، وإجراء الدراسة الجادّة عليه واستخراج بلاغياته، سيضيف حتماً في المكتبة النقدية القطيفية بعداً جديداً ربما يكون منطلقاً لشعراء آخرين يسلكون ذات المسلك أو ربما يطوّرونه لمراحل متقدمة في الشعر القصصي والتاريخي والملحمي والمسرحي، بل وحتى الشعر المغنّى بما يُسمّى بـ«الأوبرالي» ولكن بتحفّظٍ و تناسب[١].

(١) الأوبرا هي شكل من أشكال المسرح حيث تعرض الدراما كليًا أو بشكل رئيسي بالموسيقى

قصة «مأساة إنسانية» مثالاً:

للخنيزي في ديوان «شمس بلا أُفق» قصة شعرية جميلة بعنوان «مأساة انسانية» وقد كتبها في سبعة أدوار، ولكل دور قافية حسب الأساليب التجديدية في الشعر العربي المعاصر خصوصاً، وأن الخنيزي وجيله من كبار شعراء القطيف يعتبرون روَّاد التجديد في الحركة الأدبية وعلى رأسهم أستاذنا الشيخ عبد الحميد الخطي رحمه الله [1]، وقد سلك الخنيزي في رسم الأسلوب

والغناء، وقد نشأت في إيطاليا عام ١٦٠٠، الأوبرا جزء من الموسيقى الغربية الكلاسيكية، في أي أداء أوبرالي، تُعرض عدة عناصر من عناصر المسرح الكلامي مثل التمثيل، المشاهد والأزياء، والرقص بعضًا من الأحيان، عادة ما تكون عروض الأوبرا في دار أوبرا مصحوبةً بأوركسترا أو فرقة موسيقية أصغر قليلاً، يعرّف أحمد بيومي في القاموس الموسيقي «الأوبرا» بالشكل التالي: [أوبرا: الأوبرا عمل مسرحي غنائي (Opera\it.Eng.) (Opéra\Fr).. مؤلّف درامي غنائي متكامل يعتمد على الموسيقى والغناء، يؤدى الحوار بالغناء بطبقاته ومجموعاته المختلفة، موضوعها وألحانها تتفق وذوق وعادات العصر التي كتبت فيه وتشمل الأوبرا على لشعر والموسيقى والغناء والباليه والديكور والفنون التشكيلية والتمثيل الصامت والمزج بينها، كما تشمل أغانيها على الفرديات والثنائيات والثلاثيات والإلقاء المنغم أو الرسيتاتيف (Recitativo)... والغناء الجماعي (الكورال) وبمصاحبة الأوركسترا الكاملة...» بتصرف من ويكيبيديا الموسوعة الحرة-.

(١) عبد الحميد بن علي بن حسن بن مهدي بن كاظم الخنيزي القطيفي شيخ ورجل دين من القطيف، نشأ في القطيف وبدأ دراسته في الكتاب كما هي العادة لتعلم القرآن ثم توجه إلى النجف الاشرف في العراق لمواصلة دراسته الدينية وأكمل هناك المقدمات والسطوح ثم حضر البحث الخارج وذلك على يد السيد حسين الحمامي والشيخ عبد الكريم الزنجاني وعاد من النجف إلى القطيف عام ١٣٦٣هـ بعد وفاة والده، بقي في القطيف بعد عودته من النجف ومارس التدريس حتى تم اختياره في ١٤ صفر عام ١٣٩٥هـ قاضياً في المحكمة خلفاً للقاضي الشيخ محمد صالح المبارك، كان الشيخ عبد الحميد يتميز ومنذ صغره بالملكة الشعرية والأدبية وله العديد من الدواوين الشعرية والمؤلفات الأدبية وله العديد من المخطوطات الأدبية المطبوعة وهي: «من وحي الثلاثين» و «اللحن الحزين» و«من كل حقل زهرة» و«خاطرات الخطي» و«معركة النور مع الظلام»، توفي عام ١٤٢٢هـ وذلك بعد اشتداد مرض السرطان في الكبد عليه.

القصصي بخياله الطائر طريقاً مختصراً إذ أنه لم يتخصص في هذا المجال على الرغم من امتلاكه لفنيات القصة الشعرية ولو أكثر في هذا المجال لأثرى الساحة الأدبية، وقصيدة «مأساة إنسانية» تتحدث عن واقع اجتماعي ربما لمس الشاعر مثيله في الساحة خصوصاً وأن الوضع الاجتماعي في موطن الشاعر وبالخصوص في زمن كتابة القصيدة قبل ما يقارب النص قرن تقريباً ليس بالوضع المستقر من الناحية الاقتصادية والاكتفاء المعيشي عند الكثير من فئات المجتمع؛ اللهم إلَّا من وُفق في الصيد أو الزراعة أو العمل الحكومي، أو العمل في شركة أرامكو آنذاك أما البقية فهم متذبذبون في المستوى المعيشي من جراء انخراطهم في الأعمال الحرة التي قد تنجح لدى البعض وقد لا تنجح بالمستوى المطلوب لدى البعض الآخر، وبغض النظر عن كون قصة القصيدة حقيقية أم أن الشاعر قد نسجها من خياله الشعري كعادة الشعراء ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾[1] إلا أن القصة تتحدث عن مأساة قد تعرَّض أو ربما يتعرض لها الكثير من النساء اللواتي يمنعهن الخجل والحياء من إراقة ماء الوجه للسؤال حتى تلح عليهن الحاجة إلى ذلك، وكذلك يمنعهن الخوف من الله والتقوى من أن ينزلقن في طريق الرذيلة ودنيا الشهوة المحرمة، من فئة استحوذ عليها الشيطان؛ والطبيعة البشرية هي هي في أي زمان ومكان بخيرها وشرها، وهذه القصة في رأيي قد حازت على أغلب معايير الإبداع الفني من جميع النواحي وهي:

الفكرة الجليلة	حفاظ الفتاة على شرفها وعفافها رغم كل المغريات.

(١) القرآن الكريم، كتاب الله الخالد، سورة الشعراء رقم: (٢٦)، آية: ٢٢٥.

الشعور والعاطفة	الأحاسيس هي التي تتحدث، والموقف هو الذي يملي الصورة.
اللغة الجملية	لغة شعرية حديثة، مفهومة ومعبرة.
الخيال المصور	صور بديعة وكأنها مشاهد سينمائية بأحدث تقنياتها المتطورة.
الصياغة الشعرية المتقنة	وهي لمسات شخصية الشاعر الفنان في إبداعه الشعري
الموسيقى والإنسابية	الاختيار الموفق لبحر المتقارب وهو من الأبحر الصافية.
التتابع المنطقي في تسلسل أحداث القصة	وهو أحد شروط إتقان القصة.
صوت الشاعر الراوي للقصة	يظهر باعتدال وميزان حسب ما تملي به الحاجة
الحوار	اكتفى الشاعر في الحوار بما يخدم هدف القصة الأساسي ولم يطل.
الحبكة المناسبة	القصة تعتبر قصيرة وهي تبرز منقبة أخلاقية ولا يخدمها التعقيد.
العقدة المحيِّرة	عقدة القصة مصطلح تخدمه المفاجئة لشد انتباه المتلقين.
المفاجئة	ردود أطراف القصة قد تكون مفاجئة فتبرز بذلك أهداف القصة.
الخاتمة المناسبة للقصيدة	حتى تكتمل الصورة العامة للقصة الشعرية.

الرؤية التحليلية للقصة:

الجو العام و صوت الراوي (الشاعر):

سمعتُ بهمهمةٍ في الظلامِ وأبصرتُ خلفَ الضَّبابِ الكئيبْ:
طيوفاً مصوَّرةً منْ شقاءٍ، تكادُ تبوحُ بسرٍّ رهيبْ...!

المشهد إلى الآن لم يتضح والعنصر المفاجئ موجود في الصورة الخيالية التي يرسمها الراوي (الشاعر) بحروفه، ثم يبدأ بالاقتراب من الموقف شيئاً فشيئاً، فهو يبدأ بصفته الراوي بكلمة (سمعتُ)، ثم بكلمة (أبصرتُ).. وكم بين السماع والبصر من قصص وحكايات يرويها القصاصون والرّواة، ومنهم أيضاً بعض الشعراء، ومنهم الشاعر الخنيزي يحكي هذه القصة.

وقدْ لوَّحَ الخطبُ تلكَ الوجوهَ، فبانتْ إلى العينِ مِثلَ المغيب!

صورة مدهشة توحي بعظم الخطب وتشبيه الشيء المرئي هنا بالمغيب يعد تشبيها رائعاً يجذب المتلقي خصوصاً وأنه لم يصرح بعد عن هذا الشيء المجهول.

أأشباح حسنٍ أرى في الفضاءِ، تطوفُ بهذا الوجودِ الغريبْ؟!

هنا يدخل عنصرٌ آخر في المشهد وهو الجمال بدلالته التي تخدم رسم فصول القصة ممّا يزيد في التعجب والدهشة، ويقرّب الصورة بدرجةٍ ما.

ففتَّحتُ عينيَّ في دهشةٍ.. فشاهدتُ طيفاً غريباً عجيبْ...!

ويعود الشاعر إلى إضفاء صفة الطيف الغريب العجيب على ما يشاهده لأنه من غير المألوف أن يكون ذلك، وتشبيه المشاهَد بالطيف ربما له دلالة شدة الضعف الجسماني والنحافة، ومن الملاحظ أن الشاعر يصور مشهداً

يمكن أن نطلق عليه مشهداً سينمائياً لوجود عنصر التتابع في جزئيات المشهد.

الدور الثاني من القصيدة:

قافية الراء المكسورة مع كسر ما قبلها وإثبات ألف ما قبل الحرفين الأخيرين، ولحرف الراء رنّة موسيقية جميلة توحي بشيءٍ من الانكسار وهي صفة متوفرة تماماً في الفتاة.

الابتداء في وصف المشهد المأساوي:

فتاةٌ بِروقِ الشبابِ النَّضيـ ـرِ، وفي ميعة العُمُرِ الباهرِ...!

يصرح الشاعر هنا بأن ذلك الشيء الذي شاهده هي فتاة في أول الشباب وفي مقتبل العمر.

تـجـرِّرُ خطواتها الواهنا تِ، وتبكي على حظِّها العاثرِ...!

لقد أحسن الراوي / الشاعر في إسقاط معنى الوهن على الخطوات وليس على الفتاة لأن المشهد هنا يعد مشهداً حركياً ويرى بالعين وهو أبلغ من الحقيقة ذاتها، حيث أن الراوي / الشاعر يلاحظ خطواتها وهي تجرُّها بمنتهى الصعوبة والإجهاد من شدة المرض، وفي المقابل يصف حالة الفتاة حيث أنها تبكي على حظها العاثر في هذا الزمن الرديء.

فالصورة الأولى تعد نوعاً من الشخصنة أو الأنسنة للخطوات التي يصيبها الوهن والتعب، ولا يصيبه الوهن والتعب إلا الشخوص من ذوي الحياة، والصورة الثانية إخبار عن الحالة وهذا الدمج بين الصورتين يصور مدى ما تعانيه هذه الفتاة من وقع المصيبة والأذى.

وقدْ ذوَّب السِحرَ وقعُ الخطو بِ، فحالَ منَ الثغرِ والناظِرِ...!

فوقع الخطوب والمصائب على كاهل هذه الفتاة قد أذاب سحرَ جمالها وبدا الشحوب على جسمها، وبان ذلك واضحاً على ثغرها وعينيها.

أبـــردٌ، وســـلٌّ، وفـقـرٌ عضو ضٌ، تجمَّعَ في الجسدِ الطاهرِ...؟!
ويُعصرُ في كأسِها قلبُها... وتطفحُ بـالألَـمِ الـكـافـرِ...!
فتسكبُ دنـيـاً: دمـاً مـنْ فؤا دٍ، وتقذفُ منْ دمها الخاثِرِ...!
دمـــاءٌ تُـقـرِّبُ عـهْـدَ المنو نِ، وتُسلِمُ للمصرعِ الغادرِ...!

يسترسل الشاعر في وصف حالة الفتاة المسكينة التي قد ألمَّتْ بها المصائب والأمراض وقد خرجت في يوم شديد البرودة مع ما بها من سلٍّ وفقر قد بان على وجهها ووضحت معالمه على جسدها الطاهر العفيف، وهنا يحلق الشاعر الخنيزي في الوصف الدقيق لحالتها عندما يتطرق الى قلبها الضعيف الذي عصره المرض وأثر فيه السل الذي أصاب رئتيها من شدة الفقر والجوع ومن المعروف علمياً أن السل مرض قاتل.

الدور الثالث من القصيدة:

قافية الدال الساكنة مع الالتزام بحرف الواو ما قبل الحرف الأخير:

لقد حسر العُرْيُ جسماً صقيـ ـلاً، فلاحَ شبيهاً بميتِ الورودْ!

تشبيه رائع، فجسمها نحيفٌ كأنه مَيْت الورود، ولم يقل المَيّت بتشديد الياء، بل قال: (مَيْت) لوجود فرق بين الكلمتين فالميّت لا تطلق على الجثة وهي مُسجاة بل تطلق على الرجل الحي من باب القوة والفعل حسب اصطلاح المناطقة، والقرآن الكريم يقول: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾[1]، لذلك إطلاق

---

(١) القرآن الكريم ، كتاب الله الخالد، سورة الزمر، رقم (٣٩)، آية ٣٠.

الشاعر كلمة (مَيت) على الورود المتساقطة جاء في منتهى الروعة والدقة التعبيرية لتشكيل الصورة البيانية، فالمرأة هنا كأنها مَيْت الورود، وقد سيطر عليها الذبول.

وروردٌ... ولكن بأيدي الخريـــ ـــفِ، يُساقِطها عاصفٌ كالرعودْ!

هنا يكمل الشاعر رسم الصورة المستلة من البيئة الزراعية التي تزخر بها منطقة القطيف منشأ الشاعر وموطنه الأم حيث نلاحظ العبارات التالية:

[الورود – الخريف – عاصف – الرعود]

والتشبيه في البيتين تشبيه يعتمد على الحركة الموجودة في البيئة؛ فالورود إذا عصفت بها الرياح أسقطتها وعرَّضتها للذبول كالأوراق التي تفقد خضرتها وتيبس حتى يصير مآلها الى التهشم والتفتت كما هو الحال في الخريف، وفي كلّ ذلك حركة من الحياة إلى الموت والتلاشي.

وتهمسُ كلْماتها في الظَّلا مِ: أيا ربِّ! لطفاً بهيفِ القدودْ!

الدعاء وهو جانب معنوي في شخصية الفتاة يبرزه الشاعر إيضاحاً لتعلق هذه الفتاة بالله وأنه هو الرزَّاق وأن لا ملجأ لها إلا الله فهو الرزَّاق وهو الشافي وهو القادر على كل شيء.

لقدْ ضِقتُ ذرعاً...! فهلْ منقِذي منَ الجوعِ – ياربِّ! – ولوبالوعودْ!

فالغريق يتشبث ولو بالقشة للنجاة من الغرق وهذه الفتاة المسكينة قد أصابها البلاء من كل جانب (المرض، الفقر، العُري [الملابس الرثة التي لاتكاد تستر جسماً])، وهي تطلب أن تسد جوعها ولو بالوعود، ومن المعروف أن الوعود ربما لا يُوفَّى بها ولكن الوعود تصنع نوعاً من الهدوء

النفسي عند الطرف الآخر وهذا الهدوء النفسي يقابله الأمل والتفاؤل.

ويذكرنا هذا الموقف بأحد مواقف أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد روي عن زيد بن أسلم أنه كان الامام علي عليه السلام يمشي في شوارع الكوفة ليلا يتفقد الفقراء والأيتام فسمع صوت أطفال يبكون فاقترب من الدار وطرق الباب ففتحت أمهم الباب فسألها الإمام عن سبب بكاء أطفالها فأجابت انهم جياع ويبكون من الجوع، فقال الإمام عليه السلام: ولم هم جياع؟، فقالت: لاننا لا نملك الطعام، تعجب الإمام عليه السلام، وسألها عن صاحب الدار فأجابت إن أبوهم قتل في المعركة، ثم لاحظ الإمام أن هناك قدرا يغلي فسألها عنه فأجابت انني وضعت ماء في القدر وأنا أحاول أن أسلي الأطفال حتى ينسوا الجوعويناموا... فقال لها: انتظريني أمة الله فأسرع الإمام الى داره وحمل جرابا فيه الطحين والسمن والتمر، فقال له قنبر: سيدي دعني أحملها عنك، فأجاب الامام عليه السلام: انا اولى بحمله منك، وحملها على ظهره وتوجه الى تلك الدار... طرق الباب ففتحت له الأرملة الباب فقال لها: أمة الله إما أن تطبخي الطعام و أنا أسلي الاطفال أو أن أطبخ أنا الطعام فقالت إن كان لابد فأوقد التنور فكان الإمام عليه السلام يوقد النار في التنور ويقرب خده الشريف الى النار قائلا: يا علي ذق.. كيف يبيت الأيتام جياعا ذق يا علي...فجاءت المرأة كي تخبز الخبز فتوجه الإمام إلى الأطفال وأصبح يلاعبهم ويحملهم على ظهره وهم يضحكون فرحين...يقول قنبر: تعجبت فسالت نفسي أهذا قالع باب خيبر قاتل مرحب؟! ولما أكمت المرأة الطعام كان أمير المؤمنين يضع الطعام في فم الأيتام ويقول: (كلوا واسألوا الله أن يغفر لعلي).

هكذا كان أمير المؤمنين عليه السلام يتعامل مع الفقراء والمعوزين والأرامل والأيتام، ولكنه قام بواجبه عليه السلام على أكمل وجه، كيف لا وهو أمير المؤمنين والحاكم العادل.

فمن الملاحظ أن المشهد الأول من القصة قد انتهى إلى هنا ويأتي بعده المشهد الثاني،

حيث يدخل الشاعر في صلب الموضوع وعقدته الأساسية حسب المصطلح القصصي المستخدم في نقد القصة.

فمرَّ فتىً، قـدْ زَهَـاهُ الجما ... لُ، وفي الجيبِ منهُ ترنُّ النقودْ!

فالشاعر يوضح ملامح شخصية هذا الفتى في أمرين:

الأمر الأول: قوله (زهاه الجمال) أي إنه يتباهى بجماله وهي صفة مذمومة أخلاقياً، لأن الإنسان السوي الذي رزق جمالاً لابد أن يحمد الله ويشكره على ذلك لا أن يتباهى على الآخرين، ومن المستحبات الإسلامية أن الإنسان إذا نظر الى المرآة وأعجبه جماله عليه أن يقول هذا الدعاء: «اللهم كما حسَّنت خَلْقي فحسِّنْ خُلُقي»[1].

الأمر الثاني: قوله (وفي الجيبِ منهُ ترنُّ النقودْ) كناية عن البذخ والثراء فالنقود لا ترن في الجيب إلا إذا كانت مجموعة وهي إشارة إلى كثرتها لدى هذا الشاب، مما يدل على أنه من أسرة غنية.

وعَامِلا الجمال والثراء إن لم يحافظ الإنسان عليهما ويشكر الله على

(١) روى أحمد في المسند من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي.

هذه النعمة فإنه سينزلق لا محالة في طرق الحرام، خصوصاً وأنهما فتنة وامتحان من الله سبحانه وتعالى للإنسان وسيحاسب إن هو ضيَّعهما في الطرق اللامشروعة.

المشهد المأساوي للبطلة:

فقامتْ تـجـرِّرُ أسمالها... وتشكو لـهُ أزمـةً قـاهـرهْ...!
وتطلبُ لوْ كسْرةً منْ رغيـ ـفٍ، لتُشْبعَ جوعتها الكافرة...!

إقبال المرأة الفقيرة والمريضة على الغريب تستنجد به لقضاء حاجتها، كم فيهِ من المذلة والألم الداخلي، إلا أنّ الأزمة القاهرة هي التي ألجأتها إلى ذلك، والاستعطاء والطلب من قبل الفقراء لا يشترط أن يكون عادة للتسوّل، فلربما الحاجة الملحّة والمرض تُلجئ الإنسان لمثل هذا الصنيع وهو لأول مرة يقوم به في حياته، فالموقف هنا موقف موت أو حياة، و «... صاحبَ الحاجةِ أعمَى لا يرى إلا قضاءَها»[١].

عامل الإغراء باستغلال الحاجة الملحّة:

فـلـوَّحَ فـي كـفِّـهِ بالرَّغيـ ـفِ، و قال لها كِلْمةً «فاجرة»...!
سأُعطيكِ أكـلاً لـذيـذاً شهـ ـياً، لأُروي شهوتيَ «الثائرة»...!
وأكسوكِ منْ مخملٍ أو حريـ ـرٍ، وتمسينَ دُميتيَ الساحرة!

لقد أوضح الفتى المغمور في الغواية مطلبه من الفتاة، وتتمثل هنا العقدة الرئيسية للقصة وهي الاحتياج الشديد والمُلح لهذه الفتاة إلى لقمة من الطعام تسدّ بها جوعها وفوق ذلك ما تعانيه من المرض القاتل والفقر، وفي

(١) ابن القيم، طريق الهجرتين (١٣٠/ ١).

الجانب الآخر وجود هذا الشاب الجميل الذي يملك المال والثراء ولديه القدرة الكاملة على إطعامها وكسوتها والرأفة بها إلا أنه لم يستمع لصوت الضمير بل اغتر بتزيين الشيطان ووسوسته له فلوّح للفتاة بأنه سيسد جوعها وسيكسوها بأحسن الملابس إن هي أعطته ما يريد من جسدها البريء، فماذا تصنع هذه الفتاة وهي في هذا الموقف؟ هل تستسلم له وتبيع شرفها؟ أم أنها تصمد وترفض هذا الطلب الشنيع من هذا الشاب الفاجر؟.

ردود فعل البطلة:

فقالتْ، وعـضَّـتْ بأسنانها وأبـدتْ لـهُ قبضةً صـارمـةْ!

لقد حافظت هذه الفتاة على شرفها وعفّتها، والعض هنا أحد ردود فعل الغضب الداخلي والكامن في نفسيتها؛ خصوصاً وأنها غضبت لله حفاظاً على شرفها وعفتها؛ ولذهولها من هذا الطلب الذي وقع عليها كالصاعقة، وفي هذه الحالة لم تستسلم بل قبضت على يدها بعزم وإيمان، كأنها تقول به بهذه الحركة وهذه الإشارة بأنها على دين الله والمبدأ الأخلاقي و لا يمكن أن تحيد عنه.

صـهٍ! أيُّـهـذا الذليل الحقيـ ـرُ! ستلقى نهايتكَ القاتمةْ!!
أتطمحُ أنْ تستبيحَ العفا فَ؟! محا اللهُ شهوتكَ الآثِمةْ!
فهيهاتُ كـفـكَ أن ترتميْ على طُهْرِ عفَّتيَ العاصمةْ...!

و«صه» اسم فعل بمعنى اسكت، حيث تأمره بالسكوت عن هذا المطلب الدنيء وتبشره بأنه سيلقى نهاية سوداء قاتمة لأنه يسير في هذا المسلك ويستغل احتياج الضعاف من الناس اليه لما فيه مصالحه الشخصية ولو كانت حراماً، ثم تدعو الله عليه بأن يمحو شهوته الآثمة التي لم يضعها

في موضعها الصحيح من الحلال الذي أمر الله عز وجل به.

ثم تستسلم للموت وهي تبتسم اليه و تشتاقه فهو أحب اليها من هذه الحياة التي تعرضها الى مثل هذا الموقف.

سأُغمضُ عينيَّ عن ذي الحيا ةِ، وألقى الحِمامَ لهُ باسمةْ!

الدور الأخير:

قافية الراء المسكنة والتزام حرف الواو قبل الحرف الأخير وكأنما هذه القافية توحي بالسكون والانتهاء وهو ما آلت اليه هذه الفتاة المسكينة:

سأكتبُ مأساتنا فـي الفؤا دِ، وأحفرها في خفايا الصدورْ!

سطورٌ مـنَ الطُّهرِ - مبيضةٌ تسجَّلُ قِصَّتَنا في الدهورْ!

لأن قصص العفاف والشرف تجد مكانتها في ذاكرة الأجيال ويرويها الآباء والأُمهات لفتياتهم أُمهات المستقبل القادم، حتى تكون أمثال هذه القصص والحكايات الهادفة أيقونات تذكيرية بعظمة العِفّة وقدسية العِرض.

جانب العبرة والعظة للأجيال القادمة:

أمثال هذه القصص التي تحمل في طيَّاتها القيم والأخلاق وتجسد أبرز معالم الشخصية المؤمنة ينبغي أن تكتب وتنشر ليقرأها كل جيلٍ قادم فيستفيد منها العفاف والنبل لكي يصحو كل يوم على فجر جديدْ مشرق بالأمل والخير.

فـيـقـرأهـا كـلُّ جـيـلٍ جديـ ـدٍ: عفافاً، ونُبْلاً، كفجرٍ طهورْ!

فضح الجانب الشيطاني المتمثل في شخصية الطرف الثاني في القصة:

سيرة أمثال هذا الشاب الفاجر ينبغي أن تكشف للآخرين حتى ينتهي عن مثل هذا الصنيع ويرتدع، وقد استسرسل صوت الفتاة في هذا الدور إثباتاً لهذه الحقيقة التي واجهتها فتقول:

وسـيـرة وحــشٍ حقيرٍ غوى يعيشُ - بقسوتهِ - كالنُّمور!
تُريدُ الفريسةَ، تحتَ الظَّلا مِ: ستاراً، يُواريْ ظلامَ الفُجورْ!

وهذا هو ديدنُ الوحوش البشرية عبر العصور، يعيشون بقسوتهم كالنمور تريد فرائسها، والشاعر هنا يشير إلى أنها تريد هذه الفرائس تحت الظلام، لتستر نفسها عن الآخرين، حيث الظلام يواري ويغطي ظلام فجورهم وسواد نفوسهم، وهنا إشارة واضحة إلى أن المقصودين بالنمور المفترسة هنا هم البشر الطغاة الذين يمارسون مختلف أنواع الرذيلة في جنح الظلام، وإلا فإن النمور على الحقيقة لا يهمها افتراس طرائدها في الليل أو في النهار، فطبيعتها المتوحشة هكذا، بينما البشر يخادعون الناس ويمارسون رذائلهم في الظلام ويظهرون في وضح النهار كأنهم من أولياء الله الصالحين، وما هم كذلك أبداً.

١٠

صورة الحرب
في شعر محمد سعيد الخنيزي

عقيل ناجي المسكين

الحرب وإن فُرضت ليست هدفاً مقدساً في حدّ ذاتها، وإنما هي ظرف طارئ يقبله الإنسان على كرهٍ فيه، حيث أنه جُبِل على حبّ الأمن والسلام، وقد عبّر القرآن الكريم عن كراهة الإنسان للحرب بالآية ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[1]، أما من شذّ من البشر ممن يعتبرون الحرب هدفاً لهم للكسب المادي وتحصل المصالح الدنيوية، فهم يصطنعون الحروب من أجل مراميهم وأطماعهم ولو كانت على حساب آلاف الضحايا، وقد رأيت أن اكتب في هذا الجانب من الناحية الأدبية، وبالذات في مجال الشعر، وهو أبو الأدب العربي القديم والحديث -كما أرى- حيث إن الكثير من شعرائنا تطرّقوا في موضوعات قصائدهم إلى الحرب وبشاعتها، وما تجرّه من المصائب والويلات والدمار على البشر والكائنات والطبيعة والحياة بشكل عام، ففي الشعر القديم تطرق الشاعر الجاهلي إلى الحرب من

(١) القرآن الكريم، كتاب الله الخالد، سورة البقرة، رقم (٢) آية: ٢١٦.

عدة جوانب ومن مختلف المواقف بين المتخاصمين، خصوصاً وأن «حياة القبائل... سلسلة حروب ومنازعات، تنشب لأسباب ذات خطر أو ليست بذات خطر، وأهم خصوماتهم تقوم على مراعي السوام ومواقع المياه، والغزو الذي اتخذوه وسيلة من وسائل العيش، والثأر الذي لا يغسل عاره إلا الدم، وبذلك كانت حياتهم عمادها الحرب والغارة، والاستعداد توقعاً للخطر، فهم شاكوا السلاح، حاضروا العدة، معتصمون بصهوات جيادهم، يجدّون في قعقعة السيوف ووقع الأسنة وصهيل الخيل، استجابة لمعاني البطولة والقوة في نفوسهم، وقد سميت حروبهم ووقائعهم أياماً لأنهم يتقاتلون نهاراً فإذا جاء الليل حجزهم وفرّقهم، فإذا حلّ اليوم الثاني عادوا للقتال.. وأيام العرب كثيرة بحيث يقال: إن أبا عبيدة (معمر بن المثنى - ٢١١هـ) ألّف كتاباً جاء فيه ذكره مائتين وألف يوم، ولم يصل إلينا هذا الكتاب، ولكن كتابه شرح النقائض حفظ طائفة كبيرة من تلك الأيام، وقد ذكر الميداني في كتابه (مجمع الأمثال) اثنين وثلاثين ومائة يوم ضبط أسماءها وبين أحداثها والقبائل التي اشتركت فيها...وقد كانت الأيام هذه مادة غنية للشعراء، فكان صدى واضحاً لها، حكى وقائعها ووصف هولها وبكى قتلاها، وتوعد الخصوم، وطالب بالثأر، وافتخر بالنصر وعيّر بالهزيمة.. وقد كانت الكتب التي عنيت بالأيام دواوين وملاحم رائعة صادقة، حفظت ذلك الشعر، الذي ما زالت روعته وفخامته تهز سامعيه، وتبعث فيهم روح البطولة والبسالة والحماسة...»[١].

هذا ما ذكره الدكتور يحيى الجبوري وهو هنا يرصد باختصار حالة الحرب بين القبائل وينوه بالشعر الذي نما وتطوّر من خلال تفاعل الشعراء

---

(١) الجبوري، يحيى، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، (ط: ٨، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، ص: ٤٧.

وممن يقرضون الشعر مع هذه الحروب وما تتركه من الأحقاد والأضغان وتنازع الأنفس تجاه طلب الثأر وما إلى ذلك، إلا أنه في المقابل هناك في المجتمع الجاهلي من يذم الحرب ويدعو الناس إلى الصلح والسلم بين الناس ويمكنني الجزم بأن أفضل ما قيل في ذم الحرب، إن لم أكن قد بالغت هو ما قاله الشاعر زهير بن أبي سلمى ضمن معلقته الشهيرة التي مطلعها (على البحر الطويل):

أَمِـن أُمِّ أَوفـى دِمنَةٌ لَم تَكَلَّمِ   بِحَومانَةِ الـدُرّاجِ فَالمُتَثَلَّمِ

ومنها قوله:

وَما الحَربُ إِلّا ما عَلِمتُم وَذُقتُمُ   وَما هُوَ عَنها بِالحَديثِ المُرَجَّمِ

مَتى تَبعَثوها تَبعَثوها ذَميمَةً   وَتَضرَ إِذا ضَرَّيتُموها فَتَضرَمِ

فَتَعرُكُّمُ عَركَ الرَحى بِثِفالِها   وَتَلقَح كِشافاً ثُمَّ تَحمِل فَتُتئِمِ

فَتُنتَج لَكُم غِلمانَ أَشأَمَ كُلُّهُم   كَأَحمَرِ عادٍ ثُمَّ تُرضِع فَتَفطِمِ

حيث تطرق ابن أبي سلمى إلى ذم الحرب التي وقعت بين عبس وذبيان، وقد دعا الشاعر القبيلتين إلى السلم بل وظف شعره في سبيل تحقيق السلم بين القبيلتين ومدح سيدين شريفين من أشراف العرب، ممن وقفوا ضد الحرب وراموا السلام وهما هرم بن سنان والحارث بن عوف، حيث تحمّلا ديات القتلى وأبرموا الصلح بين القبيلتين.

يقول الزوزني معلقاً على أبيات زهير: «ليست الحرب إلا ما عهدتموها وجربتموها ومارستم كراهتها، وما هذا الذي أقول بحديث مرجّم عن الحرب، فهذا ما شهدت عليه الشواهد الصادقة من التجارب وليست من أحكام الظنون، ومتى تبعثوا الحرب تبعثونها مذمومة على آثارها، ويشتد

ضرمها إذ حملتموها على شدة الضرى فتلتهب نيرانها؛ وإنكم إذا أوقدتم نار الحرب ذُممتم ومتى أثرتموها ثارت وهيجتموها هاجت، وتعرككم الحرب عرك الرحى الحب مع ثفاله... وتلقح الحرب في السنة مرتين وتلد توأمين.. وجعل إفناء الحرب إياهم بمنزلة طحن الرحى الحبّ وجعل صنوف الشر تتولد من تلك الحرب بمنزلة الأولاد الناشئة من الأمهات، وبالغ في وصفها باستتباع الشرّ شيئين: أحدهما جعله إياهم لاقحة كِشافاً، والآخر إتآمها... فتولد لكم أبناءً في أثناء تلك الحروب كل واحد منهم يُضاهي في الشؤم عاقر الناقة ثم ترضعهم الحروب وتفطمهم، أي تكون ولادتهم ونشوؤهم في الحروب فيصبحون مشائيم على آبائهم»[١].

لقد اعتمد الشاعر الجاهلي في ذمه للحرب منطلقاً من بيئته فهو يشبهها بالنار إذا أُضرِمت، وشبهها بالرّحى التي تعرك الدقيق، وشبهها بأنها تلد أبناءً مشائم سرعان ما يصبحوا يتامى، إضافة إلى ما حملته نفوسهم من ويلات الحرب فاضطربوا ولم يذوقوا طعم السعادة في حياتهم، فالشاعر هنا يستخدم (النار - الرحى - الناقة)، وكلها من البيئة التي عاشها الجاهلي.

وهذا مثال واحد في ذم الحرب من الشعر الجاهلي، وهو يحمل رؤية صادقة قريبة من صفاء الفطرة والتصاقها بمبادئ السماء خصوصاً وإن زهير بن أبي سلمى يعرف عنه بشعره الديني بحكم ما اتصل به من ثقافة دينية لها ارتباط وثيق بالحنيفية وما تبقى من ديانة إبراهيم عليه السلام في جزيرة العرب وقتئذ.

---

(١) الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، شرح المعلقات السبع، (دون رقم طبعة، بيروت، لبنان، الدار العالمية، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م)، ص: ٧١.

أما في العصر الحديث فهناك الكثير من الشعر في ذمّ الحرب، وخاصة ممن قاسى ويلاتها ودمارها كالشعوب العربية والإسلامية التي وقعت تحت نير الإستعمار - الذي هو في حقيقته استهدام مقنّن ومدروس - حتى الإحتلال اليهودي الصهيوني للأراضي الفلسطينية منذ أكثر من ستين عاماً حتى الآن، وكذلك حرب الخليج الأولى التي كانت من الأساس مؤامرة أمريكية على المنطقة برمّتها، لإنعاش الاقتصاد الأمريكي والأوروبي بإجبار دول الخليج على شراء السلاح من مصانعهم لدعم قوات النظام العراقي وقتئذ تحت قيادة - المقبور - صدام حسين، وكذلك حرب الخليج الثانية وما جرته من المصائب والفواجع على الشعب الكويتي، ومن ثم الهجمة القاسية على العراق والاعتداءات الأمريكية عليه أرضاً وشعباً ومقدرات، ومن ثم فرضها الحصار الاقتصادي على الشعب العراقي وأطفاله، وغير ذلك من مسلسل الحروب الذي لا زال متواصلاً حتى يومنا هذا، ولا يتحمل فيه الخسائر غير الشعوب المستضعفة.

ومن الشعراء المعاصرين من جيل المدرسة الرومانسية الحديثة شاعرنا الكبير محمد سعيد الخنيزي، أحد شعراء القطيف المعروفين والمعاصرين، حيث قرأت في مجمل اشعاره بعض القصائد التي تتحدث عن الحرب وتحتوي على بعض الصور التي يحمل من خلالها الشاعر رأيه الصريح فيها، وما تخلفه من الدمار الكبير حيث تأكل الحرث والنسل، ومن هذه القصائد التي تناول فيها الحرب قصيدة (إلى الفدائيين) المؤرخة في ٥ مارس ١٩٦٩م وهي قصيدة حماسية تتجلى فيها روح المقاومة والفداء، وقد كُتِبت عندما كانت «فتح» تمارس العمل الفدائي سعياً لتحرير فلسطين من أيدي الصهاينة، وجاءت القصيدة على بحر البسيط ومطلعها (على بحر البسيط):

صوتُ الفداءِ يُدوّي من فم اللهبِ ليستعيدَ فلسطيناً إلى العربِ

وقصيدة (المأساة الصامتة) المؤرخة ١٥ نوفمبر ١٩٧٢م، حيث تناول فيها آثار الحرب وما تتركه من الدمار وضياع الإنسان، وهي على بحر (مجزوء الكامل) ومطلعها (على مجزوء الكامل المرفل):

نـشـرَ الـمـسـاءُ ببيتها نـبـأ كـأمـواجِ الـظـلام

وقصيدة (القنبلة الذرية) المؤرخة في ١ أبريل ١٩٨٧م وهي على مجزوء الرمل، حيث كل بيت يحتوي على أربع تفعيلات (فاعلاتن) وآخر تفعيلة (فاعلان)، وهو وزن يتناسب وأسلوب السرد الشعري، وقد كتب الشاعر هذه القصيدة، حينما صور مجرمي الحرب وأعداء الإنسانية - بغرور منهم وحماقة ورعونة - وقد فجّروا القنبلة الذرية، هنا يصوّر الشاعر أن الحياة احترقت، ودُمرت بمبانيها وزروعها، وغاض ماؤها، ولم يبق إلا زوجان لجآ إلى ملجأ، وبعد فترة خرجا من ملجئهما، فإذا هما وسط شتاء نووي، فكانت نهايتهما المحزنة لعالم مدمّر.

وقصيدة (الدم أقوى من الرصاص) المؤرخة في ٢ مارس ١٩٨٨م وهي قصيدة عبّر فيها عن الانتفاضة الأولى حيث أهدى الشاعر هذه القصيدة إلى فلسطين في ثورتها العارمة المنتصرة، وجاءت القصيدة على بحر المتقارب، ومطلعها (على بحر المتقارب):

سمعتُ زئيرك مثلَ الأسـودِ يـدوّي بسمعِ الدُّنا كالرُّعودِ

كما نقرأ في تضاعيف بعض القصائد شيئاً عن حرب الطغاة ضد الأبرياء وجرائمهم ضد الإنسانية كقصيدة (بلا عنوان) المؤرخة في ٤ سبتمبر ١٩٩٢م حيث رثا فيها سماحة المرجع الديني الأعلى زعيم الطائفة

آية اللَّه العظمى الإمام الراحل السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره المتوفى في ٨ صفر ١٤١٣هـ، وقد ألقاها الشاعر في ذكرى الأربعين التي أقامها أهالي القطيف في حسينية السنان، وقد تناول الشاعر في هذه القصيدة صورة من صور الحرب التي يشنها الطغاة على علماء الدين وما يمارسونه من الإرهاب بشتّى أشكاله.

وفي الحقيقة إن جميع هذه القصائد تستحق الدراسة وتسليط الضوء عليها إلا أنني سأكتفي بالقراءة التحليلية لقصيدة (القنبلة الذرية) لغرضٍ ما، حيث إن هذه القصيدة تتحدث عن أكبر جريمة إرهابية في تاريخ الإنسانية الحديث، إضافة إلى كون هذه الجريمة العظمى قد ارتكبها من يسمون أنفسهم بأصحاب السيادة على العالم، وقادة «النظام العالمي الجديد»، ومؤخراً رُعاة «النسر النبيل»، وقوّاد الحملة العالمية ضد الإرهاب والتي أسموها بـ«العدالة بلا حدود»، هذه القصيدة رغم بساطتها الأدبية - وهي نقطة قوة برأيي - إلا أنها لخصت بعض المعاني الرمزية التي يمكننا تطبيق عدة مصاديق عليها.. المصاديق التي لا زالت موجودة في واقعنا المعاصر حتى تاريخ كتابة هذه السطور، فهناك (المستكبرون في الأرض - المجرمون)، وهناك (أداة الجريمة - القنبلة الذرية)، وهناك (آلاف الضحايا)، وهناك (الدمار الشامل)، ويمكننا أن نوضحها في هذا الشكل:

- أمريكا – المجرم - المستكبر.
- القنبلة الذرية – أداة الجريمة.
- سُكان هيروشيما ونكازاكي ومَن فيها - الضحايا– الأشلاء.
- مدينتي هيروشيما، ونكازاكي - مسرح الجريمة – الدمار.

هذا هو الواقع الفعلي الذي حصل عندما ألقت الولايات المتحدة الأمريكية قنبلتين ذريّتين على كل من هيروشيما ونكازاكي في اليابان، أبان الحرب العالمية الثانية، والتي على أثرها استسلمت اليابان، وبدأت فصلاً جديداً من البناء بعد أن ذاقت مرارة الجريمة وعمق المأساة، ولكن يمكن أن نطبق ذلك أيضاً بذات المراحل في أي منطقة أخرى في العالم، خصوصاً بعد أن صعّدت أمريكا من نواياها لمحاربة ما أسمته بالإرهاب في العالم، سواء استخدمت السلاح الذري أو النووي أو الأسلحة الأخرى المتطورة والتي سُمّيت بأسلحة الدمار الشامل، والصواريخ العابرة للقارات، أو لم تستخدمها، فهي إلى جانب قوتها في هذا المجال تستخدم (حق النقض الفيتو) الذي يقف حجر عثرة أمام كل من يقف في وجهها لدى الأمم المتحدة ومجلس الأمن، باعتبارها الدولة العظمى، وخير تشبيه لسيدة الكون كما تزعم هو أنها كغِرٍّ أو مجنون يحمل سلاحاً محشواً يصوبه أمام الجالسين وهو ينظر إليهم بنظرات ملؤها السخرية والاستهتار والاستهزاء، بينما الجالسون تكاد قلوبهم أن تتوقف من شدة الخوف وهم يحاولون تهدئته لكي لا يتهور، بينما هذا الغر أو المجنون يضغط على الزناد فيزهق الأرواح.. وتسيل الدماء في كل مكان.. ويخيم شبح الموت على رؤوسهم.. أو كما شبّهها الشاعر المصري بدوي السعيد راضي عندما كتب قصيدته الرائعة (صلوات في محراب سيدة الكون) حيث شبهها بالسيدة الجميلة التي يعبدها الخانعون والمنهزمون لفرط هزيمتهم أمام جمالها الخلاّب وبسمتها اللعوب.

وفي الواقع فإن الخطاب الإسلامي عامة، عربياً كان أو غير عربي مليء بذم الحرب واستكبار القوى العظمى في العالم وطغيانها، وفي المقابل مليء أيضاً بتصوير مدى هزيمتنا الحضارية كمسلمين وخنوعنا تجاه هذا (الظلم

العالمي الجديد)، أو (الظلم بلا حدود)، أو (النسر المغرور).

وقبل أن نلج في عالم قصيدة (القنبلة الذرية) للشاعر محمد سعيد الخنيزي؛ يحسن بنا أن نقرأ القصيدة أولاً لنهيئ أنفسنا ومن ثم ندخل في عالمها موضحين أهم المحاور فيها، وما ارتكزت عليه ورسالتها التي تريد تبليغها والخطاب الثقافي الذي يريد أن يوجهه الشاعر للمتلقين.

القصيدة:

هبطَ الزوجان للملجأ في ليلٍ عكِرْ
عندما جلجلَ إنــذارٌ يُنادي بالخطَرْ
فجّروها ذرّةً من أمـرِ شيطانٍ أشِرْ
فــإذا الدنيا لهيبٌ وجحيمٌ مُستعِرْ
وإذا الــزرعُ حطامٌ لا تــرَى منهُ أثرْ
وإذا الـعـالمُ شِلوٌ ضائعٌ بَـينَ الحُفَرْ
كلّ شيءٍ ماتَ من جرّائها حتّى الحَجَرْ
قدْ هَمَتْ منْ أعينِ الآفاقِ مَوجاتُ مطَرْ
وإذا الدّنيا تـراءتْ قبساتٍ من شَرَرْ
فــإذا الـدنـيـا شـتـاءٌ نـــوويٌّ ينتَشِرْ
لا يُطاقُ العيشُ فيه لا ولا دنيا مقَرْ
لوّث الإشعاعُ منها ما تبقى من صخَرْ

****

خرجَ الزوجان بعد اليأسِ من موتٍ زؤامْ
يطلبانِ الأكـلَ في لهفةِ صَـبٍّ مُستهامْ

نظرًا للأرضِ إن الأرضَ عادتْ كالحطامْ
لا زروعٌ لا مياهٌ غيرَ أشباحِ الأكـامْ
لا طعامٌ يـأكـلانِ غـيرِ مـاءٍ من حِمـامْ
شربَـا من مطرِ الـذّرةِ ظنًّاً بالسّلامْ
شربا كي يطفئا الحرّ لقلبٍ من أُوامْ
صرخا: ماذا نحسُّ؟.. أيّ شيءٍ في العظامْ
فهوَى الزوجانِ للأرضِ عناقاً في الرّغامْ
أسلما الـرّوحَ وماتا في ضبابٍ منْ قتامْ

***

قصة الـذرة تـدمـيرُ بـقـاءٍ للوجودْ
فحياةُ الناسِ أخطارٌ من العلم الجديدْ
يهلكُ الحرثَ مع النسلِ بأمرٍ منْ عنيدْ
فوق أحلام سريرٍ، بين كأسٍ، بينَ غيدْ
فوق حرباتِ جنودٍ عنده مثل العبيدْ
حرق الدنيا ليبقى وسط عيشٍ من رغيدْ
ليس يدري سوف يصلى نارها ذات الوقودْ
فـإذا الأمـر بـالـذرةِ شلوٌ مـن جليدْ
يبسَ الملكُ على التاجِ كأغصانِ الورودْ
إنّهـا مـأسـاةُ إجـرامٍ لمـغـرورٍ حقودْ

لقد قسم الشاعر قصيدته إلى ثلاثة أدوارٍ، كلّ دورٍ أخذ قافية مستقلة، وهو أحد أساليب الشعراء في الشعر الحديث التي درج عليها الكثير من شعراء النهضة الأدبية المعاصرة.

الدور الأول من القصيدة:

بدأ الشاعر الدور الأول من القصيدة بمشهد عن الزوجين وهما يهبطان في أحد الملاجئ تحت الأرض ليقيهما ويلات الحرب والدمار القادم.

(هبط الزوجان للملجأ في ليلٍ عكِرْ).

وقد كان ذلك الليل عكِراً على جميع اليابانيين وقتئذٍ إن لم يكن عكراً على جميع شعوب العالم وهم يتابعون أخبار الحرب في ذلك الوقت، واستخدم الشاعر لفظة (عكر) ووصف بها الليل، والعرب يصفون الليل بالعكر إذا اشتدَّ سواده واختلط والتبس؛ قال رؤبة: «وأغسف الليلَ إذا الليل اعتكَرْ»، وقال عبد الملك بن عمير: عَادَ عمرو بن حُريث أبا العُريان الأسدي فقال له: كيف تجدك؟ فأنشده (على بحر الرجز):

تقاربَ المشيُ وسوءٌ في البصَرْ　　وكِثرة النسيانِ فيما يُذّكَرْ
وقلةُ النومِ إذا الليلُ اعتكَرْ　　وتركيَ الحسناءَ في قبل الطّهرْ

فلفظة عكر جاءت هنا صفة لليل المشؤوم الذي وقعت فيه الكارثة الإنسانية الكبيرة لتناسبها المقام الذي يتحدث عنه الشاعر، كما يمكننا أن نصف مزاج الإنسان ونفسيته بهذه الصفة أيضاً، فنقول فلانٌ مزاجه عكر أو متعكّر، أي مختلط وغير متثبت أو غير مستقر على حسن الحال، وهنا أيضاً أصبح طعم الدنيا عكراً لدى جميع البشر بسبب ما بثّه شبح الحرب من الرعب والخوف، حيث جلجل الإنذار بقدوم الخطر الأمريكي، ولأن الحدث المفجع كان سريعاً نلاحظ أن الشاعر ينتقل مباشرة إلى مشهد الإنفجار الذري الهائل المروع، ويستخدم الفعل الماضي -باعتبار الشاعر يُنشئ خبراً ونصاً عن كارثة حلّت وانتهت-، (فجّر) ويقرنه بواو الجماعة والضمير العائد

على القنبلة الذرية، فيقول (فجّروها) أي إن الذين قاموا بتفجيرها هم جماعة كبيرة من أعداء الإنسانية في هذه الأرض، من الذين استكبروا في الأرض وعلَوا علواً كبيراً، ثم يعقب الشاعر بقوله: (من أمرِ شيطانٍ أشِرْ).

وبالفعل لقد أطلق مُسمى (الشيطان الأكبر) على أمريكا فيما بعد منذ عام ١٩٧٩م، ولا زالت تُسمّى بهذا الإسم، إلا أن الشاعر أراد بقوله: (من أمر شيطانٍ أشِرْ)، أي من غواية الشيطان وليس الإنسان، ثم يتابع الشاعر مكرراً (إذا) الفجائية حيث بدأ بحرف الفاء وهي حرف يفيد التتابع، حيث أنه بمجرد حدوث الإنفجار فإذا بالدنيا تتحول إلى لهيب وجحيم يستعر، ويكرر (إذا) مرة ثانية زيادة في التفصيل، حيث الزرع يتحول إلى حطام لا يُرى له من أثر، ويكرر (إذا) مرة ثالثة حيث يعمم هذه الفاجعة على العالم الذي تحوّل إلى شلو ضائع بين الحفر والمقصود بالعالم أي مدار أفق مدينتي هيروشيما وناكزاكي بالطبع، ثم يستوعب الشاعر بلفظة (كل) ليلخص حجم المأساة بعد أن فصّلها نوعاً ما في الأبيات السابقة، بل ويزيد من المبالغة عندما يشمل الموت كل شيء، حتى الحجر وهو جماد ومع ذلك شمله الذبول والتصدّع، ونلاحظ أن الدور الأول من القصيدة ينقسم إلى مشهدين:

- المشهد الأول: الهروب من الخطر إلى الملاجئ.

- المشهد الثاني: سقوط القنبلة الذرية وتدميرها للطبيعة والعمران والإنسان.

الدور الثاني من القصيدة:

يصور لنا الشاعر مشهد خروج الزوجين من الملجأ، حيث أنهما بعد

أن خرجا وبعد أن طالت إقامتهما فيه أخذ الجوع والعطش منهما كل مأخذ وقد يئسا من الحياة، وما ان خرجا حتى أخذا يطلبان الأكل والشرب في لهفة شديدة شبهها الشاعر بوجه من الوجوه بلهفة الصب المستهام أي المحب العاشق حيث أستعار صفة شدة لهفة المحب المستهام إلى حبيبته، وقد نظرا للأرض من حولهما فإذا بهما يجدان الحطام في كل مكان، والشاعر يستخدم حرف التوكيد والنصب (إنّ) لتأكيد حصول الدمار، حيث يقول: (إنَّ الأرضَ عادتْ كالحطامْ).

وقد شبّه الشاعر الأرض بالحطام مستخدما إحدى أدوات التشبيه وهي (الكاف)، والحطام للأرض أو الزرع تعبير قرآني، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[١].

وقال تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ**﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾[٣].

وفي قول الشاعر الخنيزي: (لا زروعٌ، لا مياهٌ، غير أشباح الأكام).

---

(١) القرآن الكريم، كتاب الله الخالد، سورة الزمر، رقم(٣٩)، الآية: ٢١.
(٢) سورة الواقعة، رقم (٥٦)،الآيات: ٦٣ – ٦٥.
(٣) سورة الحديد، رقم (٥٧)، آية: ٢٠.

يستخدم الشاعر أسلوب الذم بما يشبه المدح، حيث أن المتلقي ينتظر بأداة الإستثناء (غير) شيئاً يستثني به الشاعر ما حلّ بالأرض من دمارٍ، وإذا به يفاجئنا أيضاً بذمٍّ آخر يُضيف تعبيراً جديداً لصورة الدمار الذي خلفته الحرب فلا زروعٌ ولا مياهٌ إضافة إلى تخييم أشباح الرعب والخوف في أكام المكان ونواحيه؛ ويستخدم الشاعر ذات الأسلوب أيضاً في البيت الذي يليه: (لا طعامٌ يأكلانِ، غير ماءٍ مِنْ حِمامْ).

حيث أضاف الحِمام وهو الموت إلى الماء مُشكلاً بذلك صورة استعارية حيث لا يوجد في الطبيعة ماءُ الحِمام فالماء دائماً مقرونٌ بالحياة، والقرآن الكريم قرنه بذلك في قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**﴾[1]، ثم ينتقل الشاعر إلى اللحظات الأخيرة من مأساة هاذين الزوجين عندما شربا من ماء المطر المتساقط والملوّث بإشعاعات الإنفجار الذري، وقد شربا ظناً منهما أن سينجيان من الموت ولكنهما صرخا لفرط ما أثّر فيهما هذا الماء الملوّث القاتل، وهَوَيا إلى الأرض، و(أسلما الروحَ وماتا في ضبابٍ من قتامْ).

الدور الثالث من القصيدة:

صوت الشاعر - الراوي - هو الذي برز من خلال النص، حيث يعلق على قصة هذه المأساة الإنسانية بقوله: (قصة الذرةِ، تدميرُ بقاءٍ للوجودْ)، لأن الشاعر المستكبر الأمريكي استخدمها ضد الوجود البشري، ويعلل الشاعر ذلك بقوله: (فحياة الناس أخطارٌ من العلم الجديد)، فالعلم كما يقول سلاح

(١) سورة الأنبياء، رقم (٢١)، آية: ٣٠.

ذو حدين، حد للخير وحد للشر، وقد استخدم المستكبرون في الأرض حد الشر من العلم ليهلكون الحرث والنسل معاندين ومتعالين من أجل تحقيق مآربهم المادية ومصالحهم الدنيوية، (يهلك الحرث مع النسل بأمرٍ منْ عنيد)، وإهلاك الحرث والنسل مقرون بالفساد في الأرض وذُكِر ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾[1].

أما صفة العناد التي أشار إليها الشاعر في هذا البيت، فهي إما أن تكون عائدة إلى القيادة المعتدية، أو عائدة إلى الشيطان فهو من صفاته العناد أيضاً، وهو مصداق من مصاديق قوله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ**﴾[2].

والعناد من أبرز صفات الكافرين حيث قَرَنَ اللَّه سبحانه وتعالى الكفر بالعناد بقوله تعالى: ﴿**أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ**﴾[3].

كما أن العناد من معانيه الإعراض والجحود بآيات اللَّه، قال تعالى: ﴿**كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا**﴾[4].

ويصوّر الشاعر الطاغية وكأنه سلطان زمانه -كما يقولون- يجلس على سرير مُلكهِ يكرع من الخمور ما لذّ له، ويداعب الغيد الحسان، (فوق أحلامِ

(١) القرآن الكريم، كتاب الله الخالد، سورة البقرة، الآية (٢)، آية: ٢٠٥.
(٢) سور هود، رقم: (١١)، الآية: ٥٩.
(٣) سورة ق، رقم: (٥٠)، الآيات:٢٤، ٢٥.
(٤) سورة المدثر، رقم: (٧٤)، آية: ١٦.

سريرٍ بين كأسٍ، بينَ غيد)، هذا من جهة الانصراف إلى الشهوات واللذات الدنيوية والانغماس الأعمى فيها، ومن جهة أخرى يحمي نفسه بجيوش مجيشة لتحميه وتحمي عرشه، (فوق حرباتِ جنودٍ عنده مثل العبيدْ)، فهذه الجيوش عبيد عنده أرضيت بذلك أم لم تكن راضية، وقد شبهها الشاعر بالعبيد مستخدماً أداة التشبيه (مثل) للمقابلة والمماثلة بين أشخاص الجنود وأشخاص العبيد، وتشابههم في تلقي الأوامر من دون أيّ كلام، وكأنهم مسلوبي الإرادة، وهذا هو واقع الجيوش التي يحكمها الطغاة عبر العصور، والشاعر هنا يُصوّر مدى تسلط هؤلاء الطغاة على جيوشهم لا لأجل تحقيق العدالة والحفاظ على الأمن الحقيقي والسلام لشعوبهم وإنما لأجل الحفاظ على مصالحهم المادية ومآربهم الدنيوية، وهم على أتمّ الإستعداد لحرق الدنيا بما فيها من أجل الحفاظ على عروشهم ومكتسباتهم وأهوائهم، يقول الشاعر الخنيزي: (حرق الدنيا ليبقى وسط عيش من رغيدْ)، ولكن النتيجة أن الطغاة عادة ما يُخرّبون بيوتهم بأيديهم، وأنهم حتماً يرمون أنفسهم إلى قعر جهنّم إن عاجلاً أو آجلاً، (ليس يدري سوف يصلى نارها ذات الوقود)، وهنا نلاحظ اقتباس الشاعر من التعبيرات القرآنية كما في سورة البروج: ﴿**النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ**﴾[1]، (فإذا الأمر بالذرةِ شلوٌ من جليدْ)، يُعبّر الشاعر هنا بلفظة الجليد أي السكون والتجمّد، فحركات الطاغية تصبح مشلولة فلا قول ولا فعل ولا بطش وإنما انقياد واستسلام لمن بيده زمام أمره في عالم الجزاء والعقاب، فلا ملك لديه ولا إمارة ولا رئاسة ولا زعامة ولاتحكّم ولا سلطان، فلقد (يبِسَ الملك على التاج كأغصانِ الورود)، (إنها مأساة إجرامٍ لمغرورٍ حقود)، فالغرور أدّى بالطّغاة إلى مصيرهم الحتمي الذي رسمه لهم

(١) سورة البروج، رقم: (٨٥): آية: ٥.

الشيطان، قال تعالى: ﴿**لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا * وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا**﴾[(١)].

نلاحظ أن الشاعر في القصيدة اتخذ أسلوب السرد القصصي أو المسرحي، حيث يبدأ قصيدته بمشهد يتصوره المتلقي في مخيلته، ثم ينتقل الشاعر بنا من مشهد إلى آخر في ثلاثة أدوار:

١- مشهد اللجوء إلى الملاجئ.

٢- مشهد الإنفجار وما خلفه من الكارثة الإنسانية العظمى.

٣- مشهد بقايا الأحياء وهم يموتون بسبب ماء الموت الذي لوثته الإشعاعات.

٤- صوت الشاعر -الراوي- يختم النص.

وهذا الأسلوب اتخذه الشاعر في عدة قصائد من شعره ولكنه لم يكثر بحيث يصبح هذا الأسلوب ظاهرة في شعره، ولم يتخصص في هذا المضمار، ولو أكثر وأنتج مطولات شعرية قصصية أو مسرحية لأجاد في ذلك لامتلاكه كافة المقومات التي نلمسها في هذه القصيدة النموذج ومثيلاتها «مأساة إنسانية»، و«المعبود الثاني»، وغيرها.

كما لاحظنا بشكل واضح في العديد من قصائده تأثير الثقافة الإسلامية

---

(١) سورة النساء، رقم: (٤)، الآيات: ١١٨ - ١٢١.

مُتمثلة في التناص مع العديد من الآيات القرآنية، ولعلّنا نوفق أو يُوفق غيرنا من الباحثين لجمع كل ما أبدعه الشاعر محمد سعيد الخنيزي من هذا اللون الشعري الذي يأخذ منحى السرد القصصي والمشابه للمسرحي في الكثير من لقطاته وذلك في دراسة مستقلة.

١١

محمد سعيد الخنيزي
شاعر الوجدان والوطن[١]

عقيل بن ناجي المسكين

في البدء نُرحِّب بأديبنا الكبير والشاعر المعروف محمد سعيد الخنيزي، ويسرنا أن نستضيفه عبر حلقات (من ذكريات أديب) على صفحات «الواحة».

□ **باعتبارك من أسرة علمية عريقة، كيف تصف لنا هذا الجو العلمي الذي رُبِّيتَ ونشأت فيه ونَمَوتَ أديبًا وشاعرًا من خلاله؟**

مرحبًا بالأستاذ عقيل.. وأنا أرحب بكل حوار يدور بيني وبين أهل الفكر.. الجو الذي رُبّيتُ فيه كان جوًّا مثاليًّا لا يُقيم للمادة وزنًا، فأبي الإمام الشيخ علي أبو الحسن الخنيزي رباني على حب الإسلام والمبادئ المثلى والخُلق الرفيع، كان دائمًا يتعهّدني بالأسئلة عن الدين وعن المعارف المحمدية وعن كل ما يَمُتُّ للدين، ويُعلّمني الأخلاق الفُضلى.

□ **كيف كانت صحبتك للكتاب منذ صغرك؟ ومن أين كنتم تقتنون الكتب وقتئذٍ؟ هل كانت هناك مكتبات في القطيف؟ وماذا عن**

(١) مجلة الواحة، العدد الثامن عشر، الربع الثالث ٢٠٠٠م.

مكتبات العلماء وبالخصوص مكتبة والدكم؟

صُحبتي للكتاب كانت منذ الصغر كما ذكرت لك، حيث إن أبي غرس في روحي حب العلم وحب الفكر وحب الكتاب، وكنت أعشق الكتاب والحرف، وكان يقرأ لي الأخ الشيخ عبد اللَّه، حيث نعكف على الكتاب ليلًا حتى نملّ وتكلّ الذُّبالة التي في السراج فتنعس أو ننعس نحن فنذهب إلى النوم، وقد صوّرت هذا في كتابي «خيوط من الشمس»، أما كيف نقتني الكتب فكنا نبتاعها عن طريق مكتبات البحرين، حيث لا توجد مكتبة في المنطقة الشرقية للبيع أو للتجارة، أما مكتبات العلماء فحسب معرفتي كانت أكبر مكتبة في عصرها هي مكتبة الوالد حيث تجمع بين القديم والحديث، وهناك مكتبة أخرى هي مكتبة الأستاذ الشيخ ميرزا حسين البريكي، وتأتي بعدهما مكتبة الشيخ فرج العمران.

□ **الدور الديني الذي قام به والدكم هل كان يصاحب هذا الدور نشاط أدبي أثَّر في تكوين شخصية الشاعر لديكم؟**

الوالد رحمه اللَّه و قدَّس اللَّه سره، لم تقتصر حركته الفكرية على ناحية من نواحي الفكر، فهو غارس الحركة العلمية والأدبية جنبًا إلى جنب، فكان يرشد الطلاب أو من يستقي من جداوله الفكرية ويزوّدهم بالطاقات العلمية والأدبية والتاريخية إلى غير ذلك من الفكر، فلم تقتصر حركته على ناحية من نواحي الفكر.

□ **وما هو مستوى المشهد الأدبي والشعري خصوصًا في منطقة القطيف وتوابعها أيام ازدهار الحركة العلمية والأدبية فيها؟**

هناك حركتان، الحركة القديمة أو التي نعبّر عنها بالكلاسيكية كانت تستقي من سماء الشعراء القدامى ومن شعراء النجف الأشرف، وهؤلاء هم الطبقة القديمة،

أما الحركة الرومانسية التي انبعثت وحدّدت تاريخها فكان الباعث لها هو الباعث للحركة العلمية وهو الإمام الخنيزي، فهي تختلف اختلافًا جذريًّا عن الحركة القديمة، فإن هذه الحركة نبعت أو استقت من الشعراء اللبنانيين أو بالأحرى من شعراء المهجر، فهي ذات طابع غير الطابع القديم، ثم عندما يكون الشاعر يبني شخصيته ويستقل يكون له طابع غير الطابع الذي سار فيه في مبدأ حياته الفكرية.

□ **نريد تحديدًا للحركة الأدبية في تلك الفترة.. كيف كان مستواها؟**

في الحقبة التي نشأت فيها الحركة الرومانسية والحركة الأدبية كانت في مبدأ فجرها لم يكن الشعراء يخرجون عن محيط دائرة القطيف أيام الوالد الشيخ علي أبي الحسن، إنما انطلقت من قمقمها بعد الأربعينات في الخمسة والأربعين أو السبعة والأربعين، فسارت إلى الصحف الكبرى كالكتاب المصرية والعرفان والألواح والأديب والمنهج اللبنانيات، وفي طليعة الشعراء العلامة الشيخ عبد الحميد الخطي، وفضيلة الأخ الشيخ عبداللَّه الشيخ علي الخنيزي، ومحدّثك، والأستاذ محمد سعيد المسلم رَحِمَهُ اللَّهُ، وعبد اللَّه الجشي، هؤلاء من الرواد الذين لمعت أسماؤهم نجومًا في كبريات الصحف.

□ **كما قلت: إن البعض من الجيل الرائد في القطيف انتهج الأسلوب النجفي في القصيدة، والبعض انتهج الأسلوب المهجري لشعراء مصر ولبنان، فكل له مدرسة ينتمي إليها.. كيف توضّح لنا معالم هذه الانطلاقة لتشكيل خارطة القصيدة القطيفية منذ انطلاقة الجيل الرائد حتى العصر الحاضر؟ وهل شكّلت القصيدة القطيفية خصوصيات معيّنة بحيث يصح أن نطلق عليها «قصيدة قطيفية»؟**

هناك -كما قلت- مدرستان؛ مدرسة تستوحي من سماء النجف

الأشرف؛ ومدرسة تستوحي من الأدب المهاجر أو من الأدب اللبناني أو الرومانتيكية الحديثة، فالذين سكنوا النجف الأشرف أصبحوا يمارسون أفكارهم وألوان أشعارهم من السماء النجفية ما عدا فضيلة العلامة الخطي فإنه سبق قبل أن يسافر إلى العراق كان يمارس الشعر المتلوّن، وعند نضوجه لم يقلّد الشعراء العراقيين رغم جلوسه بين ظهرانيهم، وخذ مثلًا عبد اللّه الجشي فهو في مطلع نظمه كان يقلّد الجواهري؛ وأمثاله من الشعراء وعندما عاد مع أبيه العلامة الجشي إلى القطيف تحوّل مساره إلى الحداثة الرومانتيكية؛ ولا أقصد بالحداثة التفعيلة، إنما أقصد بالحداثة الرومانتيكية، ونهج على نهج الأسلوب الذي سارت عليه شعراء مدرسة القطيف، وألغى أو هجر أسلوبه القديم، وفي وسعك أن تقرأ ما نشره من الشعر في النجف وما نشره هنا، وهو يعدّ من الروّاد، أما بقية الشعراء الذين عاشوا في القطيف فأكثرهم لم يتأثروا بشعر العراق وإنما تأثروا -في مطلع حياتهم الأدبية- بالشعر المهجري والشعر اللبناني وشعراء مدرسة أبولو ما عدا الأستاذ محمد سعيد الجشي فكان له دور في مبدأ شعره متأثرًا بشعر أمير الشعراء أحمد شوقي.

وأما سؤالك الأخير: هل للقصيدة كقصيدة مستقلة بخارطتها الفكرية.. هل يطلق عليها - أو يميزها - «الشعر القطيفي»؟ ليس للفكر حدود حتى نقول: إن هذا شعر قطيفي أو عراقي أو سوري أو لبناني. إنما في رأيي، إن الشاعر عندما يبني نفسه ويستقل عن مبدأ أيامه الأولى فيكوّن طابعًا خاصًّا يميزه وأسلوبًا خاصًّا يعرّفه بين الشعراء، وهذا هو الشاعر الذي يتفاعل مع التجارب النفسية والتفاعلات الروحية.

□ وماذا عن النشر.. سابقًا كان الرواد الأوائل من القطيف ينشرون في أُمّهات الصحف والمجلات العربية، حبّذا لو أعطيتمونا لمحة عن هذا البُعد من تاريخ هؤلاء الشعراء؟

سبق أن أوضحت لك أنه بعد السابعة والستين الهجرية، أي قرابة سبعة وأربعين أو ثمانية وأربعين ميلادية انطلق الفكر القطيفي من قمقمه ليسير مع ضوء الفجر أو أنوار الشمس على أُمّهات الصحف الكبرى، وهنا نشرت ثلة من شعراء القطيف في طليعتهم محدّثك والعلامة الخطي وفضيلة الشيخ عبداللَّه ومحمد سعيد المسلم وعبداللَّه الجشي ومحمد سعيد الجشي.. كان هؤلاء هم الروَّاد، وهم أول من فتح باب النشر إلى النشء، فكانت هذه الثلة هي التي تنشر في ذلك الوقت.

□ وفي أيِّ الصحف كانوا ينشرون نتاجهم الأدبي؟

«الكتاب» المصرية للأُستاذ عادل الغضبان؛ نشرتُ فيها أنا ونشر المسلم والشيخ عبداللَّه، «العرفان» كانت ترحّب بالفكر القطيفي عامة؛ فنشر على صفحاتها محدّثك والعلامة الخطي والعلامة الشيخ عبداللَّه الخنيزي والأستاذان الجشي والمسلم، كما اختصّت مجلة «الأديب» بالنشر لي وللعلامة الخطي والشيخ عبداللَّه وعبداللَّه الجشي ومحمد سعيد المسلم ومحمد سعيد الجشي، أما «الألواح» و«والنهج» فنشر فيها محدّثك وقليل من الروّاد، كما نشرت في مجلة «الرائد» الكويتية، ومجلة «الهاتف» النجفية لجعفر الخليلي، وفي الصحف المحلية التي كانت تصدر حينذاك كـ«أخبار الظهران» و«اقرأ» وغيرها من الصحف، وكذلك مجلة «المنهل» حيث أجرت معنا مقابلة.

□ متى صدر لكم أول ديوان وما هو؟ وفي أي مضامين شعرية جمعت صفحاته، وماذا عن بقية الدواوين الأخرى التي طبعت بعد ذلك؟

أول مجموعة شعرية أصدرتها هي ديوان «النغم الجريح» وقد طبع عام ٦١م نشرته دار الحياة في بيروت، وكان لهذا الديوان صدىً أدبي حيث كتب عنه الكثير من المفكّرين، وهذا الديوان يمثّل فترة من حياتي البائسة، لأنني كنت بعد رحيل والدي عشتُ بصفتي طالب علم، وطالب العلم الديني ليس لديه مادة تقوم حياته أو ترفده بأيِّ رافد مادي، فعانيت من الثالوث غير المقدّس «الفقر وعيني وفقد أبي»، فانصب هذا الألم شعرًا في ألحانٍ باكية، فهو يمثّل تلك الفترة، وهو صادق في معاناته وينطبق على الحياة الجريحة، ما عدا بعض القصائد القصصية كقصيدة «المعبود الثاني» أو بعض القصائد الغزلية التي شذّت عن إطار هذا الديوان، والإنسان قد يبستم ولولا ذلك لمات كمدًا.

ثم أصدرت ديوانًا ثانيًا عنوانه (شيء اسمه الحب) منشورات دار الأنجلو المصرية بالقاهرة، وهذا الديوان يصوّر ويجسّد المرأة في حياتها الروحية أكثر ما يصوّرها في حياتها المادية، فكان له دور وصدىً كبير، وقد خصَّه بالدراسة الدكاترة ومنهم الدكتور بدوي الجبل في كتابه (أعلام الشعراء السعوديين)، والديوان الثالث (شمس بلا أفق) ويتضمّن قصائد وطنية وقصصية وألوان من الشعر مختلف، والديوان الرابع (مدينة الدراري) ويضم بين دفتيه قصائد من الألم وقصصًا وقصائد عن القلعة وعن القطيف وعن نخيلها وبساتينها وعيونها وجداولها، والديوان الخامس فهو (كانوا على الدرب) وفيه ألوان أخرى من الشعر، كالقصائد التي تصوّر النخلة

وأيامها وازدهارها في القطيف بمدنها وقراها من صفوى إلى سيهات، وكيف كانت تعيش بعرائس النخل وأشجارها وبساتينها، وفيه لون آخر.. قصيدة عن الفتاة الأمريكية التي ضحَّت بأولادها في سبيل عشيقها، وفيه قصائد أخرى تمثّل حياتي وتمثّل أفكارًا في ذلك الوقت، كما فاتني أن أذكر لك أن في ديوان (مدينة الدراري) قصيدة تتحدّث عن القنبلة الذرية ولو -لا سمح اللَّه- انطلقت من أهوج لعشنا شتاءً ذريًّا، ولقتلنا ذلك الشتاء.

□ **رأى النور مؤخّرًا أحد كتبكم المخطوطة وهو (خيوط من الشمس) وهو أحد نتاجاتكم الأدبية والفكرية المخطوطة لديكم.. متى ستطبع بقية كتبكم المخطوطة من شعر ونثر؟**

(خيوط من الشمس) هو كتاب يعالج السيرة الذاتية ولكنه لا يقتصر عليها، بل تمتد قنواته إلى حياة القطيف من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها، إن صح هذا التحديد الضيق، وإلا فإن القطيف تمتد من الظهران إلى رأس تنورة، حسب التاريخ الذي بين يدينا ويحدّد جغرافيتها التاريخية، كما قال ابن المقرب:

والخط من صفوى حازوها فما   أبقوا بها شبرًا إلى الظهران

إلى غير ذلك من الكتب التي تتحدّث وتحدّد القطيف، وقد سمعت من الحاج مبارك أبو السعود أن لديه وثيقة تصوّر محاكمة حضرها اثنان من أهالي القطيف في محكمة الظهران، والقاضي كتب (القاضي بمدينة الظهران التابع للقطيف) ولكنه لم يسلّمها إليَّ ويا للأسف، وتمّنيت أنه سلّمها إليّ لأضعها كوثيقة في كتاب (خيوط من الشمس)، وقد طلبتها من ورثته بعد وفاته ولكنني لم أحصل عليها.

وأما بقية الأعمال الأدبية المخطوطة فهناك ديوانان (تهاويل عبقر) وهو كتاب يتحدّث عن التفاعلات النفسية والتجارب والمعاناة، وكتاب ثانٍ يتحدّث عن أهل البيت وهو (أجراس حزينة)، وكتاب نثري أنجزت منه ثلاثة مجلدات يتحدّث عن الشعر ودوره في الحياة، ويمثّل المجلد الأول العصر الجاهلي، ثم عصر النور وهو عصر الإسلام، ثم العصر الأموي، ثم العباسي، ثم انتكاسة الفكر، والمجلد الثاني يمثّل الشعراء المحدثين في القرن العشرين، والمجلد الثالث يتحدّث عن الشعراء السعوديين مطلقًا، وحتى الآن لم يكتمل، ولعله يبلغ إلى ستة مجلدات أو سبعة مجلدات.

□ ماذا عن مستوى القصيدة القطيفية في عصرها الحاضر عمومًا، وهل ترى في الساحة الأدبية في المنطقة توجُّهات ومدارس لا زالت موجودة ولا زالت آثارها موجودة إلى الآن؟

القصيدة في منطقة القطيف لا تزال موجودة ولا تزال تنطلق بين الفينة والفينة من سماء الشعراء، أما أن تحدّد قيمة القصيدة بصورة عامة هذا لا يمكن؛ لأن الموازنة لا تتم بين شاعر وشاعر إلّا في موضوع واحد وفي روي واحد وفي صورة واحدة.. مثلًا الشاعر وصف قصر الحمراء وجاء شاعر آخر ووصف هذا القصر، أو وصف متحفًا ثم جاء شاعر آخر ووصف هذا المتحف وإن اختلف الروي واختلف الوزن.. هنا نستطيع الموازنة بينهما، وقد قمت بوصف حمَّام أبو لوزة وهو أحد آثار القطيف حيث كتبت عنه وصفًا نثريًّا ووصفًا شعريًّا، فهنا هل يصح أن نوازن بين الشعر والنثر؟!! لا يجوز ذلك، ولكن لو جاءت قصيدة أخرى في وصف هذا الحمَّام هنا يصح أن نضع موازنة بين قصيدتين، فالقصيدة التي انطلقت من الرومانتيكيين كان

لها دورٌ مؤثر في الحياة.. إن بعض شعرائنا اليوم الذين سلكوا التفعيلة لا أنكر أن هناك شعراء جوّدوا فيها كنزار قباني، أما بعض الشعراء الذين عجزوا أن ينطلقوا في سماء الوزن والقافية ولهثوا حتى لم يصلوا إلى الساحل فعادوا أدراجهم إلى التفعيلة فأخذوا يكتبون شعرًا هزيلًا وليس شعرًا حقيقيًّا، ولا أنكر على الشعراء سيرهم على هذا الطريق ولكن يشترط أن يكون سيرهم بأجنحة تنطلق بهم، وأن يستطيعوا مقاومة البحر الذي يسبحون فيه، ويحتاجون إلى أُكسجين حتى لا يختنقوا، أما الطبقة التي سبقت الشعراء الرومانتيكيين وكان هذا البحث عنها يجب أن يكون قبل هذه الأحرف، فهي طبقة كانت تعيش على مدرسة التقليد كالعلامة الشيخ علي الجشي، والشيخ فرج العمران، وأحمد الكوفي، وأبو ذيب، والشيخ حسن التاروتي وأمثال هذه الطبقة، وخالد الفرج، فهم كانوا شعراء يعيشون على المدرسة التقليدية وبعضهم يعيش على مدرسة الشعر الجاهلي كأحمد بن مهدي بن نصر اللّٰه، وتقوقعت هذه الطبقة بين جدران أربعة لم يطبعوا لهم آثارًا ولم ينشروا لهم في الصحف، أما الطبقة الرومانسية فانطلقت كالمارد وحطّمت جدران الحواجز وسارت إلى أمهات الصحف وطبعت آثارها ونشرت أقوالها وهي تعيش مع دورة الحياة.

□ **الرحلات والأسفار لا شك أنها تعتبر رافدًا من روافد الاستفادة والإفادة بالنسبة للأديب والشاعر والعالم.. ما أثر رحلاتك وأسفارك على تكوين شخصيتك الإبداعية والعطاء الشعري لديك؟**

إن رحلاتي التي كانت للبلاد العربية أو للعتبات المقدسة لم تزدني ثقافة أو تجربة في حياتي، إنما هناك رحلات أعطتني أو أوحت لي مناظرها الطبيعية أفكارًا شعرية ضمّنتها في قصائدي، فخذ مثلًا: مررت بنيسابور

-وهي مسقط رأس عمر الخيَّام- فأوحت لي قصيدة كانت تمثّل حياة الخيام ولهوه وعبثه، وقصيدة أخرى حيث أوحت لي شلالات إيران ومناظرها قصيدة تمثّل حياة إيران، وهي مطبوعة في مدينة الدراري، وقصيدة أخرى في رحلتي إلى مصر حيث أوحت لي متاحفها -ولا سيما المتحف الذي يعرض الموميات الفرعونية- قصيدة تمثّل ذلك الجو، وفي قصائد أخرى أوحت لي بعض المناظر سواء كانت في القطيف أو في خارج القطيف.

□ **وماذا عن سفراتك إلى العراق هل أوحت لك بشيء؟**

العراق لم توحِ لي مناظرها بشيء لأنني لا أشاهد إلَّا صحراء.

□ **في تلك السنوات بالطبع.**

نعم..

□ **في إطار التجربة -أيضًا- لوحظ أنك توظّف القصة في بعض أشعارك مثل قصيدة مأساة إنسانية، وغيرها. فلماذا لا تكثر من هذا اللون الأدبي لإبراز جانب الشعر القصصي والمسرحي في القطيف أسوة بازدهار هذا اللون الأدبي في عدة أقطار عربية: مصر ولبنان وسوريا والعراق؟**

أنا لا أقصد الشعر بل أتركه حرًّا عندما تأتي التجربة أو المعاناة، فالقصة في شعري لم آتِ بها عن قصد، فهناك قصيدة طويلة اسمها «المعبود الثاني» تتكوّن من مئة وعشرة أبيات، وهي تصور حياة فتاة وفتى تحابًّا ولكن الدهر لم يسمح لهما بالاتصال، فماتت العروس على جلوة العرس ورثاها الشاعر وشيَّعها إلى قبرها. وهناك قصيدة أخرى كما أشرت إليها في سؤالك وكتبت

عنها. «مأساة إنسانية» هذه لعلها لها ظل من تجربة الواقع، فهي جاءت عن معاناة ومشاهدات.. وهناك قصص أخرى كقصة تصوّر الزواج في القطيف ومشاهده اسمها «ليلة العمر» لعلها في ديوان «النغم الجريح» وقصص أخرى، إنما هذه القصص التي جاءت لم أكن لأقصدها أو لأتقصَّد أن أكتب قصة، وإنما تأتي تفاعلات مع هذه التجارب أو مع المعاناة النفسية؛ لذلك لم تأتني خاطرة أو تجربة أو معاناة نفسية لأوظّفها في قصيدة مسرحية حتى الآن.

□ في إطار الشعر نفسها أو اتجاهات الشعر لديك تحدّث البعض من النّقاد أنك تنحو بشعرك إلى خصوصية القطيف والاعتزاز بالعائلة وتاريخ الأسرة.. فما هو ردّك على هؤلاء؟

شعري ليس فيه اعتزاز بالطائفة أو بطائفة خاصة، أو بطائفة من الطوائف. إنما اعتزازي بالبلد كالقطيف بشكل عام قد توجد في بعض القصائد؛ وبين يديك الدواوين الأربعة تستطيع أن ترجع إليها لترى أن ما أقوله صحيح، ولم أكن يومًا ما أعتز ببلد دون أخرى، وإنما أعتبر القطيف ككل هي وطني وهي عزّي وشرفي.

□ ربما الرؤية قاصرة لديهم حيث إن المرء لا يلام في حب وطنه وأرضه وقومه. وكذلك الشعراء الآخرون من الطرف الآخر -أيضًا- يكتبون عن قومهم وأهلهم وعن اتجاههم الفكري والعقائدي.

هذا صحيح.. فلا يلام المرء إذا فخر بأهله أو ببلاده، ولكنني لم أفخر بقومي، إنما هناك قصائد رثيت بها والدي، وحسب ما قلت لك، إن التجربة المرّة التي مررت بها وأشرت لها بالثالوث غير المقدّس، فكانت تنبع من حياة باكية فأصوّرها في هذا الشعر، وأتنفّس في هذا الجو لأرتاح وألقي عن ظهري أو عن روحي عبئًا ثقيلًا.

□ **نعم، لذلك كتب عنك أن أغلب شعرك فيه الطابع الوجداني والحزن واستنطاق الذات والبوح بهمومها. هل لهذا المنحى منطلق واقعي في حياتك الشخصية؟**

سبق لي أن صوّرت لك التجربة المرّة التي مررت بها عن العين والفقر وفقد الأب. فإذن لا بد أن يكون هذا الشعر متفاعلًا مع الحياة فإذا كان متفاعلًا مع الحياة يكون وجدانيًّا.

□ **كثر الحديث في العقود الأخيرة عن الحداثة في الفكر والثقافة والأدب.. ما انطباعك العام عن حداثة الأدب ولغته الجديدة التي بدأت تتغلغل في الأوساط الأدبية في الجزيرة العربية والمنطقة والخليج والوطن العربي بشكل عام؟**

سأجيبك هنا باختصار.. وأنا سبق أن كتبت عن الحداثة والرمزية، ونشر هذا المقال في «الواحة» وفي جريدة «اليوم» السعودية، وهو يصوّر رأيي بوضوح، ولكنني هنا أجمل لك القول، فالحداثة ليست بمانعة في الشعر والرمزية، سبقنا بها ابن الفارض والشعراء القدامى، ولكن الإيغال في الرمزية بحيث إنني لا أفهم ما يقول هذا الشاعر الرمزي، هذا ليس برمز؛ لأنني أكتب القصيدة أو تجربتي ليستفيد منها المستمعون أو القرّاء، أو أكتب لنفسي. فإن كنت أكتب لنفسي فلا حاجة لأن أكتب الشعر، بل يكفي أن أتحدث بيني وبين نفسي، وإن كنت أريد أن أُعبّر عمّا يجول في نفسي من تجارب لأطرحها أطروحة واقعية أو تجربة نفسية للقرّاء فلا بد أن أقترب من نفسيتي إلى إشارات ضوئية تكشف ما وراء الألفاظ. أما الحداثة فالإيغال فيها بحيث نسفّ وننحدر إلى منحدرات واطئة فهذه ليست بحداثة، أما إذا حلّقنا

في أجواء تعبيرية ولغة شاعرية رفيعة فهذه هي الحداثة المنشودة.

□ وفي إطار النقد -أيضًا- بحكم متابعتك للحركة الأدبية والشعرية لأوساط الشباب في المنطقة.. كيف تقيّم مستوى جلّ أو بعض هؤلاء الذين يعرضون عليك قصائدهم؟ وهل ترى لهم مستقبلًا في عالم الشعر؟

طبعًا الشباب يختلفون في ذكائهم وفي ثقافتهم وفي حياتهم الأدبية والفكرية، فمنهم من يُرجى له مستقبل كبير إذا واصل في الشعر أو النثر، ومنهم من يعجز أو ينشغل بأشغال مادية ويترك الممارسة، والممارسة هي جناح الطيران، فإذا لم يمارس هيضت جناحاه، فإذا هيضت جناحاه مات، وإذا مات فليقبر.

□ كثرت المدارس النقدية الحديثة؛ وكثير من النقّاد ينظرون إلى القصيدة بمنظارهم الذاتي؛ وباجتهاداتهم الشخصية؛ فتماهت العملية النقدية وضاعت -كما يقول البعض-.. ما رأيك في الحركة النقدية المحتدمة على الساحة في الوقت الراهن؟

الحركة النقدية في العصر الحديث -أي القرن العشرين- تختلف اختلافًا كثيرًا عن الحركة النقدية في العصر القديم، في العصر القديم كانوا يرون عدم وحدة القصيدة، وأن كل بيت إذا لم يكن مرتبطًا بالأبيات الأخرى التي قبله أو بعده يكون بيتًا بليغًا، والموازين تختلف اختلافًا كبيرًا، أما اليوم فالموازين تعتبر وحدة القصيدة شرطًا من شروط الشعر الجيد، والوحدة أن تتّحد القصيدة في صورتها وفي معانيها وتتسلسل كما يتسلسل النهر؛ ولا أنكر قد توجد قصائد في العصر القديم أو العصر الجاهلي أو العصر العباسي فيها وحدة ولكن هذه الوحدة لم يقصدها شاعرها بل جاءت عفوية، أما النقاد

اليوم فلهم عدة آراء تختلف اختلافًا كبيرًا، ونشترط أن يكون الناقد يعرف الشعر ويقوّمهُ ويعرف مراميه ويعرف البلاغة ونكتها وما جاء فيها من أسرار حتى يستطيع أن يميّز ما ينقده ويفرق بين الجوهر والفحم، أما إذا كان الناقد لا يميّز وليس لديه الموازين الحسية والذوقية فلا يستطيع أن ينقد، وإن نقد فيكون نقده هباءً منثورًا أو لا يُسمع لهذا النقد، ويشترط في الناقد أن يكون ذا ضمير حرّ لا تتغلّب عليه العاطفة ولا الميول ولا يتغلّب عليه الحسد أو الحقد أو البغض، فهنا يصح أن يكون النقد، ويعجبني من نقد اليوم أو في مطلع القرن العشرين الدكتور زكي مبارك، فإن هذا الدكتور لا يتعصّب لأيِّ شخص من الأشخاص، وخذ مثلًا.. كان بينه وبين أحمد شوقي عداوة وعندما جاء لينقده أنصفه إنصافًا تامًّا خلاف ما قام به الأستاذ العقّاد والأستاذ مصطفى الرافعي، فإن بينهما وبين أحمد شوقي ضغونًا جرّتهما إلى نقد غير نزيه حتى خرج العقّاد بكلمات بذيئة فقال: أصلح اللّه أنفه -يعني شوقيًّا- فهل هذا من النقد الأدبي!! إذن لا بد أن يكون الناقد نزيهًا حاملًا للموازين النقدية من الذوق والمعرفة ومن معرفة الأسرار البلاغية والنكت البلاغية ومعرفة الكلمات الشعرية، لأن بعض الكلمات تخلق لنا جوًّا شعريًّا في هذا البيت وفي بيت آخر تهدم أو تعكّر هذا الجو، فلا بدّ من معرفةٍ واسعة للناقد حتى يحمل إزميله ويصوّر وينحت بواسطته.

□ لا زلنا في مضمار النقد.. بحكم رؤيتك وخبرتك في عالم الشعر كيف تنصح الشباب لتطوير إبداعاتهم والتقدّم في عالم الشعر؟

الشعر كما قال الشاعر العربي:

الشعر صعبٌ وطويلٌ سُلَّمُهْ   إذا ارتقى فيه الذي لا يفهمُه

زلَّت به إلى الحضيضِ قدمُهْ يـريـدُ أن يـعـربـهُ فيعجمُه

الشعر موهبة فطرية في النفس، فإذا وجدت هذه الموهبة على الشاب الذي تكوّنت هذه الموهبة في روحه ونفسه تنميتها بالقراءة وبالمطالعة وبالتجربة، وأكبر أستاذ عندي هو الطبيعة.. الطبيعة أكبر أستاذ في الحياة، ولا يمنع أن يضيف إلى هذا الأستاذ الكبير أساتيذ أخر كالكتاب؛ لأن الكتاب هو أحسن جليس وخير أنيس، فالثقافة عندما تكون مع الموهبة ينمو الشاعر ويورق كما يورق الشجر أو كما يورق الغصن فينمو ويزدهر حتى يكون كالسنديانة تطاول بعنقها السماء.

□ وهل كتبت في مجال النقد الأدبي ؟

نعم.. عندي كتاب مقصور على النقد الأدبي، وأسميته «أضواء من النقد في الأدب العربي»، وأكثره يتحدّث عن كتب أدبية وعلمية، ولعلّي في نقدي شططتُ أو كنت منصفًا لا أدري. إنني أترك ذلك للقرّاء والنقّاد لأنني لا أستطيع أن أحكم لنفسي بنفسي.

□ وهل لا يزال هذا الكتاب مخطوطًا؟

نعم، لا يزال الكتاب مخطوطًا، أرجو من اللَّه أن يكسر القمقم وأن يظهر إلى ضوء الشمس.

□ كيف كانت مشاركاتك الاجتماعية بما يختص وتخصصك الأدبي كالاحتفالات وجلسات الأدب والمسامرة الأدبية مع العلماء والأدباء والشعراء؟

مشاركاتي في المناسبات قليلة جدًّا لأنني لم أكن شاعر مناسبات..

أما الندوات الأدبية فطالما اشتركت فيها وسهرت فيها، كما اشتركت في مهرجانات عالمية كمهرجان الشعر الخليجي الذي أقيم في العام الثامن بعد الأربعمائة والألف في الرياض، فاشتركت فيه بقصيدة مطبوعة في «مدينة الدراري» تمثّل معالم مدينة الرياض وتتحدث عن الشاعر امرئ القيس، واشتركت في بعض المناسبات الدينية والمناسبات الإسلامية ولكن على ندرة؛ لأن الشعر لا يستطيع أن يستجيب لي عندما أطلب منه، إنما يهبط عليَّ كما يهطل الطلّ على ثغر الزهر عندما تأتي التجربة أو المعاناة.

□ وهل كان لك ارتباط وتواصل مع المثقّفين والأدباء في المملكة من مختلف مناطقها؟

هناك بعض الارتباطات مثل بعض الأدباء في الرياض أو في الحجاز واجتمعت بهم بالصدفة أو بدون صدفة وتحدّثنا معهم، ولا سيما في مهرجان الشعر الخليجي كان فندقه يضم صالات فكرية إلى آخر الليل، وكان الحديث يدور عن الشعر والأدب والتاريخ وقِدم الآثار في الرياض وأيام امرئ القيس وأيام الشعر الجاهلي، وكانت هذه الندوات مشتركة بين شعراء سعوديين ومصريين ولبنانيين ومن الخليج بالطبع.. واشتركت في حفلات هنا في القطيف -عامة-، وإذا قلت القطيف لا أقصد بها مدينة دون أخرى لأنني لم أكن إقليميًّا.

□ ومجلسكم هل لا زالت تُقام فيه الندوات أو مسامرات الأدباء والشعراء على شاكلة الصالونات الأدبية المشهورة؟

نعم، منذ أن تُوفِّي والدي حتى الآن حينما كنت في القلعة وبعد أن خرجت من القلعة إلى البستان إلى حي الحسين.. الصالون الأدبي لم يفارق

الأمسيات.. فالأمسيات حافلة بالحياة الأدبية والمسامرة الفكرية حتى يومنا هذا، وكان قبلًا أوسع لأن الناس كانوا متفرّغين ولم تشغلهم الحياة المادية ولم ينغمسوا في همومها، فكنت أطلقت على هذه الندوات «النادي السيّار» وقد وصفته في «خيوط من الشمس» بعد أن انتهى دور «النادي السيّار»، وكان هذا النادي له دور كبير في الثمرة التي قطفت اليوم.. أو التي خرجت منها الآثار التي طبعت وانتشرت على أفق الأدب.

١٢

الأستاذ محمد سعيد الخنيزي

الأستاذ عبد العلي يوسف آل سيف

ولد في القلعة في السابع من شهر رجب المعظم عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م) في ظلّ والده الإمام أبي الحسن الخنيزي رَحِمَهُ اللهُ، فنشأ كما أراد له أبوه أن يكون علمًا من أعلام القطيف المبرّزين فيها.

وهو في عمر الزُّهور مُني بفقد بصره، وكان لهذا الأثر الكبير في حياته (فحولتها إلى سلسلة من الآلام انعكست صورًا باكية في قصائده الشعرية).

وفقد بصره أيضًا، كان دافعًا لوالده الإمام لأن يخصّه بعناية خاصة دون إخوته، ليرفع عن نفسه ما يجده من ألم فقد البصر، فوجّهه للكتّاب فأتقن القرآن الكريم وحفظه غيبًا، ثُمَّ هيّأ له من تولّى تدريسه العلوم العربية من نحو وصرف وبلاغه، ودرس بقيَّة المقدّمات والسطوح، وكان من عناية والده الخاصة به أن تولّى تدريسه بنفسه بعض هذه المعارف، وهو الوحيد من ولده الذي حظي بهذا الشرف العظيم بعد فقد والده ابنه (الشيخ حسين رَحِمَهُ اللهُ). وكان الأستاذ فيما درس المثال النادر للجدّ والنشاط والاستيعاب، لما تحلّى به من ذكاء وقّاد وحافظة قوية، هيّأه ذلك لأن يتولى التدريس بكفاءة نادرة عرف بها بين أقرانه ولِداته من طلاب العلم.

على أن فقد والده الإمام عام ١٣٦٣هـ، كان له أبلغ الأثر في حياة الشاعر الحزين، فجمع عليه فقد أبيه إلى جانب فقد بصره ألمًا آخر، حيث فقدان العائل والكفيل، فأسلمه إلى ضائقة اقتصادية قوية، كل ذلك آلمه أمضّ الألم وأشدّه، طفح على شعره الحزين الذي تقرؤه في ديوانه المطبوع (النغم الجريح).

بيد أن الشاعر اتخذ هذين دافعين قويين له، لينمَّي ملكاته الفكرية فيعوّض بها ما فاته من نور العين وفقد الوالد، فانكب على المطالعة يغترف من بطون الكتب والفكر والثقافة، فقرأ الكتب التي تُعنى بالإسلام وتشريعاته حتى ارتوى من مناهلها، وقرأ الشعر القديم والحديث ولا سيما الشعر المهجري الذي تأثّر به أي تأثُّر.

وكانت موهبته الشعرية قد تفتّحت منذ عمره المبكّر، أضاف استيعابه الجديد ثروة كبيرة نمت به ليكون شاعرًا مبدعًا مجدّدًا، يضاف إلى ذلك رعاية أخيه العلَّامة الخطّي وعنايته الشعرية والنهوض بها.

أنتجت لنا شاعريته المبدعة الروائعة التي ضمّنها مجموعاته الشعرية، (النغم الجريح) المطبوع، و(إليها) وهي خاصة بالمرأة والتغنّي بجمالها، و(ورود الصَّباح)، وهاتان مخطوطتان نأمل مخلصين أن يخرجهما الشاعر للنور ليسهم في التراث الشعري العربي الحديث المبدع ونهضته الميمونة، ويضاف إلى هذه المجموعة ما نشر في الصحف والمجلات المختلفة.

ويكفي أن أقول: إن ديوانه (النغم الجريح) ما أن لفظته حروف المطبعة، وتلاقفته الأيدي درسًا ونقدًا أو تقييمًا، حتى كان له الصدى الكبير في الأوساط الأدبيَّة، فنشرت عنه بحوث تحليلية في الصحف السعودية

والعربية مثل (أخبار الظهران) و(البلاد)... وغيرها، كما أذاعت عنه إذاعة الكويت بحثًا ممتعًا.

ويتمتّع الأستاذ إلى جانب عبقريته الشعرية، بملكة أدبية ممتازة، تمثّلت في نتاجه الذي نشره مقالات في مواضيع مختلفة في المجلات العربية الشهيرة، أمثال (العرفان) و(الأديب) و(المعارف) و(الألواح) البيروتيَّات، و(الهاتف) العراقيَّة، و(الرائد) الكويتيَّة، و(صوت البحرين) البحرانيَّة، و(أخبار الظهران) السعوديَّة... وغيرها.

١٣

محمد سعيد ابن الإمام المجتهد الشيخ علي بن الحاج حسن بن مهدي الخنيزي (أبو علي)[١]

سعيد أحمد الناجي

من مواليد قلعة القطيف (١٣٤٣هـ)[٢]. أديب وشاعر وناقد ومؤرخ ومحام وعلم من أعلام البلاد البارزين ونائب رئيس مجلس بلدية القطيف لثلاث دورات متتالية.

نشأ الأستاذ محمد سعيد الشيخ علي وسط أسرته العريقة في تاريخ القطيف الحافل سجّلها بالقيادة والفقه والأدب وتربّى في حجر والده الكريم الإمم العلّامة الشيخ علي أبو الحسن الخنيزي، وتعلَّم على يده وفي مجلسه ومكتبته، فنهل العلم والأدب والحكمة من هذه المدرسة، فوالده هو معلِّمه الأول، ثم على يد مشايخ القطيف وعلمائها وأدبائها، أبرزهم الشيخ فرج العمران والشيخان الجليلان ميرزا حسين البريكي وأخوه الشيخ محمد صالح والأستاذ محمد سعيد المسلم وملازمة أخيه العلّامة الشيخ عبدالحميد

(١) معجم أعلام القطيف، سعيد أحمد الناجي، أطياف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٣٧هـ، ص٦٥٤ - ٦٥٨.

(٢) خيوط من الشمس - قصة وتاريخ للمُترجم.

الخطي. وأمه كريمة عبداللّه بن راشد الغانم، وهي من أسرة صميمة عريقة المجد، لها طابع الحكم والرئاسة والإصلاح في ربوع القطيف.

أصيب برمد في عينه وهو في الخامسة وفشل العلاج أدّى إلى خواء عينه اليمنى، وفي العشرين من عمره فقد والده فتألم إحباطًا وحزنًا وخوفًا من مستقبل قاتم حتى قال:

أرى من زوايا حياتي غدي فأبصره روضة ذاوية
توقف عنها معين الحياة وغارت جداولها الشادية

* * * *

حياتي مبطنة بالظلام يبثُ بها الدهر أخطاره
أرى من زوايا حياتي غدي فأبصره جثة هامدة[1]

إلّا أنه بالعزيمة والإصرار والقراء الجريء، رسم مستقبله بيده فأعدّ نفسه لكسب قوته بامتهان المحاماة وبالأمر عاش حياة مليئة بالحب والمودَّة لأهله ولوطنه، وبالعطاء الأدبي والتاريخ المتواصل كأنه نهر يتدفَّق ماءً عذبًا ويفيض طميًا على أرض بلاده الخصبة ليرتوي منه سكان بلاده ويأكل ثمار عذوقه أربعة عشر كتابًا حصيلة عمره المديد مطرّزة بمشاركاته الودية الصادقة والإيجابية في المناسبات الوطنية والمهرجانات الأدبية في بلاده.

وظلَّ كما قال وأراد:

سأظلُّ كالنهرِ الطرو ب يضاحك الأنوار ثغرًا
يسقي الصحاري والحقو ل فينبت الأحلام زهرا[2]

---

(١) الأدب في الخليج العربي، عبدالرحمن عبيد، ص١٠٢.
(٢) مدينة الدراري للمُترجم.

وصفه الشيخ علي بن الشيخ منصور المرهون بالأديب الفذ والشاعر العبقري والمفكّر الحرّ[١].

وقد طرق جميع أبواب الشعر من وصف ورثاء وغزل ومدح ووطنية، وغير ذلك. وقد كان خصب الخيال عميق التفكير[٢] والتأمُّل واسع الثقافة والاطلاع. في شعره مسحة صوفية متأمّلة. نشر قصائده في مختلف وسائل الإعلام المحلية والأجنبية.

كتب قصة حياته أو كتاب عمره كما فعل الأدباء من قبله أمثال طه حسين وشوقي وجبران وغيرهم في كتاب أسماه (خيوط من الشمس - قصة وتاريخ)، من جزأين في مجلدين، وهو قصة وتاريخ حافل بالأحداث للحقبة التي عايشها وشاهدها بنفسه تركها كتابًا مفتوحًا يقرؤه الناس حاضرًا ومستقبلًا.

أَلَّف عام ٢٠٠٦م كتاب (أشباح في الظلام) بقصد دعوة الإنسان أن يكون كل عمل له يكون هدفه إرضاء الخالق وصالح الوطن، ولتوضيح كيف يكون ذلك -كما سأل نجله الدكتور وديع- ردّ الأستاذ محمد سعيد بتأليف قصة (ومضات من وراء الغيوم) عام ٢٠١١م التي صوّر فيها واقع المجتمع البشري الذي يعيش في أنانية وجهل منذ عهد قابيل وهابيل رغم وجود التعاليم والمبادئ السامية التي جاء بها الإسلام والتي يدعو المؤلف لتطبيقها لتجنُّب الشرور والفوز بالسعادة دنيا وآخرة.

(١) شعراء القطيف، عبدالله آل عبدالمحسن.
(٢) الأدب في الخليج العربي، عبدالرحمن العبيد، ص٥٨.

وهو من شعراء المملكة العربية السعودية البارزين[١] الذين أسهموا بدور رائد في تجديد الكلمة الشعرية شكلًا ومضمونًا وموسيقى... وعُدَّ من أعلام العهد السعودي المعاصر، وحظي بدراسة العديد من النقاد والباحثين في الأوساط الأدبية، كما سُجّلت له عدة حلقات إذاعية في الإذاعة السعودية ومحطّة الأهواز وإذاعة البحرين وإذاعة الكويت ومحطة لندن هيئة الإذاعة البريطانية حيث يتمتع بموهبة شعرية مبدعة وعاطفة صادقة وهو جدير بالتكريم وأهل له، وبالفعل تم تكريمه في النادي الأدبي للمنطقة الشرقية بالدمام، وفي حفل افتتاح معرض الرياض الدولي للكتاب عام ١٤٢٧هـ كان ضمن خمس عشرة شخصية من المؤلفين السعوديين الرواد.

كما كرمته القطيف في منتدى حوار الحضارات عام ١٤٣١هـ حيث تبارى المفكرون والأدباء بالإشادة والتقدير والإعجاب بشخصيته وأدبه الرفيع نثرًا وشعرًا ممَّا جعل لهذا التكريم أصداءً فكرية وأدبية غطّته بإسهاب الصحف المحلية والشبكة العنكبوتية والتلفزيون السعودي الذي أجرى مع الأستاذ محمد سعيد حوارًا في منزله عن التكريم وعن حياته الأدبية والفكرية.

وفي عام ١٤٣٥هـ ترجم له في قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية الذي أعدته دارة الملك عبدالعزيز في الرياض.

ويختصر سماحة الشيخ جعفر آل ربح تعريف الأستاذ محمد سعيد الخنيزي بأنه أحد أعلام الأدب في العالم العربي، ورائد من رواد الحركة الثقافية في منطقة الخليج والجزيرة العربية، وعميد الأدباء في محافظة القطيف وما حولها، والذي اعتاد الجلوس في ديوانيته يوميًّا منذ عام

(١) شعراء مبدعون من الجزيرة والخليج، لسعود عبدالكريم الفرج، ص٣٢٣.

١٣٦٠هـ لاستقبال الناس كمقصد لكل الشرائح الاجتماعية ومنها العلماء والأدباء ورجال الأعمال وأصحاب الاهتمام بالشأن العام[١].

نماذج موجزة من شعره:

من قصيدة وصفية لحديث رومانسي[٢]:

فكن أمــلًا أخـضـرًا كالربيع فـتـورق دنـيـا كدنيا الزهر
وكــن نسمة كحنان الربيع تضمد عطفًا جــراح البشر
وكــن جــدولًا يملأ الخافقين فيسقي قلوبًا ويسقي الفكر
وكن مشرقًا مثل بدر السماء يـضـيء الـحـيـاة شـعـاع أغـرّ
فــإن فــؤاد الحياة الـرجـاء! ولولا الرجاء غدت كالحجر!

ومن قصيدة (ضياع)[٣]:

ضاع وقتي، ضاع عمري في حياة خاوية!
كل يوم في حياتي ليس فيه قافية
هو من عمري جدب كصحاري خالية
أكتب الشعر من: الحب، وزهر الرابية
أكتب الشعر من الجرح: دموعًا باكية
وأصوغ الألم الباكي: شموعًا زاهية
وأغني لعصافير الدوالي، في سماء صافية

(١) مجلة الخط، عدد ١٣، ر(٢)، ١٤٣٣هـ.
(٢) ذات المصدر في الهامش السابق، ص٣٣٠.
(٣) مدينة الدراري - للمُترجم، ص١٧٥.

صغت هذا الشعر من دنيا حياة قاسية

ومن قصيدة (دكان)[1]:

كان قلبي أحلام ودنيا من نجوم نبتت أعراس حبّ وثمار من كروم

كان في قلبي حبّ وروابي زاهية أشرق البدر عليها من خلال الدالية
وحبا الفجر وليدًا في ظلال الرابية وبدت شمس نهار في سماء صافية

ومن تغنّيه بقلعة القطيف التي ولد ونشأ فيها فوصفها بـ:

قعلة المجد والندى والسماح، وخاطبها قائلًا:

كنت يا قلعتي إلى المجد ينبو عًا سخيًّا وعالمًا من دراري

وتاج إنجازاته الأدبية ديوانه (إيحاءات سماوية) في مدائح ومراثي وذكريات أهل بيت رسول اللّٰه عليه أفضل الصلاة والسلام.

وتزوّج الأستاذ محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي من كريمة العلّامة المجتهد الشيخ محمد صالح المبارك، ولديه من البنين الذكور الأستاذ علي، والمهندس أديب، والدكتور وديع، والإداري نبيه، ومن البنات فوزية، وفردوس، كما ويعتبر أزواجهن كامل سلمان العبدالهادي الحبيب رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ، وأخاه سعيد (أبا حسام) أولاده.

وللأستاذ محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي ما يلي من المؤلفات:

١- تهاويل عبقر (شعر).

(١) ذات المصدر السابق، ٢٠٩.

٢- العبقري المغمور (نثر).

٣- أضواء من النقد في الأدب العربي.

٤- أجراس حزينة (نثر - مخطوط).

٥- أوراق متناثرة (نثر - مخطوط).

٦- أشباح في الظلام.

٧- على هامش الذكرى.

٨- ومضات (رواية).

٩- النغم الجريح (شعر).

١٠- شيء اسمه الحب (شعر).

١٤

محمد سعيد الخنيزي

الأستاذ عبدالله آل عبد المحسن

الشاعر الأديب محمد سعيد بن الإمام العلامة علي الخنيزي، ولد في ٧ رجب ١٣٤٣هـ بالقطيف، من أسرة لها في تاريخ القطيف سجل في الكفاح الوطني وعالم الفقه والأدب، ترعرع في بيئة محافظة ونشأ نشأة تحفُّها الرعاية والحب من قبل والديه وإخوانه، فنال تربية أعدَّته أن يكون مثقفًا كاتبًا شاعرًا مجيدًا.

كان شاعرنا منذ نعومة أظافره مولعًا بحفظ الأشعار، ساعدته على ذلك رغبة الوالد، فقد كان والده ينبوعًا ثرًّا يرشف الابن منه، وكان غلى انب ذلك يكثر الابن من الاختلاف إلى مكتبة الوالد لقراءة الكتب والشعر والتاريخ، وبهذا فالبيئة الصغرى (البيت) التي عاش فيها شاعرنا مكَّنته من الاطلاع، فجعلت الثقافة الواسعة منه أديبًا وشاعرًا.

لكن شاعرنا لم يقتصر في تكوين ثقافته على ما حصل عليه من معلومات من مدرسة والده، بل تحوّل إلى قارئ نَهِم مستوعب، يحصل على الثقافة من الكتب والمجالسة لأهل العلم والأدب والشعر، وقد حفظ ا الكثير من الأبيات الشعرية لشعراء جاهليين وإسلاميين، وقد امتدت قراءته الشعرية

إلى عصر النهضة الحديثة، قرأ لشوقي وحافظ إبراهيم والبارودي وإيليا أبو ماضي وخليل مطران والرصافي والأخطل والجواهري وجبران وعلي محمود طه، وقد أكسبه هذا الشغف المبكر لشراء الكتب وإحساسه بقيمتها واستغلالها والاستفادة منها.

وهناك حدثان كبيران كان لهما أثر كبير على نفسية شاعرنا وتكوينه الفكري والفني، وقد وقعا له في مطلع حياته. أما الحدث الأول ففقدانه عينه، والحدث الثاني موت والده وشاعرنا لا يزال في العشرين من عمره، فقد كانتا مأساة أليمة أصيب بها الشاعر وتركتا في نفسه جرحًا عميقًا، لوَّنت حياته وكلماته بألوانها القاتمة، وصبغتها بصبغة حزينة معتمة، ممَّا حدا بالنقاد إلى القول بأن الشاعر (محمد سعيد) هو أكثر شخصية أدبية محيّرة في منطقة القطيف نظراً لقصائده الحزينة المتشائمة، ومع ذلك فإن مكانته في الأدب الحديث، رغم تشاؤمه، ما زالت قصائده على أساس مكين، حيث تجد فيها قوة فريدة، وفيها أمانة التعبير قلَّما توجد في غيرها، وبسبب هذه الموهبة والقدرة على تصوير الحزن كقطع من العلقم، في إطار من القلق والحيرة والشكوى والتيه في غياهب السراب والضياع، ونلمس ذلك التضجّر والتبرم من الحياة في ديوانه (النغم الجريح) ومن يقرأ هذا الديوان فإنه لا يلمس إلَّا مشاعر شخص ضاقت به الحال وعاكسه الحظ، أو مشاعر رجل في خفة الضباب العابر، وعلى الرغم من ذلك التشاؤم فإننا نجد أن شاعرنا كان حريصًا على اختيار اللفظ وتذوق الجرس الموسيقي، وليست حرارة العاطفة أو صدقها بشيء ينفرد به شاعرنا دون سواه، ولكن في مضمار التعبير عن خوالج نفسه اليائسة المتشائمة، في هذا المضمار يجري كالجواد المجلِّي لا يشقُّ له غبار؛ لذا تميَّز عن رفاقه الشعراء بأسلوبه الحزين وخياله المجنّح.

ونجد في شعره مسحة تأمُّل توحي بثقافة رفيعة لشاعرنا وفلسفة تبدو في جميع ما نظمه في دواوينه، ومنها:

١ - النغم الجريح المطبوع عام ١٣٨١هـ.

٢- شيء اسمه الحب أو إليها مطبوع عام ١٣٩٤هـ.

٣- ورود الصباح (لم يطبع).

٤- من أغاني الشباب (مخطوط).

٥- مدينة الدراري (مخطوط).

٦- كانوا على الدرب (مخطوط).

٧- أشعة على الشمس (مخطوط).

وله تأليفات أدبية منها:

١ - أضواء من النقد في الأدب العربي (مخطوط).

٢- خيوط من الشمس (مخطوط).

وله كتابات أدبية نشر بعضها في الصحف والمجلات العربية والمحلية.

ونظرًا لقصائده الرائعة التي تنم عن شاعرية مبدعة، فقد أشاد به الشعراء والأدباء والدكاترة، ونذكر على سبيل المثال ما قاله بعضهم في شاعرنا.

١ - قال عنه الشيخ علي بن الشيخ منصور المرهون: «الأديب الفذ (محمد سعيد) نجل العلَّامة الشيخ علي أبي الحسن الخنيزي، شاعر عبقري، ومفكّر حرّ، ذا آراء كثيرًا ما يصيب بها أهدافه بل أهداف غيره»[1].

٢- وقال عن شعره الدكتور علي جواد الطاهر: «فيه جِدَّة، وأصالة، لا

(١) شعراء القطيف، علي الشيخ منصور المرهون، ج٢، ص١٥٠.

يستطيع أحد أن ينكر على صاحبه شاعريته، وإنه لجوال الفكر في المجتمع والكون مع مسحة واضحة من التشاؤم... وأردف يقول:

لا شك في أن شعره فوق عمره، ولا بد أن يكون للبيت -الأدبي- الذي نشأ فيه أثره في تكوينه وفي تمكُّنه اللغوي»[(١)].

٣- أما الدكتور عمر الطيب الساسي فقال عنه: «إن الأستاذ محمد سعيد الخنيزي شاعر حادّ البصيرة.. فهو فليسوف عميق التفكير، وإنسان رقيق الشعور، وشاعر مبدع في فنِّه»[(٢)].

٤- وقال عنه الشاعر الأديب الأستاذ العبيد: «شاعر فريد من شعراء القطيف ا لمجيدين.. ومقطوعاته التي نشرها تنمُّ عن شاعرية مبدعة عميقة التفكير، خصبة الخيال، له أسلوبه الخاص في النظم والتأمُّل، وهو بالإضافة إلى نزعته الشعرية يميل إلى الكتابة الأدبية، وله في هذا المجال دراسات ونقد، ولكن من ناحية الشعر أقوى وأعمق»[(٣)].

٥- وكذا قال عنه خليف بن سعد الخليف: «هو شاعر مجيد بارع، يحسن تماسك القصيدة من حيث الارتباط العضوي، ومن حيث قوة الأسلوب وجزالة العبارة، جيَّاش العاطفة، وهو من شعراء العصر الحديث»[(٤)].

(١) عالم الكتب، المجلد الثالث، العدد الرابع، ربيع الآخر سنة ١٤٠٣هـ، ص٥١٨ - ٥١٩.
(٢) الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي، د. عمر الساسي، ص٢٤٥، ص١، سنة ١٤٠٦هـ.
(٣) الأدب في الخليج العربي، عبدالرحمن العبيد، وأدباء من الخليج العربي عبدالله الشباط، ص٢٧٤.
(٤) الاتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث، خليف الخليف، ط١، سنة ١٤٠٩هـ، ج٢، ص٨٩.

٦- وقال عنه الأديب الأستاذ عبدالعلي آل سيف: «عَلَمًا من أعلام القطيف المبرَّزين فيها، ويتمتع الأستاذ إلى جانب عبقريته الشعرية بملكة أدبية ممتازة تمثّلت في نتاجه الذي نشره مقالات في مواضيع مختلفة في المجلات العربية الشهيرة مثل: (العرفان) و(الأديب) و(المعارف) و(الألواح) البيروتيات. و(الهاتف) العراقية) و(الرائد) الكويتية و(صوت البحرين) البحرانية، و(أخبار الظهران) السعودية»[١].

شعره:

لقد ظهرت مواهب الخنيزي الشعرية في سن مبكرة، فسجّل إحساساته بقسوة نفسه في حزن أليم، فأتت قصائده باكية متوجّعة تعبّر عن تلك المساحات الشاسعة من الحزن، وبدأ بقصائده هذه يبني لنفسه عالمًا شفَّافًا ملوَّنًا بألحان حزينة جميلة، وأنغام رقيقة، ليعيش حياته من خلال عالمه الشعري، عالم الضباب والظلام، وكل شيء غريب من أحلامه وخيالاته، محاولًا بذلك التغلُّب على هذه الشيخوخة النفسية الضاغطة لتحقيق أحلامه المعنوية، وقد حقَّق ذلك من خلال دواوينه الرائعة وكتاباته الجميلة القيِّمة، ولعل هذا الإحساس والظروف التي مرَّ بها في حياته هي التي فجّرت كل طاقاته الشعرية، فأتت قصائدة المؤثّرة رقيقة الشعور بعمق فلسفي كبير، وقد يكون لشعراء وأدباء العرب في المهجر أثرهم على فنه الأدبي، وكذا أدباء التيار الرومانسي الذي وجد تجاوبًا مع شعوره النفسي، قد دفعه إلى التأمُّل الفلسفي في كُنه الحياة والنفس والكون، ومن شعره في هذا المجال قوله:

(١) القطيف وأضواء على شعرها المعاصر، عبدالعلي آل سيف، ص٢٧٦ - ٢٧٧.

حدِّثيني يا نفس عن أُفقِ الرو

ح وكيف الحياة في الأرحام؟

كيف -يا نفس- قد هبطت لجسمي

أي يوم من فجرك البسَّام؟

أي يوم هبطت في الأر

ض حنانًا كهمسة الأنسام؟

أنت ماذا في عالم الروح؟

أم خيال مجنح الأحلام؟

ونفسه ترد على تساؤلاته بحوار جميل تقول:

أنا نور من رحمة اللَّه للجسـ ـم وسر الأشواق في الأقمار

أنا لم أذكر الحياة التي مرتْ على الروح في الفضاء السعيد

لست أدري ما كنهها؟ غير أنّي أعرف الروح فيض باري الوجود

أنا فيض من السماء على الجسـ ـم تعالى إلى أقاصي الحدود[1]

ويعلق الدكتور عمر الساسي على ذلك بقوله: «وهو في هذا الرد يستلهم قول اللَّه تبارك وتعالى في سورة (الإسراء): ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾. وبهذا يضع الخنيزي جوًّا إيمانيًّا على تساؤلات (رومانسية فلسفية) سبقه إلى مثلها الشاعر العربي في المهجر الأمريكي (إيليا أبو ماضي)...

إلى أن قال:

وكما تسأل الخنيزي عن روحه في طورها الأول في عالم الغيب وكيف

(١) ديوان (النغم الجريح)، محمد سعيد الخنيزي، ص١٢٧، ١٣١.

انتقلت إلى جسده، فإنه قد تساءل كذلك عن حالها بعد موت جسده فقال في قصيدة عنوانها: «روح وهيكل»:

حدِّثيني عن الممات وكيف الـ ـكون يطوى في لحظة كالرداء
هي دنيا الشقاء مهما تعالى الـ ـمرء فيها مصيره للفناء

وتساءل عن مصيره بعد الموت فقال:

لست أدري أكنت فيه سعيدًا أم أنا في غد من الأشقياء[1]

وحينما ننتقل إلى القصائد التي يغوص الشاعر في أعماق الضياع، وهو يخبط في متاهات الحياة فإذا خواطره الإنسانية في دموع يذرفها على إنسانيته التائهة يصور تلك المعاني في مشاعر متدفقة وعاطفة مشبوبة وتجربة شعرية صادقة، فلنستمع معًا لقصيدته المعنونة «الغد الباكي»:

أرى من زوايا حياتي «غدي» فأبصره روضة ذاويه
توقف عنها معين الحياة وغارت جداولها الشاديه
ومدَّ الخريف بها كفَّه فقصّف أفنانها الزاهيه

إلى أن قال:

أرى من زوايا حياتي «غدي» شموعًا.. تذوب بوهج الضرام
فأبصره شبحًا مرعبًا تمدد -في مقلتي- كالظلام
يضيء لغيري -برغمي- الدنى وأسري -برغمي- بهذا القتام
طيوف المخاوف في مقلتي تراقص مثل طيوف الحمام
أراه كباحثة في الثرى تفتش عن عالم داثر[2]

(١) الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي، د. عمر الساسي، ص٢٤٤ – ٢٤٥.
(٢) ديوان (النغم الجريح)، محمد سعيد الخنيزي، سنة ١٣٨١هـ، ص٩ – ١١.

وهي قصيدة طويلة تجد فيها بذور كثيرة من اختبارات وجدانه تختلط فيها تجربة كان لها أثر كبير على نفسه وحياته.. الشاعر في هذه التجربة يعود إلى نبعه المظلم -عينه- فينبع منها صور الحزن والضياع، استسلام يحمل بين طياته وعيًا فلسفيًّا عميقًا بعث الحياة، ولعل هذا الإحساس هو الذي هداه بفطرته الفنية إلى اختيار تعبيرات توحي بالخوف والتفتيش عن عالم داثر، وشموعًا تذوب، وخريفًا يعصف بأفنان الرياض الزاهية وأشباح مرعبة وقتامة المستقبل فأصبحت حياته بسبب فقدانه لعينه مبطّنة بالظلام يمزّقها مخلف النائبات والآلام.

ولو انتقلنا إلى قصيدة أخرى، وأخرى، لوجدنا النفس الحزينة المتبرّمة الشاكية، فقصيدته «من أنت» تقول:

من أنت -يا نفس!- ملاك طاهر ... أم أنت شيطان شقي قاهر؟
إني أراك مع الظلام ضحوكة ... فكأنك الصبح الطروب الزاهر!
وأراك في الصبح الجميل حزينة ... فكأنك الليل الدجي الكافر
وأراك أحيانًا نبيًّا مُلهمًا ... توحي الشعور فتستقر خواطر
صُور تحرّك قلب شعب جامد ... فتصيخ آذان لها ومشاعر
وأراك في دنيا الخيال مليكةً ... في عرشك الفضيّ ملك باهر[1]

ففي باطن هذه القصيدة تجربة «شعرية» ندرك أبعاد تلك الكلمات المتنافرة الغليظة الإيقاع، المتناقضة. فالنفس ملاك أم شيطان، الظلام أضحوكة والصبح طروب، وأحيانًا مليكة في دنيا الخيال وأخرى مضطربة ثائرة كالبحر.

(١) النغم الجريح، محمد سعيد الخنيزي، ص١٧ - ١٩.

هذه التركيبة السحرية للألفاظ تشع عالمًا غريبًا تحفّه الألغاز، ونمسك خيطًا يوصلنا إلى مفتاح هذا السر وهو أن شاعرنا بفلسفته العميقة يوضح لنا مأساة الوجود الإنساني، وأن كل شيء محكوم عليه بالفرح والحزن، النور والظلام، الفكر والجهل، وقد نفهم من هذه القصيدة أن الشاعر لم يعد يحزن لفقدان عينه، ولكن حزنه ناتج من التناقض في الحياة، فلنتذوق معًا قصيدته «على ثبج الموج» التي يقول فيها:

وحيدًا وحيدًا بهذا الوجود   أعيش على موجة من ضباب
وألـمـح خلف بــروق المنى   حـيـاة تلهب مثل الشباب
حــيــاة تــنــوء بــمــا أثقلت   جفون لها بطيوف الرغاب
ولــكــنــهــا حــلــم كـــاذب   كحلم الرمال بماء السحاب
فبين القنوط، وبين المنى   أخذت مكاني على ذي الهضاب[1]

وقال في قصيدة أخرى بعنوان «وسط الضباب» يشكو من الزمان ولكن شكواه مقترنة بالفخر، إذ يتحوّل الشجن إلى رجاء وأمل وتفاؤل.. فيقول:

وإذا بي وسط الجحيم على مر   جـلِّ حــزن، يثور كالبركان
رغبات الشباب محمومة الأهـ   ـواء لم يروها غدير الأماني
إنها البؤس في جـروح دوامٍ   وبــرودُ حيكت من الحرمان
ربّ! هذه دموعي الحمُر أنـ   ـات فؤادٍ، في مجمر الأشجان[2]

هذا هو شعور محمد سعيد بسماته وخصائصه التي جعلته غرضًا شعريًّا متميِّزًا يُعبِّر بصدق ودِقَّة، بمشاعر رقيقة، وتصوير أدبي رفيع، على

(١) النغم الجريح، محمد سعيد الخنيزي، ص٩٨ - ١٠١.
(٢) النغم الجريح، محمد سعيد الخنيزي، ص٩٨، ١٠١.

أن شاعرنا لم يقف عند رسم تلك الأجواء الحزينة، بل رسم -أيضًا- أجواء الحب، ووصف الربيع والشتاء والمطر، وصوَّر البيئة بعاداتها في الزواج، وفي أيام صفر ووصف القلعة في ديوانه (مدينة الدراري)، بل أنشد كثيرًا من الشعر في مختلف الأغراض الشعرية الشائعة، فمدح، ووصف، ورثى، وتغزَّل وعلى سبيل المثال قصيدته «المعبود الثاني» يشرح قصة فتاة شابة تُخطب لعجوز طمعًا في ماله، كشف شاعرنا من خلالها عبثية الحياة اليومية وقانون تقديس المادة، وما كلماته إلَّا تعبير عن التمرُّد الإنساني الاجتماعي ضد الاغتراب، وضد تحوُّل الإنسان العظيم إلى فرد جزئي يعيش لنفسه بأنانيته.. فتذوَّق معي كلماته الرقيقة في هذه القصيدة التي يقول فيها:

فـإذا الفتاة تهمس في أذني فتاها حديث خطب مهول
إن في ذا الصباح والدي الشيخ رمـى بـه فـريـسـة مجهول
قـال: بـشـراك! جنة من نعيم بـقـران مـن مـاجـد بهلول

إلى أن قال:

سـتُـزفِّـيـن بعد خمس إليه فتعيشين تحت ظـل ظليل
في القصور البيضاء في حلة الوشي إلــى جـانـب سـيّـد مـأمـول
فـي نعيم وظــلّ عيش أنيق مثل أحلام عرسك المعسول
في ربى الخلد تعيشين وفي دنيا الجمال
أنها دنيا من السحر، وأطياف ليالي

وختم القصيدة بقوله:

وهنا تخفق القلوب وتوحي سرّ ماضٍ إلى الجفون الفواتر

هذه الضفة التي أوحت الحب قديمًا مثل الصباح السافر

انظروا النعش ففيه سرّ آيات عجاب

هذه زهرة حسن لم تمتع بالشباب[١]

وكما أنشد في الاجتماع، لم ينسَ القصائد الغزلية تجد الكثير منها في ديوانه الثاني (شيء اسمه الحب) نختار منه هذه القصيدة العاطفية، ذات الخيال الخصب وجزالة العبارة فيقول:

هذه أوراق حبي أشعليها بالضرام

فهي ما عادت قلوبًا خافقات بالغرام

يبس الحب عليها وهوى أشلاء جام

وجراحات رسمت الخوف منها بالكلام

* * * *

لم أعد صبا إليك اليوم أو لحن حنان

فليالي الحب قدماتت على ثغر دِنان

وسنين العمر وَهْدَات على مر الزمان

كل عام خط في الجبهة سطرًا من بيان

والتجاعيد تماثيل.. وعشات بنان[٢]

(١) ديوان (النغم الحزين)، ص٣٨ - ٥٩.

(٢) ديوان (شيء اسمه الحب)، محمد سعيد الخنيزي، ص٩٥ - ٩٦.

إلى الفدائيين[١]:

صوتُ الفداء يُدوّي من فم اللهب
ليستعيد فلسطينًا إلى العرب
فالدم شِعلة أضواء مقدسة
تضيء ظلمة هذا الليل كالشهب!
يبني عليها الفدا مجدًا وتضحية
للخالدين: خلود النجم والحقب!
الفتح في صوته «فتحُ» يُغلّفُه
حلمٌ من الغيب... أقباس من اللهب
أقحمْ -وُقيتَ الردى- ميدان مغتصب
وَدُكَّ صرحًا من: التمويه، والكذب

****

واخلع شبابًا على حرب، خُلقت لها
من قوة العزم: أحلامًا من الظفر
فالفجر خلف كمام الغيب صائغه
يمزق الليل بالأرواح كالقدر
فقطرة من دماء أنت ساكبها
تدفّقت موج طوفان على الخطر
أقوى من الطائرات الهوج ظالمة
لأمة في ذُرى التأريخ كالدُّرَر

---

(١) شمس بلا أفق، محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي، ط ١٤٠٦هـ، ص٩٣، ٩٥.

لــولا الــفــداء لمـا كـانـت مـآثـرنـا

غــراء في عتمة الـتـأريـخ كالقمر!

****

فـديـت خيمتك البيضا يـمـوج بها

لـيـل مـن الألم الـبـاقـي بـكـل فـم!

وصـبـيـة كـالـغـصـون الهـيـف ذاويــة

وســط الـعـراء بـلا حــامٍ ولا رحم

تـرنـو إلى قـطـع في الـلـيـل داجـيـة

تشعشعُ الـنـور مـن دنـيـاك كالعلم

تسري على ضوئها الأجيالُ صاعدةً

وتـسـتـنـير بهـا في حـالـك الـظُّـلـم!

****

يا خيمة تحت وهـج الشمس عارية

تناهبتها يــدُ الأعــصــار كـالـورق

فــأنــت أفـــق لأبـــصـــار وأفـــئـــدة

فالنصرُ منك تـلالا كالسنا الألـق

وأنـــت مثل طـيـوف البيد راقصة

تُضوّعين الـشـذا مـن زهـرك العبق

وأنـت طــورًا طـيـوفُ المـوت مرعبة

في عـين صهيون أشـبـاح مـن القلق

تدفقي - «فتح»!- طوفانًا وعاصفة

وأغـرقـي جيشها في لجَّـة الـفـرق...!

الفقير[١]:

ضاقَ هذا الفضاء بالبائس الـ ... ـعاني وهذا الفؤاد رهن الشقاء!
غرق الناس في السرور، وإنني ... غـارق في شجوني السوداء!
قد سقتني الهموم والليلة السـ ... ـوداء كأسًا تفيض بـالأرزاء!
صوّرتني الهموم تمثال حزن ... لاح للعين كالخيال النائي!
وحــرام بها على جفني النو ... مُ متى ذقــتُ لــذَّة الإغفاء؟!
وحــوالــي صـبـيـةٌ ويـتـامـى ... تتلوى من الطوى والظماء!
وغطائي السماء، مصباحي النجـ ... ـومُ وعهدي حرارة الرمضاء؟
وشرابي من الغدير، فإن جعـ ... ـتُ فقوتي الحشيش في البيداء!
لم تذق عيني الرماد، ولم تهـ ... ـدأ هموم تسودُ كالنكباء!
أيها الليلُ! قد قسوت على القلـ ... ـب ولـم يبقَ في غير ذمـاء!
إنهُ القلبُ من دم، ليس صخرًا ... لا ترقهُ كالسِّجْلِّ في البوغاء!
ماتَ حتى الرجاء في قلبي الذا ... وي وجفت منابعُ النعماء!
أيها الليل! عن جفوني تزحزح ... فلعلَّ الصباحَ فيه شفائي!
ربما في الصباح تنعم كفٌّ ... برغيف: أقصى مُنى الفقراء!
ولعل الآمـال تبسم في الكو ... خ كفجر يـشـعُّ بـالأضـواء!

الدمعة الخرساء[٢]:

أنا دمعةٌ خرساءُ في الأجفانِ! ... كتبتْ من: الآلام، والأشجانِ!
لا تنطقُ السر الرهيب ولا تُرى ... مسفوحة في المدمع الهتَّانِ!

---

(١) شمس بلا أفق، محمد سعيد علي الخنيزي، ص٧٥، ٧٦.
(٢) شمس بلا أفق، محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي، ص١٠٣ – ١٠٥.

تتوقدُ النيرانُ في آفاقها... وتلوحُ خامدة إلى الوجدانِ!
في صمتها صورُ الأسماءِ نواطقُ وتشيرُ إصبُعها إلى العنوانِ
لم تستطع تصوير منظر موقف ضاقت عن التعبير والتبيانِ
تشكو إليك، وتنحني في رقَّةٍ ربَّاهُ أفاض القلبُ بالأشجانِ!
لم أستطع حمْلَ الخطوبِ وإنما مدّ الخريفُ يدًا إلى الأغصانِ!
رباه! لطفًا! فالصبايا كالقطا... مذعورةً في صـورة الحيرانِ
تلك الصبايا وسط كوخ مظلم ظلَّتْ تعومُ بعالم الحرمانِ
تغفو على الآلام في جنح الدُّجى وتفيقُ في صبح كئيب عاني!
وكأنها قد صُـورت من قطعة في ليل حـزنِ قاتم الألـوانِ!
تشكو... فتبكي أمها في لوعة وتُصعدُ الحسرات كالبركانِ
تبكي وحيدًا غاب عن آفاقها والكوخ ماج لصوتها الرنَّانِ
والكوخ ماج كزورق في عاصف غمرتهُ أمـواجُ كما الطوفانِ
والجوع يفتكُ بالصبايا... والشقا متَمددٌ في الكوخ كالشيطان
والعُريُ يُبدي جسمها نهبًا إلى لفحات حَـر ملهب النيرانِ
والجوعُ والأمراض تفتكُ بالبَها مات الجمالُ بغضنها الفينانِ
والسحر في العينين برق خامدٌ كخمود نار تحت سحب دخانِ
هتفت تقول بزفرة مشبوبة: ربَّـاه، مات الحب في الريعانِ
ربَّاه! مات محمدٌ في حيرة... وافجعتاه لموتة الشُّبَّانِ...!

١٥

صفحات من حياة
الأستاذ محمد سعيد الخنيزي

العلامة الشيخ جعفر بن المرحوم محمد الملا حسن آل ربح

بسمه تعالى

الحمد للَّه ربِّ العالمين وصلَّى اللَّه على رسوله المصطفى وآله الطيبين الطاهرين.

هو أحد أعلام الأدب في العالم العربي، ورائد من روَّاد الحركة الأدبية والثقافية في منطقة الخليج والجزيرة العربية، وهو اليوم عميد الأدباء في بلاد القطيف وما حولها.

أُصيب في السادسة من عمره المبارك بفقد أثمن جوهرة في حياته وهي عينه التي يبصر بها الطبيعة والنور الذي يدرك به جمال الكون ومناظره الخلَّابة، بيد أنَّ ذلك لم يُثنه عن مواصلة مسيرته العلمية ومشواره الأدبي مستعيناً بما وهبه اللَّه من نبوغ فطري وبصيرة ثاقبة وحافظة مميَّزة ورعاية كريمة من والدة فاضلة ومن والده الإمام أبي الحسن الخنيزي قدس سره؛ الذي كان الشخصية العلمية والاجتماعية الأبرز على مستوى المنطقة، فقد كان

أستاذه الأول ومعلِّمه الأعظم ودليله الأهم في كل محطات حياته الحافلة بالعطاء والغنية بالثراء الفكري والأدبي.

وقد أشار هو إلى ذلك الدور الكبير الذي اضطلع به والده المعظَّم لبناء شخصية شاعرنا الكبير في رسم خارطة الطريق لمستقبل حياة زاهرة وزاخرة بكل ما هو مفيد وجميل فقال: «ولكن أستاذي الذي أعتبره كالجامعة من النقطة الأولى إلى المرحلة العليا هو والدي، فهو لي كجامعة من المعارف».

وبالفعل فكل من عرف هذا الإمام وعايشه من قرب يدرك دقَّة ما قاله أستاذنا الخنيزي، فقد كان طودًا شامخًا في العلم والأدب ومربِّيًا فاضلًا قلَّ نظيره، وقد ترك بصمات واضحة على الأباعد من معارفه فكيف بفلذات كبده ومنهم ولده المترجم له الذي تلوَّنت حياته العلمية والعملية والأدبية بإشعاعاته وتوجيهاته؟

ولذا شكَّل فقده في حياته جرحًا عميقًا لا يندمل ومأساة مؤلمة ألقت بظلالها المعتمة على نفسه وصبغتها بصبغةٍ حزينة سوداء، ممَّا دفع بأحد النقاد للقول بأنَّ الشاعر -محمد سعيد الخنيزي- هو أكثر شخصية أدبية محيِّرة في منطقة القطيف نظرًا لقصائده الحزينة المتشائمة.

ومن يُطالع ديوانه (النغم الجريح) على سبيل المثال يجد هذا جليًّا في كثير من روائع قصائده التي تضجُّ بالشكوى والضجر والتبرُّم من هذه الحياة، ومن شعره في هذا المجال قصيدته التي يُخاطب بها نفسه فيقول:

حدِّثيني يا نفس عن أفق الـ ـروح وكيف الحياة في الأرحام
كيف يا نفس قد هبطت لجسمي أي يوم من فجرك البسام
حدِّثيني فإنني ظامئ القلب لعل الحديث يطفي أوامي

حـدِّثـيـنـي فـإنـنـي أتـمـنَّـى أن أرى الصبح مشرق الأضواء
حدِّثيني فالعقل زاد ظلامًا يتمشَّى في حيرة عمياء
حدِّثيني إن استطعت حديثًا كـاشـفًـا عـن حقيقة بيضاء
حدِّثيني عن الممات وكيف الـ ـكون يطوى في لحظة كالرداء

إلى أن يقول:

في دنيا الشقاء مهما تعالى الـ ـمـرء فيها مصيره للفناء
لست أدري أكنت فيها سعيدًا أم أنـا فـي غـد مـن الأشقياء

وفي قصيدة أخرى يستشرف فيها المستقبل فينظر إليه على أنه روضة ذاوية قد ذبلت زهورها وجفَّت ينابيع الحياة عنها، فأصبحت هامدة خاوية على عروشها، انظره يقول:

أرى من زوايـا حياتي غدي فـأبـصـره روضـة ذاويـه
تـوقـف عنها معين الحياة وغـارت جـداولـهـا الشاديه
ومـد الـخـريـف بـهـا كفَّه فـقـصَّـف أفـنـانـهـا الـزاهـيـه

إلَّا أن هذه النظرة السوداوية والحالة التشاؤمية لشاعرنا الكبير لم تنعكس سلبًا على المستوى الفني لقصائده التي صوَّر فيها ما تختلجه نفسه من آلام الحياة وأحزانها بصورة غاية في الإبداع، فقصائده لم تأتِ ركيكة الألفاظ ضعيفة السبك خالية من موسيقى القوافي، بل على العكس من ذلك فإنك تجد قوة الكلمة ومتانة السبك وجمال التصوير وعمق التعبير ورقَّة الشعور مع نزعة فلسفية متأمِّلة في حقيقة هذا العالم وما يكتنفه من تناقضات ومفارقات، فباتت قصائده كما عبَّر عنها بعض النقاد «باكية متوجِّعة تُعبِّر عن المساحات الشاسعة من الحزن، وبدا بقصائده هذه يبني لنفسه عالمًا صامتًا شفَّافًا ملوَّنًا

بألحان حزينة جميلة وأنغام رقيقة ليعيش حياته من خلال عالمه الشعري»، وقال عنه أيضًا في هذا السياق: «ولكن في مضمار التعبير عن خوالج نفسه البائسة المتشائمة يجري كالجواد المجلّي لا يُشقُّ له غبار، ولذا تميَّز عن رفاقه الشعراء بأسلوبه الحزين وخياله المجنِّح، ونجد في شعره مسحة تأمُّل توحي بثقافة رفيعة لشاعرنا وفلسفة تبدو في جميع ما نظمه في دواوينه».

عشق الحرف وهو لا يزال لدن العود غضّ الإهاب، وامتطى صهوة الكلمة شعرًا ونثرًا وهو في باكورة العمر وسني الصبا، فأغرم بقراءة دواوين عمالقة الشعر العربي وفحوله كالمتنبي وأبي تمام والشريف الرضي وأضرابهم، فاختزنت ذاكرته الشابة إلى اليوم الكثير الكثير من عيون الشعر، كما قرأ لشعراء النهضة: شوقي وحافظ والبارودي وإيليا والجواهري والأخطل وغيرهم من رواد التجديد، إلى جانب دراسته الدينية على كبار العلماء والفضلاء، فقرأ الفقه والأصول والفلسفة والمنطق والنحو والبلاغة، وولعِه الشديد بقراءة كتب الأدب والتاريخ التي كانت تضمُّها مكتبة والده الإمام المقدس ﵀، فتكوّنت لديه ثقافة واسعة وبصيرة ثاقبة وذائقة متميِّزة أهَّلته لأن يكون في مصافِّ كبار الأدباء والشعراء في عالمنا العربي. وكانت ثمرة هذه الثقافة والبناء المتين لهذه الشخصية سلَّة وافرة من المؤلفات القيِّمة في شتى الحقول من شعر وأدب وتاريخ واجتماع ونحوها تزيد على الأربعة والعشرين مؤلَّفًا بين مطبوع ومخطوط.

ونظرًا لما يتمتَّع به شاعرنا الكبير من مكانة أدبية مرموقة تخطَّت حدود محيطه، فقد انكب كبار الأدباء والنقاد على دراسة نتاجه الأدبي والشعري، وأشادوا بما سطَّرته أنامله وأبدعته عبقريته الفذَّة من عطاء قلَّ نظيره، كما ترجم

له كلّ من أرّخ للحركة الأدبية في الخليج والجزيرة العربية، فقد قال عنه وعن شعره الدكتور علي جواد الطاهر وهو يصفه ويصف شعره: «فيه جِدَّة وأصالة لا يستطيع أحد أن ينكر على صاحبه شاعريته، وإنَّه لجوال الفكر في المجتمع والكون مع مسحة واضحة من التشاؤم»، وأردف يقول: «لا شكَّ في أن شعره فوق عمره، ولا بد أن يكون للبيت الأول الذي نشأ فيه أثره في تكوينه وفي تمكُّنه اللغوي»[١].

وقال عنه سماحة الشيخ علي المرهون قُدِّسَ سِرُّهُ: «الأديب محمد سعيد شاعر عبقري ومفكِّر حرّ ذو آراء، كثيرًا ما يُصيب بها أهدافه بل أهداف غيره»[٢]. وأما الدكتور عمر الطيب فقال عنه: «إنَّ الأستاذ محمد سعيد الخنيزي شاعر حادّ البصيرة، فهو فيلسوف عميق التفكير وإنسان رقيق الشعور وشاعر مبدع في فنّه»[٣].

وهناك الكثير من المتخصصين والنقاد الذين لا يسعني استقصاء كلماتهم وتتبُّع دراساتهم، كما أنّه تَمَّ الاحتفاء به وتكريمه على أعلى المستويات، وقد أشار لذلك كله شاعرنا في كتابه (خيوط من الشمس) وفي السيرة الذاتية المقتضبة التي سطرها بقلمه (دامت أيامه).

أهم إسهاماته:

شاعرنا سليسل أسرة علمية أنجبت كبار العلماء والشعراء والأدباء الذين حفلت بهم هذه البلاد والذين أسهموا بدور بارز في إثراء الحركة

(١)عالم الكتب، المجلد الثالث الجزء الرابع: ٥١٨ - ٥١٩.
(٢) شعراء القطيف ٢: ١٥٠.
(٣) الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي: ٢٤٥.

العلمية والأدبية، وكان في طليعتهم والده الإمام أبو الحسن الخنيزي قدس سره الذي أثرى الساحة العلمية ببحوثه ومؤلفاته ومناقشاته وطلَّابه الذين واصلوا المسيرة التي بدأها أستاذهم المعظَّم قدس سره، ومن جملتهم وخيرتهم ابنه البارّ العلَّامة الخطي قدس سره، الذي تولَّى رعاية الحركة الأدبية وحمل لواء التجديد والتطوير، وانتقل بالشعر من عالم الكلاسيكي التقليدي إلى عالم أرحب على مستوى الشكل والمضمون، واستطاع أن يُحرِّره من عزلته المفروضة عليه لقرون متطاولة متأثِّرًا في ذلك بشعراء النهضة في مصر والعراق وبلاد الشام، وهو القائل:

حلِّق بأجنحة التجديد ولا تخف ودعِ المغني باللوى والأجرع

فكان هو بحق باذر بذرة التجديد الأولى للشعر القطيفي، وهذا محل إجماع أهل الشعر والأدب، ولم تكن تلك الدعوة لتلاقي صدى أو يكتب لها نجاح لولا وقوف ثلَّة من الشباب الواعي المنفتح على ثقافة عصره، فآمن بتلك الدعوى وتحمَّس لها واندفع بكل صدق لينضوي تحت راية العلَّامة الخطي يستحثّه على مواصلة حركته الفتيَّة ويحذو حذوه ويقتفي أثره، فكان في طليعة هؤلاء ومن أكثرهم تأثُّرًا وتأثيرًا شاعرنا المبجَّل الذي تنبَّه وهو في سن مبكرة لضرورة الخروج بالشعر لأغراض أخرى لم تألفها الساحة الأدبية في بلادنا آنذاك، وقد ساعده على ذلك حسّ أدبي ممتزج بثقافة واسعة جامعة ورؤية مستقبلية ثاقبة للدور الكبير والخطير الذي يلعبه الشعر في نقل ثقافة الأمم والشعوب، وكما قيل: «الشعر ديوان العرب»، فهو إذا لم يرتقِ بحرفه وأسلوبه ومضمونه لمواكبة عصره فإنه سيتحول لأداة مشلولة غير قادرة على الحركة، وذلك يعني إغلاق رافد من أهم الروافد الثقافية التي أثبتت فاعليتها وأثرها عبر القرون في نقل الثقافات وتلاقحها.

إضافة إلى مساهماته الجليلة والجديرة بالإكبار والاعتزاز التي تمثّلت بأعماله العلمية والأدبية الأخرى في غير مجال الشعر فهناك الدراسات النقدية والتاريخية وأدب الرحلات والسيرة والقصة والرواية والمسرح.

ومن أروع كتبه كتابه (خيوط من الشمس)، وهو سفر خالد يقع بين مجلّدين، يعبّر فيه مؤلِّفه عن خلاصة تجربة حياته المليئة بالأحداث الجسام والمواقف العظام التي صبغت حياته وتركت أثرًا في مسيرته الطويلة الحافلة بالحلوة والمرّة؛ مسجِّلًا فيها رؤاه تجاه تلكم الأحداث بكل نزاهة وصدق.

من مؤلفاته: (أشباح الظلام) و(ومضات من وراء الغيوم) - مسرحية- و(أيام من الماضي) - كتاب نثري - الظاهر من عنوانه أنه في التاريخ (مخطوط)، و(أيام في لندن) (مخطوط)، ويبدو أنه في أدب الرَّحلات..

مسيرته العلمية ودوره التثقيفي:

أشرنا فيما سبق بأنَّ أستاذنا الكبير حضر على يد والده الإمام أبي الحسن الخنيزي قُدِّسَ سِرُّهُ والذي كان له الدور الأكبر في صياغة شخصيته العلمية وبناء ثقافته وصقل مواهبه ورسم مستقبله المشرق، فهو معلِّمه الاول وأستاذه الأعظم الذي ترك بصماته الواضحة في كل محطَّات حياته، وأستاذنا كان قد بدأ دراسته -كعادة أترابه في ذلك الزمن- على أيدي الكتاتيب ولمَّا يبلغ السابعة من عمره المبارك، وقد وفَّقه اللَّه وبرعاية أبويه من الاستفادة من الأستاذين الفاضلين الأخوين الشيخ محمد صالح البريكي قُدِّسَ سِرُّهُ والشيخ الميرزا حسين البريكي قُدِّسَ سِرُّهُ، اللذين كانا يديران أهم كتَّاب في محيط القطيف، فتعلَّم على يديهما كتاب اللَّه المجيد وفن الخط ومبادئ الحساب وشيئًا من دروس الأدب في الشعر العربي، واستمرت دراسته في

ذلك الكتَّاب أربع سنوات أرسى خلالها قواعد العلم والمعرفة، وبعد هذه الرحلة التعليمية في عالم الكتاتيب بدأ والده المقدَّس في تهيئته للالتحاق بالحوزة العلمية التي كانت آنذاك المركز الوحيد الذي يخرّج العلماء والمفكرين والمثقفين، فدرس قواعد اللغة العربية وعلوم البلاغة وأصول الفقه والمنطق وفقه آل محمد عليهم السلام على ثلَّة من العلماء الأفاضل كوالده المقدّس الخنيزي قدس سره والعلَّامة الشيخ عبد الحميد الخطي قدس سره والعلَّامتين الشيخ فرج العمران قدس سره والشيخ محمد صالح المبارك قدس سره، واشتغل -إلى جانب دراسته عند هؤلاء الأعلام- بتربية الطلاب وتدريسهم حيث كان منزله العامر مقصدًا لطلاب العلم والحقيقة يختلفون عليه للانتهال من نمير علمه وأدبه، حتى نبغ منهم عدد غير قليل من العلماء والخطباء والأدباء إضافة إلى شخصيات مهمة تبوَّأت مراكز مرموقة في أكثر من موقع من مواقع العطاء والإبداع، ويتعذَّر على الباحث إحصاء كل الأسماء اللامعة من خريجي مدرسته وممَّن استفادوا من مخزونه العلمي والثقافي بشكل مباشر أو غير مباشر، وممَّن هم ثمرة من ثمرات تلك الشجرة الطيبة التي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نارٌ والتي لا زالت تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

ديوانيته:

اعتاد أستاذنا الكبير (أبو علي دامت أيامه) ومنذ زمنٍ ضارب في القدم الجلوس في ديوانيته لاستقبال الناس يوميًّا على اختلاف طبقاتهم وتعدُّد مشاربهم ومآربهم، وهذا هو أهم ما يميِّز هذه الديوانية عن مثيلاتها من الديوانيات التي تنتشر في طول البلاد وعرضها، حيث إنها مقصد لكل الشرائح الاجتماعية والنخب العلمية والثقافية، فتجد فيها علماء الدين

وطلاب الحوزات العلمية والأدباء والشعراء والمفكرين ورجال الأعمال وأصحاب الاهتمام بالشأن العام من الناشطين الاجتماعيين وأبناء الشارع العام ممَّن يأنسون بهذه الأجواء ويتفاعلون مع كل ما يدور فيها، إنَّ كل هؤلاء يتفيَّؤون ظلال هذه الشجرة ويستظلون تحت سقف هذه الجامعة التي لا تسمح لأحد بالانصراف منها إلَّا بفائدة دينية أودنيوية أو كليهما معًا، ففيها تطرح المسائل الفقهية والكلامية، وبين أروقتها تثار النقاشات الأدبية في الشعر واللغة وفنون الآداب المتنوّعة، وفي جنباتها تسمع المطارحات الفكرية والفلسفية، وفي تلك الأجواء المفعمة بالودِّ والمحبَّة ينبري ذوو الحسِّ الاجتماعي والوطني لعرض القضايا التي تشغل أبناء المجتمع وتستحوذ على اهتماماتهم كالحديث عن الأحداث التي تعيشها الساحة بين الفينة والأخرى؛ وهذا هو سرّ نجاح هذه الديوانية ومحافظتها على تألُّقها وشبابيتها بالرغم من عمرها الطويل الذي يمتد لأكثر من سبعين عامًا، وبذلك تكون أقدم وأعرق ديوانية قائمة حتى كتابة هذه السطور، فبداياتها كانت في السنة الستين بعد الثلاث مائة والألف الهجرية (على مهاجرها وآله آلاف الصلاة والتحيَّة)، ونحن اليوم في أواخر العام الثاني والثلاثين بعد الأربعمائة والألف الهجرية، وهذه حالة تستوقف النظر وتدعو للتأمُّل وتستحق الدراسة وتبعث على التقدير والاعتزاز.

وهناك عنصر مهم -وهو أحد العوامل للنجاحات الكبيرة التي سطرتها هذه الديوانية- ألا وهو وجود القاضي العدل والحكم الفصل في مجمل ما يُطرح من نقاشات ودراسات لا سيَّما في عالم الشعر والأدب؛ الذي تمثّل في شخصية المترجم له أستاذ الجيل الكبير أبي علي محمد سعيد، فهو موسوعة معارف ورصيد تجربة ثرَّة وثقافة واسعة وأدب جمّ وشاهد حي على سلسلة

من العصور التي عاشها بحلوها ومرّها بربيعها وخريفها بمدها وجزرها، فهو بالرغم من أنّه (دام بقاه) قد ذرَّف على الثمانين إلَّا أنها لم تُحوجه إلى ترجمان، فهو يتمتع بذهنية شبابية متوقِّدة وحافظة نادرة وذاكرة حاضرة أهَّلته لأن يكون المرجعية الصالحة للحكم ولا سيَّما في موارد النزاع والاختلاف فيما يدور من مطارحات ونقاشات تتناول في مختلف الموضوعات بروح تتَّسم بالموضوعية والفكر الناضج والمذهب الحر الواعي الذي يشارك فيه كل ألوان الطيف الثقافي والاجتماعي: ﴿**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ**﴾[1].

وقد توّج كل هذه الإنجازات في حقول العلم والمعرفة بديوانه (إيحاءات سماوية) والذي أفرد كل قصائده في مدائح ومراثي وذكريات أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، وهو من شعر الولاء الصادق الذي يتدفَّق من ينابيع المحبة الخالصة والذي يجسّد العلاقة الوثيقة والرابطة الأكيدة بهذه الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، والتي تُؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وهو من الذخائر العظمى والوسائل الكبرى في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلَّا من أتى اللَّه بقلب سليم، وهل من وسيلة يبتغي بها العبد ربه أقرب من آل اللَّه وآل رسوله صلى الله عليه وآله وسلم؟ سفن النجاة التي من ركبها نجا وباب حطة الذي من دخله كان آمنًا، وهو شعر وجداني يفيض بعاطفة رقيقة وعشق مجنون يخرجه من هذا السجن الضيِّق عالم المادة والشهادة إلى عالم الغيب والرّوح؛ لتسبح روحه الشفَّافة المفعمة بحب آل محمد عليهم السلام في فضاءات اللا محدود واللا متناهي لانطوائه على العالم الأكبر وعلى حدّ تعبير شاعر

(١) الرعد: ١٧.

آل البيت عليهم السلام السيد محمد جمال الهاشمي:

ولاء آل رسول اللَّه يخرجني   عن الحدود فتنقاد الأمور هبا

نعم، لقد تحوّل شاعرنا الكبير في ديوانه هذا وبفضل معرفته العميقة وانتمائه الشديد وعشقه المجنون إلى شاعر متيَّم عارف ساهر في محراب العشق تلتذُّ روحه بذكرهم عليهم السلام كما يلتذُّ العاشق بذكر معشوقه، ويتلهَّف دائمًا إلى اعناق أرواحهم القدسيَّة؛ ولذا يلمس القارئ لهذا الديوان تلكم المسحة العرفانية والنزعة الفلسفية والعاطفة القوية في كل بيت من أبياته، ومن هنا جاءت قصائده كأحسن ما يكون عليه الشاعر من صفاء نفس وقوة تركيز ومشاعر متدفقة وألفاظ معبِّرة ومصورة لعشقه المقدّس لسفراء المحبة ورسل السلام (عليهم أزكى التحية والسلام):

يا من أتانا بالسلام مبشِّرًا   هشَّ الحمى لما دخلت إلى الحمى
وصفوك بالتقوى وقالوا جهبذ   علامة ولقد وجدتك مثلما
لفظ أرق من النسيم إذا سرى   سحرًا وحلو كالكرى إن هوَّما
وإذا نطقت ففي الجوارح نشوة   هي نشوة الروح ارتوت بعد الظما
وإذا كتبت مع الطروس حدائق   وشَّى حواشيها اليراع ونمنما

فإن كان من أثر سيخلد به هذا الشاعر ويفوز به في الدارين فهو هذا القريض؛ الذي قدَّمه قربانًا خالصًا لربه الكريم، متوسِّلًا بخيرة خلق اللَّه محمد سيد الأنام وأهل بيته الكرام الذين أذهب اللَّه عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيرًا، وحق له أن يتمثَّل بما أنشده أخوه شاعر الكلمة الجميلة العلَّامة الخطي قدس سره:

يُخلد ما شاء القريض وإنني   رأيت بناء السيف يدركه الردى

ولا أحسبني بهذه المقدمة المتواضعة أنني قد وفّيت هذه القامة الشامخة من رجالات العلم والأدب بعض حقها؛ إذ هو جهد المقل القاصر عن بلوغ قمم هامات الكبار من الرّجال، فأرجو أن يقع من اللّه سبحانه وتعالى ومنه موقع الرضا والقبول وأن يغضّ الطرف عمّا يقف عليه من خلل وتقصير:

فـإن تجد عيبًا فسدّ الخللا   جـلَّ مـن لا عيب فيه وخلا

﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾[1].

سائلًا المولى (جلّت آلاؤه) أن يمدَّ في عمر أستاذنا الكبير ويبارك لوطنه وأمته به وبأنفاسه إنَّه سميع قريب مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

جعفر آل ربح

أبو رضا

القطيف في ١٥/ ١١/ ١٤٣٢هـ

(١) يوسف: ٨٨.

١٦

محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي

سعود عبدالكريم الفرج

من شعراء المملكة العربية السعودية البارزين الذين أسهموا بدور رائد في تحديد الكلمة الشعرية شكلًا ومضمونًا وموسيقى، وقد تحدَّث عنه الأستاذ المبارك في رسالته التي حصل فيها على شهادة الماجستير[١] وعدَّه الدكتور طبانه من أعلام الشعر السعودي المعاصر[٢]. وحظي شعره بدراسة العديد من النُّقَّاد والباحثين حتى أصبح معروفًا في الأوساط الأدبية محليًّا وخليجيًّا.

وهو يتمتَّع بموهبة شعرية مبدعة وعاطفة صادقة تُعبِّر عن مآسيها ومآسي الآخرين بصدق وإحساس فتجعل متلقيها أكثر تعاطفًا وإثارة.

كان شاعرنا يشكّل مع رفاقه ما يشبه الرابطة الأدبية والتي ظلَّت تتدفَّق بالحيوية والنشاط عبر منتديات الخط حيث كان يديرها ويشرف عليها رعيل من رُوَّاد الحركة الأدبية الذين يتمتعون بثقافة لغوية بارعة ونقد بنَّاء

(١) الأدب المعاصر في الجزيرة العربية ج١ ص٣٦، ٨٩، ٩٠ للدكتور عبدالله المبارك.
(٢) أعلام الشعر السعودي المعاصر ج٢ ص ٣٢٩.

في طليعتهم الشيخ الخطي ممَّا أدَّى إلى صقل تلك المواهب ودفعها للتقدُّم للأمام، كان شاعرنا أحد تلك المواهب التي استطاعت أن تقدِّم رصيدًا شعريًّا حيًّا سوف يبقى شاهدًا على تلك الأجواء المفعمة بالحركة والنشاط الدؤوب، وقد كانت أول محاولة لشاعرنا بعنوان (عهد الطفولة) و(الحبيب المتألم)، أما بداية نضوجه وتحوُّله الشعري فهو في عام ١٣٦٠هـ. وفي عام ١٣٦٣هـ كتب قصيدته التي يصف فيها جمال الطبيعة، وجعل بينه وبين البدر حوارًا قصصيًّا:

أيـا بــدر عمت بهذا الوجود وشاهدت فيه فنون الصور[1]

ومحمد سعيد الخنيزي من مواليد القطيف حيث ولد في ٧/ ٧/ ١٣٤٣هـ الموافق ٢/ ١٠/ ١٩٢٥م فتربى في حجر والده الشيخ علي أبو الحسن الخنيزي الذي أخذ يرعاه ويوليه اهتمامه، وذلك لضعف بصره الشديد الذي كاد أن يقف حجر عثرة أمام نبوغه، غير أن اهتمام والده دفعه لمواصلة تعليمه ونشاطه الأدبي، وبعد وفاة والده وعودة أخيه الخطي من العراق أخذ يرعاه مثلما رعى لفيفًا من شعراء القطيف وأدبائها، حتى تمخَّض عن ذلك طبع أربعة دواوين شعرية تُعبِّر عن شاعر أصيل رسم معاناته وآلامه بصدق وإحساس، خاصة في ديوانيه (النغم الجريح) و(شيء اسمه الحب)، والذي لا يملك قارئهما إلَّا أن يتعاطف معه؛ لأنه سرعان ما يلاحظ عليه ذلك الطابع الحزين القاتم الممزوج بلوعة الأسى والحرمان وحرارة الوجد، ثم يأتي بعدهما ديوانه الثالث (شمس بلا أفق) والذي زخر بعدد من القصائد لا تقلُّ جودة عن سابقيها، أما ديوانه الرابع (مدينة الدراري) والذي اهتم فيه

---

(١) ديوانه (مدينة الدراري)، المقدمة بقلم ابنته فردوس.

اهتمامًا كبيرًا بمسقط رأسه عبر عدَّة قصائد اتَّسمت معظمها بالطابع التراثي، وسلط الأضواء فيها على عادات وتقاليد منطقة الخط بإسلوب مميَّز تجعل القارئ يقف مشدودًا أمام تلك الصور المتلاحقة من ذلك التراث الذي أوشك على الانقراض، خاصة في قصائده: «عروس الخليج»، «إلى قلعة القطيف»، و«إلى قلعتي الحبيبة»، وقد أضفت اللوحات الفنية التي ضمَّها الديوان روعةً وجمالًا لا يقلَّان عن روعة وجمال تلك القصائد، فجاء الخيال منسجمًا مع الواقع.

نشر العديد من إنتاجه في الصحف المحلية والعربية، وأُذيعت عنه عدَّة حلقات من الإذاعة السعودية وإذاعة الأهواز وإذاعة الكويت، وكتبت عنه عدة مجلَّات، وله -أيضًا- كتاب مخطوط بعنوان: (أضواء من النقد في الأدب العربي).

شارك شاعرنا في مهرجان الشعر العربي لدول الخليج العربية الذي انعقد في رياض سنة ١٤٠٨هـ، فكان له دور إيجابي في ذلك، مثل قصيدته «في ظلال عكاظ»، والتي منها:

موسم الشعر في ربيع الزمان ... طاف يسقي الزمان أحلى الأماني
ويعيد الحياة فكرًا جديدًا ... في عكاظ تمثَّلت للعيان
فوق أرض الرياض وهي رياض ... نبتة الفكر عبقة الريحان

التمزُّق النفسي والتبرُّم والتشاؤم والحيرة كلها سمات تبرز في معظم قصائد محمد سعيد الخنيزي، خاصة تلك التي تلامس واقع حياته:

لقد بعثر اليأس مني الرجا ... وعاثت يداه بغُصني الوريق
فكيف - وهذا القضاء العتي ... يبثُّ الشقاء بهذي الطريق

فمد القضاء -لعيني- يديه وألقى عليها ستارًا صفيق!
فظلت كعاطلة في الدُّنا ووسط عواصفه كالغريق[(١)]

أو كقوله:

لا...! لن أرى إلَّا حيا ة، ملؤها اليأس المرير!
في قلبها تتبعثر الأحـ ـلام، كالشيخ الضرير...!
فتموت فوق جفونها دنيا من الحلم النضير...![(٢)]

وتأخذ المعاناة دورها عند شاعرنا فلا يرى من زوايا حياته إلَّا هذا الواقع المؤلم الحزين الذي أضفى على شعره حرارة متنامية، فجاءت متفاعلة بصدق وإحساس:

عصرت فؤادي الحادثات فعاش مذبوح الرغاب
ذبحت مناي النائبات، ومات حبي في الشباب
ماتت على وتري أناشيد وغصَّت بالشراب
سكنت على أمواج حزن، مثل أمواج العباب[(٣)]

لكن الحرمان والكآبة والحزن والحسرات، والكوخ والجوع، الطوفان كلها صور تستدعي وقوف القارئ عليها من شاعر مغرق في الرومانسية، لكنه يجيد الوصف عبر خيال مجنّح تتجلّى فيه معاناة الإنسان في قصيدته (الدمعة الخرساء) التي استطاع الشاعر فيها بكل جدارة واقتدار أن يشدَّ انتباه قارئها عبر صور متلاحقة غلب عليها الطابع الإنساني الحزين:

---

(١) النغم الجريح ص ١٣.
(٢) النغم الجريح ص ١٠٣.
(٣) النغم الجريح ص ٨٠.

تلك الصبايا وسط كوخ مظلم ظلت تعوم بعالم الحرمان
تشكو إلى من لا يضمّد جرحها ويجفّف الويلات بالسلوان
تغفو على الآلام في جنح الدجى وتفيق في صبح كئيب عاني
وكأنها قد صـوّرت من قطعة فـي ليل حـزن قاتم الألـوان
تشكو... فتبكي أمها في لوعة وتصعّد الحسرات كالبركان
تبكي وحيدًا غاب عن آفاقها والكوخ ماج لصوتها الرنَّان(١)

وببراعة المصوِّر الفنان ينجح الشاعر محمد سعيد الخنيزي من التقاط هذه الصور المثيرة عبر بيتيه هذين:

والكوخ ماج كزورق في عاصف غمرته أمـواج كما الطوفان
والجوع يفتك بالصبايا... والشقا متمدّد في الكوخ كالشيطان؟(٢)

ويرثي محمد سعيد الخنيزي نفسه بقصيدة مؤثِّرة زاخرة بالوصايا خيَّم عليها الحزن والأسى، حيث أخذ الشاعر في رسم الجو الجنائزي الحزين بكل ما فيه من تناقضات وجزع واضطراب.

إن بـدا نعشي الـذي جلَّلته كبرياء الممات والأحـزان
فأنشدي خلف موكبي قطعات من قصيدي يرفُّ فيها جناني
ثم زوري المساء ضفتي الخضرا كهمس النسيم فـي الأفنان
ذكَّريها بأمسياتي اللواتي يتجاوبن كالصدى في كياني
حين كنا وأنـت نـور بجفني ومـعـيـن بقلبي للظمئآن
واقطفي وردة وميلي على القبر وأرويـه بالدموع القواني(٣)

(١) شمس بلا أفق ص ١٠٤.
(٢) شمس بلا أفق ص١٠٤.
(٣) النغم الجريح ص٣٠ - ٣٢.

وعلى هذا الوتر الحزين أخذ محمد سعيد الخنيزي يُردِّد آهاته من الأعماق قائلًا:

أسـفـا فـالـعـمـر قـد ضا ع - كـمـا ضـاع النظر

وأنا أقول عذرًا يا شاعرنا فإن عمرك لم يضع هدرا أو يذهب هباء بل سوف يبقى ذكرك خالدًا على مرور الأيام عبر هذا الإنتاج الأدبي الغزير الذي سوف يردّده قُرَّاء العربية جيلًا بعد جيل إن شاء اللَّه.

ومي هذه التي دبَّج الشاعر على تكرار اسمها واحتلَّت بيت القصيد في ديوانه (شيء اسمه الحب) هل هي التي ألهمته كل هذا الشعر الذي تفجَّر نبع قوافٍ فأنارت له الطريق؟ حتى غدت مصدر إلهامه ووحي بيانه. شاعرنا يجيب قائلًا:

يا مي! عهد قد تقضَّى في الهوى يا حبَّذا عهد الغرام الهاني!
هـذي ليالينا وذي أصداؤها طـوَّافـة رنَّـانـة بكياني
يـا مـيُّ ذكـراك إلَّا نغمة علوية الأصـداء فـي آذانـي
لم أنـسَ هاتيك الليالي إنها آفـاق الهامي ووحـي بياني(١)

وبعد أن تأخذ الحيرة الشاعر في قصيدته «دم في العظام» يعود محلِّقًا عبر هذا الغزل المعنوي الجميل:

نفحات الخلود في صوتك العذب ولطف الصبا، وشـدو اليمام
يا لصوت أرقَّ من نسمة الفجـ ـر وأنـدى من رِقَّـة الأنسام
يا لصوت في السمع مثل المز امير، وفي القلب نشوة الإلهام!(٢)

(١) شيء اسمه الحب ص٦٣ - ٦٥.
(٢)شيء اسمه الحب ص ٢١.

إن أكثر شعر محمد سعيد الخنيزي تفاؤلًا هو ذلك الذي يختصُّ بوصف الطبيعة، خاصة عندما يمزجه بنفسه، ويتجلَّى هذا من خلال هذا الحديث الرومانسي:

فكن أملًا أخضرًا كالربيـ ـع، فتورق دنيا، كدنيا الزهر
وكن نسمة حنان الربيـ ـع، تضمِّد -عطفًا- جراح البشر
وكن جدولًا يملأ الخافقيـ ـن، فيسقي قلوبًا ويسقي الفكر
وكن مشرقًا مثل بدر السما يضيء الحياة: شعاعًا أغر...!
فإن فؤاد الحياة الرجاء...! ولولا الرجاء غدت كالحجر...![1]

أما قصيدته «تعالي» فترى فيها نفس الملاح التائه/ علي محمود طه وما يغلِّفه من رومانسية، في قصيدته «القمر العاشق» يقول الخنيزي:

إذا ما غرَّد البلبل في روضته الغنا
وتاه بسحره تيها فخور ردَّد اللحنا

بينما يقول الملاح التائه:

إذا ما طاف بالشرفة ضوء القمر المضى
ورفَّ عليك مثل الحلم أو إشراقة المعنى

وتأتي قصيدته «عروس الخليج» رائعة قصائده في ديوانه (مدينة الدراري) بمثابة فيلم سينمائي متحرِّك، أو لوحة فنيَّة خلَّابة حافلة بالصور المتعدِّدة لذلك التراث الذي أوشك على الانقراض، فلم يبقَ منه سوى اسم لبعض الرموز والأطلال.

---

(١) النغم الجريح ص ١١٤.

سـفـن كـالـحـمـائـم الـبـيـض كالـ
ـأنجم تطفو على فـم الموجات
وأغـانـي الـنـهَّـام فـي الليلة القمرا
ء لــحــن يـسـيـل فــي الأنَّـــات
وأغـانـي المجداف في الموج أحـ
ـــلام ودنـيـا مـن عـالـم الأمـنـيـات
أين تلك الضفاف؟ أين القلوع البيـ
ـض، تسري كالنجم في الحالكات؟[1]

وبعد أن يصف الغوص وأنظمته وطرق استخراج المحار والمراحل التي يمرُّ بها حتى الحصول على اللؤلؤ الثمين نقف مع هذه الأبيات:

فــــإذا الــغــيــص فـــي يـــد الـمـو
ج، كالأحلام في عمق قعره المسجور
يـتـمـشَّـى فــي قــعــره مـثـل جن
بـيـن حــوت فــي عــالــم الأخــطـار
عائمًا فـي المياه تحت زئير المو
ج، بين الـرمـال، بين الـصـخـور[2]
يبحث الغيص[3] عن لآلئ في العمـ
ـــق، فـتـصـطـاد كـفُّـه الـمـحـارا

(١) ديوان (مدينة الدراري) ص ٧٤.
(٢) ديوان مدينة الدراري ص ٨٠ – ٨١.
(٣) الغيص هو الذي ينزل في قاع البحر بحثًا عن اللؤلؤ.

فــي يــديــه حــبــل يــشــدُّ بــه السيـ
ــــب[١]، فيلقى فــي موجه اعصارا
فـشـعـاع الـسـمـاء ألـقـى لـه الضو
ء، فـكـانـت فــي عـمـقـه أنـــوارا
فــإذا الغيص كـد جسمًا عـن البحـ
ــث، وضـاقـت أنـفـاسـه أخـطـارا
حــرَّك الحبل، كالنذير إلـى السيـ
ــب، فـيـلـقـي إشـــارة وشـعـارا
فــإذا السيب يسحب الغيص كالبر
ق سـريـعًـا يـشـقّـق الأسـتـارا[٢]

ينتقل شاعرنا إلى آفاق رحبة، ليشارك في قضايا أمته العربية لأنه يؤمن إيمانًا عميقًا بأن ليل المحتل لا يمكن أن ينجلي عن الوطن إلَّا إذا أشهر المقاتل سلاحه في وجه ذلك المحتل البغيض؛ لأن الاحتلال ليس مقدورًا حتميًّا على الوطن، بل بالإمكان دحره عن طريق التضحية والفداء؛ لذا أطلق صيحته مشيدًا بدور المجاهدين من أبناء فلسطين في العمل على تحرير أرضهم ومقدَّسات المسلمين:

صـوت الفداء يـدوِّي من فم اللهب
ليستعيد فلسطينًا إلـى الـعـرب
فــالــدم شـعـلـة أضـــواء مـقـدَّسـة
تضيء ظلمة هـذا الليل كالشهب

(١) السيب وهو البحَّار الذي يكون على ظهر السفينة ويسحب الغيص عند تلقِّيه الإشارة.
(٢) ديوان مدينة الدراري ص ٨٠ – ٨١.

يبني عليها الـفـدا مـجـدًا وتضحيةً
للخالدين خلود النجم والحقب
الـفـتـح فـي صـوتـه «فـتـح» يغلّفه
حلم من الغيب... أقباس من اللهب
أقحم -وُقيت الرَّدى- ميدان مغتصب
ودكّ صرحًا من التمويه، والكذب[1]

هذا هو الأستاذ محمد سعيد الخنيزي أديبًا و شاعرًا مجدِّدًا استقطب آراء النقاد و الباحثين، حتى غدا أحد أعلام الشعر السعودي وأحد شعراء العربية في العصر الحديث.

مختارات من قصائده

من أنت[2]

من أنت -يا نفسي!- ملاك طاهرُ؟ أم أنـت شيطان شقي قاهرُ؟
إني أراك مع الظلام ضحوكة فكأنك الصبح الطروب الزاهر!
وأراك في الصبح الجميل حزينة فكأنك الليلَ الدجيُّ الكافر!
وأراك أحـيـانًـا نبيًّا ملهمًا تُوحي الشعور فتستفز خواطر
صور تحرّك قلب شعب جامد فتصيخ آذان لها ومشاعر

****

وأراك في دنيا الخيال مليكة في عرشك الفضي ملك باهر

(١) ديوانه شمس بلا أفق.
(٢) ديوانه النغم الجريح ص١٧.

وأراك في أفق اضطراب ثائر   فكأنك البحر الخضم الهادر
وأراك في الأفق البعيد طليقة   فكأنما أنت الخيال السائر

* * * *

أفلت من سجن الجسوم وقيدها   وسموت بالشعر الذي هو طائر
إني أراك من التناقض صورة   حار اللبيب بها، وضل الشاعر

النغم المجرح[1]

اهدئي يا عواصف الأرزاء!   إن نار الشجون في أحشائي
اهدئي فالفؤاد قد شرب الحز   ن كؤوس من نارك الحمراء
عاد قلبي كحفنة من رماد   إن تحت الرماد جمر الشقاء
اهدئي، فالطريق مملوءة الأشواك   والليل غائم الأجواء

* * * *

اهدئي، فالفراغ ملء حياتي   فحياتي رتيبة الأيام
اهدئ، فالقضاء قد سكب الليـ   ـل بعيني، فحال دون مرامي
أنبت اليأس في طريقي شوكًا   إن دربي جمّ المخاوف دامي
منبع اليأس، والشقاء: «عيوني»   فعيوني مستودع الآلام

* * * *

هل أطيق الحياة، والأمل الحلو: ذبيح على شفاه الشباب...
... والكتاب الحبيب عند فؤادي   مثل قلب الظمآن عند الشراب؟!
كلما رمتُ أن أروي فؤادي   عدتُ منه بحرقة والتهاب

---

(١) ديوانه النغم الجريح ص٦٦ - ٧١.

مات لون الحياة في جفني الظامي إلـى منظر الـربـيـع السابي

❊❊❊❊

فـعـزائـي أن الـضـيـاء بقلبي سرمدي الإشعاع والإصباح
وعزائي أني شققت عباب الـ ـبحر -وحدي- في عاصف الأتراح
فعبرت الموج الغضوب إلى الشا طئ أرجو الرسو فوق النجاح
وطويت الـشـراع أبغي حياة غير دنـيـاي طلقة الأوضـاح

❊❊❊❊

فـإذا الأمـس حيَّة تنفث السُّمَّ كما كـان في الزمان القريب
وإذا الليل موجة تنشر اليأ سَ ضباب على فضائي الرحيب
والأمـانـي التي بناها فـؤادي هدمتها كفُّ القنوط الرهيب
منبع اليأس في حياتي عيوني فعيوني ينبوع يـأس عصيب

رأيتك...![1]

رأيـتـك مـن شـرفـة تنظريـ ـن فآمنت بالسحر: سحر المقل
وعــدت -ذهـــولًا- لأيامنا فـعـادت إلـيَّ طيوف القبل!
وعـادت إلـيَّ أماسي الشطو ط، وأحـلام قلب كثير الأمل

حيرة[2]

اتركيني في حيرتي وظلامي لا تثيري غـوافـي الأحـلام
اتركيني ولا تثيري جراحا ت لـيـالٍ على يـدي دوامـي

(١) النغم الجريح ص١٤٠.
(٢) شيء اسمه الحب ص ٤٩.

ملء عيني وملء قلبي سطور ناطقات عـمَّـا وراء اللثام
لا تغنِّي فـإن دُنـيـاي فيها حشرجات الموتى ووخز السهام
كـل دنـيـاي مـن عناء وبـؤس نسجتها كـفُّ الشقا بالظلام

****

اتركيني فإني -أنـا- كالطيـ ـف تراءى في صمته كالقبور
أنا -يامى!- واطئٌ فوق شوك وسط دنيًا من الظلام الضرير
الحياة - الحياة بين جفوني تـتـراءى كفحمة الديجور
إيه دنياي من نعيم العذارى وظلامي مِنَ الصباح الغضير
أيـن حقلٌ مـلـونٌ بالأزاهيـ ـر... لبيداء عريت من زهور

****

اتركيني ولا تُثيري همومًا في فؤادي كالنار ذات الوقود
لا تثيري قلب غفا فـوق آلا م حـيـاة مـلـيـئة بـالـقـيـود
أطفئي النور إن عيني لا تُبـ ـصر إلَّا ظـلام هـذا الوجود
أطفئيه فـإن عيني لا تُبـ ـصر إلَّا أطياف يـأس عنيد
ليتني لم أكـن وليت فـؤادي قد تعرَّى من حسِّه كالجليد

مزقيها

مزَّقيها

واحرقيها

أنت يا نار!

ذريها كالحطام

لم يعد قلبي مثل الأمـ

ـدس محراب هيام

إنما قد عاد قبرًا

فيه أشلاء رمامي

التجاعيد على وجهك

أودت بالغرام

شوَّهت صورتك البكـ

ـر وعاشت في القوام

نظرة حوَّلت القلـ

ـب إلى دنيا الظلام![1]

فاتحة

في أغاني الشباب ذوَّبت قلبي   في كؤوس، سقيتها الأحرارا!

ورسمت الحياة قطعة ليل   من مآسٍ، تلاحمت أخطارا!

وسكبت الأشعار في مسمع الدهـ   ـسر لحونًا، تُرقِّصُ الأحجارا!

وأذبت الصباح في مقلة الزهـ   ـر: نسيم، فضوع النوارا!

وسكبت النهار في مقلة الليـ   ـل، على الأفق، فاستحال نهارا

وحملت الإزميل، أحفر في الصخـ   ـرة: سطرًا، يُجسِّد الأسرارا

(١) ديوانه شيء اسمه الحب ص ١١٧ - ١١٨.

ولمست الجرح الرغيب، فثارت كبرياء، تحوَّلت إعصارا!
والظلام الكئيب غطَّى على الأفـ ـق، وألقى على الجمال ستارا!
ومسحت الجرح العميق ففاض الـ ـكوخ: تبرُا، و أكؤسًا مدرارا!
فبنيت الكوخ المبعثر: قصرًا صار للود: مهبطًا، وشعارا!
وأذبت الدموع في المقلة الـ ـعمياء: صبحًا، فَفَتَّح الأفكارا!
وخلقت الخيال: أفقًا إلى الرو حِ، فصار الجمال فيها إطارا..!
صور للخيال، أبدعها الفن -م- محاريب، قد بدت أنوارا[1]

مأساة أنسانية

سمعت بهمهمة في الظلا
م... وأبصرت خلف الضباب الكثيب:
طيوفًا مصوَّرة من شتا
ء، تكاد تبوح بسر رهيب...!
وقد لوَّح الخطب تلك الوجو
ه، فبانت إلى العين مثل المغيب!
أشباح حسن أرى في الفضا
ء، تطوف بهذا الوجود الغريب؟!
ففتحت عيني في دهشة...
فشاهدت طيف غريب عجيب...!

* * * *

(١) ديوانه شمس بلا أفق ص١١ – ١٢.

فـتــاة بـــروق الــشـبــاب النضيـ
ـــر، وفـــي ميعة العمر الـبـاكـر...!
تـــجـــرّر خـــطـــواتـــهـــا الـــواهـــنـــا
ت، وتبكي على حظها العاثر...!
وقــد ذوَّب الـسـحـر وقــع الخطو
ب، فحال مـن الثغر والـنـاظـر...!
أبـــــرد، وســـــلٌّ، وفـــقـــر عضو
ض، تجمع في الجسد الطاهر...؟!
ويـعـصـر فــي كـأسـهـا قـلـبـهـا...
فتطفح بـالألـم الـكـافـر......!
فـتـسـكـب دنـيـا دم مـــن فـــؤا
د، وتـقـذف مـن دمـهـا الـخـاثـر...!
دمـــــاء تـــقـــرِّب عـــهـــد الـــمـــنـــو
ن، وتسلِّم للمصرع الـغـادر...!

❊❊❊❊

قــد حـسـر الـعـري جـسـمًـا صقيـ
ـــلًا، فـلاح شبيهًا بميت الـــورود؟
وورد... ولـكـن بـأيـدي الخريـ
ــف، يساقطها عاصف كالرعود!
وتـــهـــمـــس، كـلـمـاتـهـا فـــي الـظـلا
م: أيـا ربِّ! لطفًا بهيف الـقـدود!

لقد ضقت ذرعًا...! فهل منقذي
من الجوع -يا ربِّ!- ولو بالوعود!
فمرَّ فتى، قد زهاه الجما
ل، وفي الجيب منه ترنُّ النقود!
فقامت تجرر أسمالها...
وتشكو له أزمة قاهرة...!
وتطلب لو كسرة من رغيـ
ـف، لتشبع جوعتها الكافرة...!
فلوَّح في كفه بالرغيـ
ـف، وقال لها كلمة «فاجرة»...!
سأعطيك أكلًا لذيذا شهـ
ـيا، لأروي شهوتي «الثائرة»...!
وأكسوك من: مخمل، أو حريـ
ـر، وتُمسين دميتي الساحرة!

****

فقالت وعضَّت بأسنانها
وأبدت له قبضة صارمة!
صهٍ أيهذا الذليل الحقيـ
ـر! ستلقى نهايتك القاتمة!!
أتطمع أن تستبيح العفاف؟!
محا اللَّه شهوتك الآثمة!

فـهـيـهـات! كـفّـك أن تـرتـمـي
على طُـهـر عفَّتي الـعـاصـمـة...!
سـأغـمـض عيني عـن ذي الحيا
ة، وألـقـى الـحـمـام لـه باسمة!

❋❋❋❋

سـأكـتـب مـأسـاتـنـا فـي الـفـؤا
د، وأحفرها في خفايا الـصـدور!
سـطـور مـن الـطُّـهْـر - مبيضة
تـسـجّـل قـصَّـتـنـا فـي الـدهـور!
فـيـقـرؤهـا كـل جـيـل جـديـ
دٍ عـفـافًـا، ونـبـلًا، كفجر طهور!
وسـيـرة وحـش حـقـيـر غـويٍّ
يـعـيـش -بـقـسـوتـه- كـالـنـمـور!
تـريـد الـفـريـسـة، تـحـت الـظـلا
م سـتـارًا، يُـواري ظـلام الفجور!

❋❋❋❋

وجـالـت بـعـيـنـيـن مـذهـولـتـيـ
ـن، تُـحـدِّق الأفـق الأزرق!
ومـدَّت إلـى الـمـوت منها اليديـ
ـن، وأغـفـت عـلـى حـلـم شـيِّـق!

وكـــانــت فــريــســة جـــوع ضــرو
س، وسـل -يهد الـقـوى- محرق!
وفــضــلــت الـــمـــوت فــي عــفَّــة
عــلــى جــنــة الأمـــل الــمــشــرق!
فــكــانــت كـــأروع أنــشـــودة
على شـفَّـة الأبــد الــمـطـلـق...![1]

الأحلام اليابسة

هــذي الــسُّــنــون تـكـدَّسـت نـحـوي كـــأوراق الشجر!
يـــبـــســـت بـــهـــا الأحـــلا م، وانـداحـت مآسي للبشر!
رســمــت عــلــى صفحاتها أحـــلام شـيـخ بـالـصـغـر!
ومضت شريطًا تعرض الـ ـماضي بـألـواح الـذكـر![2]

الدم أقوى من الرصاص

سمعت زئيرك مثل الأسـود يُـدوِّي بسمع الدُّنا كالرعود
وزعـقـات جرحك فـي ثـورة تمدّ الضحايا دمًـا من وقود
نزيف الجراح صدى للحياة ويهتف بالثأر ثـأر الشهيد
وتلهب عـزم الشباب الفتي بـراكـيـن ثـائـرة فـي الـوجـود
بــراكــيــن لكنها مــن صمو د، تثور على قطع من حديد
فهبَّت كعاصفة مـن رمـل، ونـــار، تـوقـد وسـط القيود
فــتــهــزأ بالغاصبين البغاة وتسخر من فتكات الجنود

---

(١) ديوانه شمس بلا أفق ص٢٥ - ٢٩.
(٢) المرجع السابق ص١٣٥.

وحـوش على صـورة من قرو د، تعيش على زبد من وعود
وأطفالك الزُّغب مثل القطا يـذودهـم الجند قبل الـورود
فـيـا أمــل الـثـائـريـن الأبــاة كفاحك فجر يشق الظلام
وأطفالك الزغب في كفَّها حـصـاة تفجر مثل الحمام
حـصـاة كقنبلة فــي الأكــ ـف، تفجر من لهب في العظام
وأعــزل أنــت بـدنـيـا الكفا ح، سلاحك صبر بوجه الطُّغام
سـلاحـك أطفالك البرعما ت، يفتحها مدفع أو سهام
فتنبت شـوكًـا بعين العد و، وتزرع في القدس أحلى سلام
فـيـا مـدفـعًـا لـوقـود الـورو د، يحول مدفعها من حطام
رصاصتها صمتت في اليديـ ـن، وعادت طيوفًا لها من زؤام
سـلاح الحجارة أمضى سلا ح، وأفتك من مدفع أو حسام
إذا لـبـس الـعـزم فـي طيِّه وثــار جـبـابـرة مـن رُغــام[1]

---

(١) ديوانه مدينة الدراري ص١٢٣ - ١٢٧.

١٧

محمد سعيد الخنيزي

سعود عبد الكريم الفرج

الأستاذ/ محمد سعيد الخنيزي واحد من الشعراء السعوديين الذين نالت تجربتهم اهتمام النقاد والباحثين حتى عده الدكتور (طبانة) من أعلام الشعر السعودي المعاصر وتناول الدكتور المبارك مقاطع من شعره في رسالته الماجستير وكتب عنه الكثير وتعرضوا لشعره دراسة وتحليلاً ، ذكرته في كتابي (شعراء مبدعون من الجزيرة والخليج).

وأكثر ما يشدني إلى هذا الإنسان أنه لم يتوانَ في إخراج أعماله رغم ظروفه الصعبة فتعرضت للنقد الذي تقبله بصدر رحب مما أدى إلى تألقه على بعض أترابه الذين نأوا بأنفسهم إما خوفا أو هربا من النقاد ، لقد كان الخنيزي شجاعاً بهذه الخطوة فاستحق هذا البروز والاهتمام.

والخنيزي شاعر أصيل رسم معاناته بصدق وإحساس خاصة في ديوانيه (النغم الجريح) و(شيء اسمه الحب) والذي لا يملك قارئهما إلا أن يتعاطف معه لأنه سرعان ما يلاحظ عليه ذلك الطابع القاتم الممزوج بلوعة الأسى والحرمان وحرارة الوجد ثم يأتي بعدهما ديوانه الثالث (شمس بلا أفق) والذي زخر بعدد من القصائد التي لا تقل جودة عن سابقيها، أما

ديوانه الرابع (مدينة الدراري) فقد اهتم فيه اهتماما كبيرا بمسقط رأسه عبر عدة قصائد اتسمت بالطابع التراثي وسلط الضوء فيها على عادات وتقاليد منطقة الخط بأسلوب مميز وصور متلاحقة من ذلك التراث الذي أوشك على الانقراض.

ورغم إغراق شاعرنا في الرومانسية لكنه يجيد الوصف عبر خيال واسع تتجلى فيه معاناة الإنسان وما يواجهه من إحباط وأسى خاصة في قصيدته (الدمعة الخرساء) ورغم ذلك الواقع المرير والظروف المحبطة التي كادت أن تقف حجر عثرة أمام نبوغه إلا أنه استطاع أن يتألق ويترك بصمات واضحة في محيطه ويشارك في أحداث أمته العربية ومآسيها. وهذا حال الموهوبين والنوابغ لايقنعون بما يقدمون من أعمال بل هم يطمحون إلى المزيد من التفوق والإنتاج كمثل شاعرنا هذا الذي أخذ يردد آهاته من الأعماق قائلًا:

أسفا فالعمر قد ضاع كما ضاع النظر

وأنا أقول عذراً يا شاعرنا فأن عمرك لم يضع هدراً ولم يذهب سدى بل سيبقى ذكرك خالداً على مر الأيام عبر هذا الإنتاج الأدبي الذي سوف يردده القراء جيلًا بعد جيل إن شاء اللَّه.

ختامًا شكرًا لكم جميعًا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٨

محمّد سعيد الخنيزي
المولود سنة (١٣٤٣هـ)

الشيخ علي المرهون

الأديب الفذّ، محمّد سعيد نجل العلّامة الشيخ علي أبي الحسن الخنيزي. شاعر عبقري ومفكّر حر، ذو آراء كثيرًا ما يصيب بها أهدافه، بل أهداف غيره؛ إذ يمتهن المحاماة حاليًّا. دمث الأخلاق، خفيف الروح، له مكانته الهامّة في مجتمعه، وشخصية بارزة في وطنه.

الفَصلُ الثَّالثُ

تكريمه في منتدى حوار الحضارات

1

الأديب المربي: محمد سعيد الخنيزي

هيئة التحرير

عندما تترجم لشخص أو تحتفي به فإنما تتحدث عن عطاء أو إبداع أو إنجاز، فتبرز ما يمكن إبرازه للمترجم أو المحتفى به، بيد أن الحديث عن (محمَّد سعيد بن الشَّيخ عَلِيٍّ بن حسن بن مهدي الْخُنيزيُّ) المولود في التاسع من شهر رجب من عام ١٣٤٣هـ الموافق ٢/ ٢/ ١٩٢٥م، لا يمكن أن يكون بمنأى عن أسرة وآل الخنيزي الكرام. هنا ليس ليضاف إليه من رصيد مليء ودسم لعائلة كانت ولا تزال نجيبة من الرجال مختلفي ومتنوعي العطاء، بدءًا من الديني والسياسي والأدبي والزعامي الخ.

إنما يمكن القول بأن الأستاذ أبا علي الخنيزي قدَّم، بل أضاف صورة مميزة ومشرقة لعائلة الخنيزي.

صحيح إن محمد سعيد الخنيزي نقدمه في عدد الواحة اليوم بصفته أديبا شاعرا، ومن أرومة علمية وأدبية عريقة، لكن محمد سعيداً الإنسانَ النبيلَ هو أقوى من ذلك الأديب الشاعر، كيف لا وقد حافظ على تواضعه ونبله وبشاشة محياه للآخرين بلطف وعناية. هذا ما ينبغي أن نعرفه أكثر من هذه الشخصية المحتفى بها في ملف الواحة هذا. الذي هو عبارة عن كلمات

إشادة يرقى بعضها إلى دراسات جميلة في نموذج من الأدب القطيفي الذي هو جزء من الأدب العربي.

في حفل التكريم الذي سعدنا به في ليلة مقمرة بصاحبها في منتدى (حوار الحضارات) بمنزل الأستاذ فؤاد نصر الله، كرَّمت القطيف بارًّا من بررتها الذين كنا ولا زلنا نعتز بهم. ومع صدور هذا العدد سيكون الساحل الغربي من الوطن قد كرَّم الخنيزي، أيضا، في اثنينية الأستاذ عبد المقصود خوجة في جدة حيث رجالات وأدباء الوطن وخارجه يحتفون دوما بالرواد. فشكرا لهم لهذه اللفتة التي هي امتداد للفتات وطنية صادقة ورائعة من أهل الصدق والوفاء أهلنا الأعزة في الحجاز الحبيب.

يترجم على استحياء وخجل محمد سعيد الخنيزي نفسه هنا وهناك فيقول: «ولدتُ فِيْ (٩ رجب ١٣٤٣هـ، المصادف ٢/ ٢/ ١٩٢٥م)، ودرجتُ على هذا الكوكب تحت رعاية والدي الشَّيخ علي أبي الحسن الخنيزي الذي كان مرجعًا وقاضيًا لجميع المذاهب مِنْ سنة وشيعة، ويرضون بحكمه. أُصبتُ فِيْ السادسة مِنْ عمري تقريبًا بأثمنِ كنزٍ فِيْ حياتي، وهيَ عيني، التي تعكسُ طبيعة الحياة، ومناظرها الجميلة، وعندما بلغت السابعة مِنْ عمري، أدخلني أبي الكُتَّاب؛ لأنَّ ذلك الظَّرف لا توجد فيه مدارس على منهجية المدارس الحديثة اليوم، وكان هذا الكُتَّاب قمَّة الكتاتيب فِيْ ذلك العصر، ويديرانهُ ويتعاقبان عليه الأخوان فضيلة الشَّيخ محمد صالح البريكي صباحًا، وأخوه الشَّيخ ميرزا حسين مساءً، وهذا الكُتَّاب يُعلِّم كتاب الله، ونمطًا من الخطِّ، وضربًا من أنواع الحساب، ويسمى بالجمع والطرح والضرب والقسمة، الذي هُو بعض دروس الرَّياضيات اليوم، كما يعطي

لونًـا من الشعْرِ العربـي، وقَدْ خرجت من هذا الكُتَّاب بعد أنْ اجتزت مراحله التَّعليميَّة، وتعليمي كان غيبيًّا عَنْ طريق الحفـظ القلبي، لا البصري. خرجـت منهُ وأنَـا أبلغ الـثَّالثة عشـر، وبعد فترة هيأني والدي للدِّراسة، لأتخصص في العلوم الدِّينية، فدرسـت قواعد اللُّغة العربية، كما قرأت بعض الكتـب العقلانية والفلسفية، وقرأت كتب البلاغة، كما قـرأت شريحة من كتب الفقه وأصوله، وفوجئت – وأنا في ربيع الدِّراسة، وقبل اليفاعة –بموت والـدي فكان لموته انحسـار، كانحسار الرَّبيع عَنْ الورد، فأصبحت كالحقل الذي جفَّ ماؤه. وبرغم ما عانيته من الثالوث غير المقدس: «الفقر، وإصابتي بالعين، وفقد أبي» واصلت دراستي العلميـة،

امتهنت عملاً حراً غير مرتبط بدائرة أو مؤسسة، وهو المحاماة، وهيَ المرافعة في القضايا، التي تنظر فيها المحاكم الشَّرعية.

لقَدْ مررتُ – في هذه الحياة – بمواقفَ مؤلمة، و مفرحة، ولكن أخطر موقف مررت به – في رأيي – واتخذت فيه قرارًا حاسمًا بعد أنْ مرَّت عاصفـات من التردد بأفق نفسي، وحيـرة تكتنفها شكوك من الضَّباب، ولكني – في النهاية – أصدرت قراري النهائي وتركـت دراستي العلمية لأنزل إلى ميدان العمل «المحاماة» من أجل الكسب على عيالي؛ لكيلا أعيش عالة على المجتمع».

انتهت الترجمة المختصرة المختارة للأديب الخنيزي بحكمة، وموقف ما أروعه عندما يقول: «لا أريد أن أكون عالة على المجتمع، وقد كان له ذلك، وها هو مجتمعه اليوم يعطيه، لكن ليس مادة، ولا مالا بل حبًّا، وتقديرًا يستحقه محمد سعيد الخنيزي، وكل من هو مثل محمد سعيد الخنيزي.

٢

الأديب المربي

أديب محمد سعيد الخنيزي

الحديث عن شاعر وأديب عملاق في هذه العجالة ليس من الأمور السهلة؛ لأنني لن استطيع أن أوفِّيَه حقه، وسوف أغرق في بحور شعره، وأتيهُ في خياله المجنَّح، وأحلق في سماء رومانسيته الشاعرية التي اقتصرها على المرأة، وجعل لها خصوصيتها واحترامها بما فيها للكلمات من معنى، وإني لأقف حائراً في مدرسته التربوية الواسعة.

إنه لموسوعة وكنز من العلوم والمعارف الأدبية والفكرية والاجتماعية والتربوية، بل يصدق القول عليه: إنه «أمة في رجل»؛ لذلك آثرت أن أسلط الأضواء على بعض منهاجه التربوي وخاصة مع أقربائه وأبنائه.

ماذا أقول في أديب وشاعر قدير طوَّع الحرف، وثُنِي له اليراع ليسطر لنا نماذجَ أدبيةً واجتماعية وتربوية في مؤلفاته على مدى ستة عقود من الزمن.

إنه كمثل الشمعة التي تحترق لتضيء الدروب للآخرين. أديب وشاعر قدير يحمل المشاعر النبيلة الصادقة المنبعثة من القلب و(ما خرج من القلب وقع في القلب).

تلك المشاعر ترعرعت وتأصلت في نفسيته وذاته، وانعكست على سلوكه ومنهاجه التربوي في التعامل - بصدق وإخلاص - مع الناس ومع أقاربه وعائلته. ذلك التعامل الراقي الصريح بدون نفاق أو شقاق. يشهد له الداني والقاصي، الفقير والغني. ديدنه التواضع والحلم والأخلاق العالية التي تربى عليها، وتغذى بها صغيراً ويافعاً، والتي استمدها من معين مدرسة والده الشيخ علي أبي الحسن الخنيزي، فهو لا يرد من يقصده - قريبا كان أو بعيدا - في خدمة أو مشورة أو إصلاح ذات بين في إطار إمكاناته ومهاراته وحكمته بتطبيق فنِّ الممكن.

إنه، فعلاً، المربي الفاضل العادل، صاحب القلب الكبير، الذي يحنو على الصغير والكبير من إخوانه وأبنائه وأحفاده وأصدقائه. يتفقدهم، ويسأل عنهم، ويصلهم محبة ومودة ووفاءً.

لقد استمتعنا - مع سيدي -الوالد بطفولة عذبة مرت وكأنها بالأمس القريب، يلعب معنا، ويمازحنا في أوقات المزح ويرأف بنا عند الرأفة، ولكن كان حازماً عند الحزم، يشتد علينا عند ما يتطلب الأمر ذلك. وأتذكر مقولته لنا: «العصا لمن عصا» ولكنه نادراً ما يستخدمها. يجمعنا مع أبناء العمومة، ويضع لنا برامج مفيدة ومسابقات تعليمية يحصل الفائز منا فيها على بعض النقود، لا يفرق بين الأخ وأخيه، ولا بين الأخت وأختها، ولا نشعر بأن عاطفته مالت، أو غمرت واحداً دون آخر. يغدق علينا جميعاً بالتساوي بما تجود به يده، وحسب إمكانياته المتواضعة، دائم الحث الشديد على العلم والتعلم، ويكرر علينا المقولة: «العلم في الصغر كالنقش في الحجر»، وكان يردد علينا كثيراً في جميع المراحل الدراسية مقولة للإمام علي عليه السلام: «ورث لأبنائك علماً ولا تورث لهم مالاً»، لم نسمع منه كلمة نابية أو مشينة قط، ولا

يستخدم الشتم في تربيته على الإطلاق مهما كان نوعه.

وكذلك قضينا معه فترة المراهقة بأريحية عالية لا يشوبها تعقيد ولا كدر، مع أنه كان في هذه المرحلة شديد الحذر علينا فيما نروح ونغدو، فهو كالمظلة التي ترافقنا أينما كنا، بقلبه وعقله ولسانه. يقرأ النفسية، ويستشف ما في داخلنا، ويتحدث معنا كأخ وصديق أو كعالم نفساني يعالج الأمور بعقلانية وروية، ويضع الحلول العملية بطرقه التربوية. يضمد الجراح، ويواسي رحمه في الأسية.

أتذكر تلك الأيام وأقول: الحمد لله، إنه، فعلاً، كان منهجاً ناجحاً «صدق والدي».

وبالنسبة لوالدته - رحمة الله عليها - كان الابن البار الذي تحمل مسؤولياتها، وحملها على ظهره في الشدة والمرض بدون كلل أو ملل، وهو مثال الزوج المخلص الحنون لزوجه أم علي (رحمة اللَّه عليها) عُني بها عناية فائقة، وسطر فيها قصائد كثيرة. أما بالنسبة لإخوانه وأخواته فحدث ولا حرج. كان لهم الأب والأخ والصديق الوفي والمستشار. ذاب فيهم إخلاصا، وقدم نفسه وماله خدمة لهم، وكان أباً حنونا مربيا لأخيه أبي نسيم، والركن الحصين واليد اليمنى لأخيه العلامة الشيخ عبد الحميد الخنيزي الخطي (رحمة اللَّه عليهما)، ولا يزال كذلك لأخيه الشيخ عبد الله الخنيزي حفظه اللَّه.

ولا زالت الجلسات مع سيدي الوالد مستمرة حتى يومنا هذا - أطال الله في عمره، وحفظه لنا سنداً وذخرا - كل يوم نحيط به حبًّا واحتراماً وأنسا، ويحيط بنا كنزاً من العلم، ومدرسة من المعرفة، وخلقاً رفيعاً، وحكمة، وحناناً رقيقاً وودا. يغمرنا بحنانه الدافئ، ومشاعره الفياضة، من الكبير إلى الحفيد، وأبناء الحفيد، يعرض على ابنائه وأحفاده ما يكتب من نثر وشعر قبل الطباعة

الأخيرة؛ ليعلمهم ويشاركهم الرأي، ويستأنس بآرائهم، فتدور نقاشات لغوية وفنية يستمع ويصغي لهم بصدر رحب ويناقشهم بكل أريحية. يصغي لنا، ونسمع منه، فننهل من معينه، ونستفيد من غزير علمه، وكم من مرات احتدم النقاش في جو من المحبة والاحترام! نرجع فيها للمنجد، وكتب اللغة كفيصل للنقاش إذا ما توصلنا الى القناعة أو كان هناك اختلاف في الرأي أو عدم يقين.

يطول الكلام، والحديث ذو شجون، ولا يسعني إلا أن أقبِّل جبين والدي بكل تقدير ومحبة واحترام، وأقول ألف مرة: الحمد للّٰه والشكر له بأن تربينا تحت كنفه ورعايته. و نسأل اللّٰه أن يمن عليه بالصحة والعافية، ويمد في عمره ليواصل مسيرته الأدبية والفكرية والتربوية؛ لتكون نبراساً شامخاً ينهل منه، ويستقي كل من يريد أن يرتوي من خبراته ومواهبه وإبداعاته في هذا المجال. فله من المؤلفات أربعة وعشرون كتاباً، تسعة منها شعراً، وخمسة عشر كتابا منها نثراً[1]، وعدة مقالات نشرت في مختلف الصحف والمجلات المحلية والخارجية، ودراسات أكاديمية في شعره، ومن الخبرة في الحياة والتربية والمحاماة ما يربو على الأربعين سنة، ومنتداه مفتوح على مدار العام، يوميًّا، يقصده الكبير والصغير الغني، والفقير المتعلم، وغير المتعلم، يستقبلهم بصدر رحب واسع، وتدار في المنتدى مختلف النقاشات الأدبية والفكرية، ومختلف المواضيع الاجتماعية، ولاسيما في ليالي شهر رمضان المبارك حيث يكون صالونه الأدبي عامراً بمختلف الأدباء والعلماء، يتداولون الرأي بنقاش علمي مدعم بالحجة والمنطق.

(١) له ثمان وعشرون كتابًا، طبع منها أربعة وعشرون، وبقيت أربعة مخطوطة، وهي:

١- أحداث تاريخية. ٢- القضاء بين عهدين.

٣- أيام من الماضي. ٤- الحرف لا يموت.

٣

الجانب الاجتماعي في شخصية الخنيزي

عباس بن رضي الشماسي

إن الإنسان نقطة من نقاط هذه الحياة، وفاصلة من فواصلها البسيطة المعقدة، ينطلق رغوة في موج بحرها الخضم، فينحل في بحرها اللجِّيِّ الواسع الأرجاء.

فلا يعتبر عمر الإنسان بالمدة الزمانية التي قضاها على هذا الكوكب، وإنما هي بما أنتج وترك من آثار فكرية، وأعمال صالحة، وذكرٍ حسن، جميل، تتردد أصداؤه، ويدور مع الأزمان، ويهتف ببني الإنسان، في إرشادات ضوئية، تضيء هذه العتمة، وترشد السائرين، فهو كالمنار للسفن الذاهبة والآيبة في هذ الحياة.

ما مضى شذرات سطرها الأستاذ الوالد محمد سعيد الخنيزي في خاتمة رائعته (خيوط من الشمس)، وهي مصداق لشخصية أستاذنا أبي علي، أطال الله في عمره، ويمكن تلخيصها في أن «قيمة كل أمرئ ما يحسنه».

نشأ الأستاذ محمد سعيد الخنيزي في كنف أسرة لها في تاريخ القطيف سجل حافل في العمل الوطني، وعالم الفقه والأدب، حيث برز فيها الإمام

الحجة الزعيم الجد الشيخ علي أبو عبد الكريم الخنيزي، والإمام الحجة الشيخ علي أبو الحسن الخنيزي، فتربى الأستاذ في حجر والده الكريم، ونشأ نشأه تحفها الرعاية والحب، ونهل العلم والادب والحكمة من هذه المدرسة الفاضلة، وبالعزيمة والإصرار قاوم البؤس والضعف، وبالأمل والإيمان عاش حياةً مليئة بالحب والمودة لأهله ووطنه كالنهر المتدفق بالماء العذب على هذه الأرض المعطاء.

ولم يكن الأستاذ أديباً بارعاً وشاعراً ملهماً وحسب، بل كان محامياً لامعاً في سماء القضاء، ونائباً للمجلس البلدي لعدة دورات، وشخصية اجتماعية من الطراز الأول، شاركت في الوفود الوطنية، والمناسبات الأهلية بمعية الرعيل الأول من رجالات الوطن، أمثال الحاج علي أبو السعود، والشيخ حسن أبو الحسن الخنيزي، والشيخ محمد علي الجشي، والحاج أحمد سنبل، (يرحمهم الله تعالى) جميعاً، وغيرهم من الرجال الذين دأبوا على الدفاع عن قضايا الوطن، وتلمس احتياجات المواطنين.

وها هو ناديه الأدبي الاجتماعي ينعقد عصر كل يوم من أيام السنة، وفي ليالي شهر رمضان المبارك حيث يجمع ثلةً من المثقفين والأدباء وعلماء الدين والشخصيات الاجتماعية من جميع الأجيال والتوجهات ولا يزال عطاؤة متدفقاً مستشعراً قساوة الحياة على من ضاقت بهم سبل العيش، وهو يقول في (شمس بلا أفق) مستشعراً حال الضعفاء:

«ضاق هذا الفضاء بالبائس العا
ني وهذا الفؤاد رهن الشقاء»

وفق الله الأستاذ، وأطال الله في عمره، خادماً لمجتمعه ووطنه ولسان

حاله كما عبر هو عن نفسه وفي ديوان (مدينة الدراري):

«سأظل كالنهر الطروب يضاحك الأنوار ثغراً
يسقي الصحاري والحقول فينبت الأحلام زهراً»

٢١ شوال ١٤٣١هـ.

مركزية النهد في (شيء اسمه الحب)
قراءة في ديوان الشاعر الكبير محمد سعيد الخنيزي

رائد أنيس الجشي

لا أعلم لماذا اخترت الحديث عن هذه المجموعة

ألأن المنحنى الرومانسي جذبني وأعادني إلى حالة الوله الأولى بشعراء أبوللو؟

أم لأنه طُبع مصادفة أو قدرا في ذات السنة التي ولدت بها، (١٩٧٦)، في زمن ساد به الشعر المناسباتي الديني والتعليمي في تصوري؟

أو لعلني كنت أبحث عن شيء ما اسمه الحب؟

لماذا النهد؟

لاحظت تكرر مفردة النهد في المجموعة بشكل كبير، وليست الغاية من القراءة هي سؤال الكم والعملية الإحصائية للأفعال، ولكن السؤال الأهم في الورقة هو: لماذا النهد؟ وما هي فلسفته؟

حين نحاول تجاوز سطحيات زمان أبي نؤاس في قراءة دلالة النهد

بشعر الخنيزي نجد أنها تتكون من أربعة أبعاد تحتوي نهديات أبي نؤاس في جزء ببعد واحد منها، إلا أن هذه الأبعاد الأربعة متكاملة، وغير مستقلة. فلا يمكن أن يقوم أحدها بذاته دون التعاضد مع الآخر، وهي الإغراء، العطاء، ذكرى الشباب، الخلود.

فالنهد – ذلك الذي ينمو ليدل على النضج، ثم يذبل ويتغضن ليسجل مراحل الحياة المؤنثة للأنثى، الأرض، الكون – يمثل مراحل التبدل والتحول والمحافظة عليه بضًّا معطاءً في صورة النص تعني المحافظة على الحياة اليافعة الثرية، فهو قيمة جمالية فوقية، وفقده يسبب حالة نقص وتوتر، ويولد احتياج قلق يبعد الشاعر عن هدفه الأسمى؛ ألا وهو الخلود حبرًا وورقًا، خلود حبر، أو نقش حققه جلجامش صدفة دون أن يكون غاية سعيه الأولى في بحثه عن الخلود، ولذلك تكون الذكريات الجميلة دائمًا متعلقة بالعلقة مع النهد، إما بصورة طفولية كحاجة للغذاء والحنان، أو رجولية على شكل احتياج للعلوي الآخر لتلك العاطفة المؤنثة المفقودة من حنان وإغواء وشباب، والتي يعجز أن يكوِّنها دون ذلك العلوي النهدي، وكأن الرجل لا يمكن أن يكون حنونًا لافتقاره إلى ذلك النهد، ولذلك تظهر الأنثى الرمز (مي).

مي الرائعة، القديسة في العشق، الصعبة المنال، التي يحتاجها بطل النص للحياة السعيدة، فتشكل النهد في خواصه البعدية، ثم تندمج معه في نهاية الديوان لتشكل عاطفة مؤنثة أخرى هي الأنثى (نهاد) التي تصبح – في آخر قصيدة من الديوان – (ناهد)، وهذا الاسم الأخير مشتق من النهد العلوي، ويحمل صفاته الممجدة، وماله من دلالات الفوقية.

ولذلك يعيش بطل البوح رجولته كطفولته ككهولته في احتياج دائم لذلك العطاء والحنان والفتنة، يفتقر إليها ويلجأ إلى الذاكرة محاولة لإحيائها، ولو على شكل طيف، معتمدًا على الثقافة البصرية لبناء لبنات البوح ثقافة تستمد من موسيقى النصوص الهادئة والعذبة قوتها حتى في أقسى حالات الألم. فهي تستدعي الآخر الأجمل المرئي، محاولة إعادة إحياء النبض في الذاكرة مع الوعي التام باستحالة تكون تلك التصورات المتلاشية إلى مصاديق، واقعية في المستقبل أو الحاضر. تتحدث عن الجمال بدلالته الذاتية التشخيصية كالأنثى المحبوبة، أو الأنثى الرمز، وتتنوع القوافي أحيانا في النص، وترتكز على القص في الكثير من جوانبها كحالة شعراء أبولو، وتمتزج الواقعية بالخيال الحقيقي، أو المجازي؛ بسبب تلاشي الواقعي الماضي حد نسيانه، أو بسبب اختلاف تلقي الرؤية بسبب ما طرأ على حاسة التثقيف البصري من تغيرات تحيل الضياء إلى ظلام، وتثير به الحنين إلى القديم الأفضل، فالذكرى وتشكلاتها تشكل الثقل الأساسي في النصوص، وترتكز عليها كل التحولات والجماليات على ذات الشاعر، أو الوسط المحيط به يعرج بها النص، وينقلب تنويريًا في حالات الفرح والحزن والحرمان، حتى أنها تسربت إلى عناوين النصوص مثل: (ذكرى)، (أشواق)، (ظلال ذكرى)، (ذكريات)، (هل تذكرني؟).

يقول مثلا:

«ذكرتك والبدر ملء الفضاء   يـرصـع هـام الـربـى بـالـدرر
ذكرتك حين رشفت الرحيق   من النهد غِبَّ انسكاب المطر»

وينهي النص ببيت لا يطالب المحبوب بالعودة، بل يجسد يقينية

الغياب، وتجلي ومضة أمل

«وران على الكون صمت عميق ... سوى نغمة بدرت من وتر»

ويقول مثلا:

«الكون أطبق جفنه في هدأة ... وسرى به نفس الربيع الحاني
والبدر يرقبنا أذاب شعاعه ... في صدرك البض الذي أغراني
ألهو بنهديك اللذين تواثبا ... في صدرك الفتان كالرمان
كم قبلة ذهبية أفضت بها ... شفتاك للقلب الخفوق العاني
ذكرى من الماضي الجميل، وأنة ... أصداء قلب خافق ولهان»

ثم يختم القصيدة بـ:

«يا مي ما ذكراك إلا نغمة ... علوية الأصداء في آذاني
لم أنس هاتيك الليالي، إنها ... آفاق إلهامي، ووحي بياني»

والأبيات السابقة تفلسف النهد كما أشرنا إليه، وتوضح قيمته العلوية كـ(مي) الرمز، وأنه الذكرى المؤثرة التي يحاول الشاعر الحفاظ عليها؛ ليحافظ على استمرارية العطاء الشعري وخلوده.

وفي الأبيات التالية يوضح العلاقة بين خلوده الشعري باحتياجه إليها يقول:

«لا تقولي إن الحياة ستطوى ... ويموت الغرام شيئا فشيًّا
وتموج الديدان في الثغر والخـ ... ـد وتغفو الأحلام في مقلتيّا»

حتى يقول:

«لا تقولي، فإن صوتك لا زا ... ل صداه يرن في أذنيّا

لا تقولي، فإنني سوف أغدو   زهــرًا عـاطـرًا ولحنًا شجيًّا»

ونرى أنه يتحدث عن الصدى وكأنه الذكرى التي تحفظ الصوت، وتحفظ استمرارية خلوده الكتابي ذبذبات كذبذبات نهدها المتوثب.

في الختام كانت البهجة رفيقتي وأنا أبحر في نتاج قامة من جيل شعري بديع سعى في منهجية الإخلاص للشعر واللغة.

٥

النهر الطروب

سعيد أحمد الناجي

نسعد ونفتخر اليوم بتكريم قمة شامخة في دنيا الأدب العربي شاعراً وناقداً ومؤرخاً. نعم نعتز بتكريم هذا المبدع المعطاء؛ الأستاذ محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي، العلم البارز المتميز في الأدب والتعليم والإصلاح والقيادة وخدمة المجتمع، حيث كرَس حياته وعقله المستنير لهذه الغايات السامية بصبر وحزم وعزم، لا يعرف الاستكانة، أقوى مراراً من طاقته الجسدية، فصار نجماً ساطعاً يشع في بلادنا، يضيء دروبنا، يسدد خطانا يفتح أذهاننا، ويستحثنا - على الدوام - لنسير معه في دربه السامي، ويشرق وجهه بهجة وسروراً حين يسمع، أو يرى مبدعاً ينشد شعراً جميلاً، أو يتلو نثراً رائعاً، فيهب لتهنئته بالإنجاز، ويحثه على المزيد، ويسأله - بتكرار مهذَب رقيق الدعوة - إلى منتداه الأدبي المنعقد يوميًّا في منزله العامر للاستئناس بما جدَّ من كلام طيبٍ، معتبراً أن الكلمة الطيبة هي كما جاء في محكم التنزيل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ﴾ إبراهيم: ٢٤، ٢٥ صدق الله العظيم.

بداية مشواره في الحياة كانت صعبة شاقة مؤلمة، غمرته إحباطاً وحزناً وخوفاً ورعباً فتأوه شعراً متوجعاً:

أرى من زوايا حياتي غدي فـأبـصـره روضـة ذاويـة

ويسترسل متألماً:

حياتي مبطنة بالظلام يبث بها الدهر أخطاره

ثم ينتهي متبرماً:

أرى من زوايا حياتي غدي فـأبـصـره جـثـة هـامـدة

لكن الفتى سرّ أبيه؛ فمن الحبر الأعظم والده المبجل –عليه الرحمة والرضوان– ورث النباهة، وأخذ العلم - فهو معلمه الأول - واكتسب الحكمة: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿٢٦٩﴾﴾ البقرة: ٢٦٩.

بهذه الأعمدة الثلاثة، وعصاميته المثالية عكس مجرى حياته متحدياً الظلام وأخطار الدهر بعزيمة وإصرار، محولاً تشاؤمه إلى تفاؤلٍ، عاكساً اتجاهه شعراً موسيقياًّ نفيساًّ:

سأظل كالنهر الطروب يضاحك الأنـــوار ثغراً

يسقي الصحاري والحقول فينبت الأحـــلام زهـــراً

يا سلام! يكفي هذا البيت ليكون خارطة طريقٍ لحياةٍ رغدةٍ سعيدة ملؤها الرضا ومنفعة الناس، «وخير الناس أنفعهم للناس».

في هذا النهر الطروب عزف محمد سعيد قيثارته، وغنى أجمل الألحان، وضرب بمجدافه بهمة، ونشاط نحو حياة ثلاثية الأبعاد، وتألق فيها جميعًا، وحقَق نجاحاً باهراً في كل واحد منها. معاشية وتربوية وثقافية.

كان في حاجة ماسةٍّ لإصلاح معاشه، فما الحيلة والوسيلة لذلك، والجسد نحيل، والنظر عليل؟ فيما النفس كبيرة تردد مع مالئ الدنيا وشاغل الناس:

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

ولما كان شابًّا متعلماً مثقفاً واسع الاطلاع مجيداً لفن مقارعة الحجة بالحجة، والرأي بالرأي فقد تمكن من امتهان المحاماة للدفاع عن المظلومين والمحرومين والمغصوبين والمغلوبين على أمورهم في المحاكم الشرعية، وعند أصحاب القرار، والمنتديات الاجتماعية.

وفي هذه المهنة كان رزقه، فاستمر في ممارستها ردحاً من الزمن: (فأينما تُرزق تَلصق).

وتزوج من أكرم النساء حسباً ونسباً، فأنجب وربى وعلم جيلاً من أنجاله يحق له الفخر بهم، فيهم المعلم والطبيب والمهندس والإداري والمربيات. وسار الأبناء على نهج أبيهم، وفي طريقه أدباً وعلماً وإنتاجاً وابداعاً وجاهاً كما عودهم هذا الأب.

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

وبالعلم والعمل صاروا ثروة عزيزة تساهم في بناء الوطن ورفعة شأنه، فقد قيل:

بالعلم والمال يبني الناس مجدهمُ لم يُبن مجد على جهل وإفلاسِ[1]

---

(١) البيت لأحمد شوقي، ونصه:
بِالعِلمِ وَالمالِ يَبني الناسُ مُلكَهُمُ يُبنَ مُلكٌ عَلى جَهلٍ وَإِقلالِ
من قصيدته ألقاها الشاعر بدار الأوبرا بمناسبة الاحتفال بإنشاء بنك مصر مطلعها:
قِف بِالمَمالِكِ وَانظُر دَولَةَ المالِ وَاذكُر رِجالاً أَدالوها بِإِجمالِ
انظر: الشوقيات، دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م، جـ١/ ١٨٤ - ١٨٥. الواحة

والبعد الثقافي للأستاذ بدأ مع نمو الحركة العلمية التي كان يرعاها والده العظيم، حيث تألفت كوكبة من جيله، وأقرانه هي أقرب أن تسمى عصبة ثقافية عمودها الفقري حبهم المشترك، وتنافسهم على قراءة ودرس ومناقشة الكتب العلمية والأدبية والتاريخية التي كانوا يتداولونها ويقرؤونها معاً صبحاً ومساءً. وإن كنا في حفل تكريم الأستاذ محمد سعيد الخنيزي، إلا أن (الشيء بالشيء يذكر)؛ لذا يطيب لنا أن نذكر بفخر واعتزاز بعضاً من أقرانه أركان هذه العصبة الثقافية، فكلهم كانوا نجوماً في القمة تتلألأ أفكارهم، وتنتشر مؤلفاتهم في دنيا العلم والأدب والثقافة والتاريخ منهم الأساتذة: محمد سعيد المسلم، وعبد الواحد الخنيزي، والسيد علي والسيد حسن العوامي، ومحمد سعيد الجشي، وعبد الرسول الجشي، كما كان من حصاد هذه الحركة العلمية رجال أجلاء في العلم والزعامة منهم على سبيل المثال العلامة الشيخ عبد الحميد الخطي، والعلامة الشيخ عبد الله الخنيزي، والزعيم علي حسن أبو السعود.

واختصاراً فالأستاذ محمد سعيد الخنيزي أديب فذٌّ، وشاعر عبقري، ومفكر حرٌّ، كما وصفه المرحوم الشيخ علي المرهون، وقد كتب قصة حياته في كتابه (خيوط من الشمس)، وهي تاريخ حافل بالأحداث للحقبة التي عاشها جديرة بالقراءة. إضافة إلى كتابه هذا ألف الأستاذ أربعة عشر كتاباً شعراً ونثراً في مختلِف شؤون الحياة منها: (العبقري المغمور) و(الشعر ودوره في الحياة).

وأوجز بعرض نموذج رومانسيٍّ من شعره:

فكن أملاً أخضراً كالربيع فتورق دنيا كدنيا الزهر

وكن نسمة كحنان الربيع تضمد عطفاً جراح البشر
وكن جدولاً يملأ الخافقين فيسقي قلوباً ويسقي الفكر
وكن مشرقاً مثل بدر السماء يضيء الحياة شعاعاً أغر
فـإن فـؤاد الحياة الرجاء ولولا الرجاء غدت كالحجر

وقبل الختام

لا بد من القول إني – حين وجدت الإخوان يتسابقون في الكتابة عنك تمثلت بقول الشاعر:

ولما رأيت الناس شدوا رحالهم إلى بحرك الطامي أتيت بجرتي

فما كلمتي هذه إلا نقطة في بحرك، سعدت بقولها وأرجو قبولها.

نهنيك – يا أستاذ – ونبارك لك هذا التكريم، فأنت من يستحقه والجدير به، وندعو لك بالمزيد من الرخاء وراحة البال.

٣/ ١٠/ ١٤٣١هـ

٦

عذراً، يا أستاذ، فذكرك سيبقى

سعود عبد الكريم الفرج

الأستاذ محمد سعيد الخنيزي واحد من الشعراء السعوديين الذين نالت تجربتهم اهتمام النقاد والباحثين حتى عده الدكتور (طبانة) من أعلام الشعر السعودي المعاصر، وتناول الدكتور المبارك مقاطع من شعره في رسالته الماجستير، وكتب عنه الكثير، وتعرضوا لشعره دراسة وتحليلاً، ذكرته في كتابي (شعراء مبدعون من الجزيرة والخليج).

وأكثر ما يشدني إلى هذا الإنسان أنه لم يتوان في إخراج أعماله رغم ظروفه الصعبة فتعرَّضت للنقد الذي تقبَّله بصدر رحب مما أدى إلى تألقه على بعض أترابه الذين نأوا بأنفسهم، إما خوفًا أو هربًا من النقاد، لقد كان الخنيزي شجاعاً بهذه الخطوة، فاستحق هذا البروز والاهتمام، وما تكريمه هذه الليلة إلا خطوة إيجابية جديرة بالشكر والتقدير من قبل منتدى حوار الحضارات لصاحبه الأستاذ فؤاد نصر اللَّه.

والخنيزي شاعر أصيل، رسم معاناته بصدق ورقة إحساس، خاصة في ديوانيه (النغم الجريح) و(شيء اسمه الحب)، والذي لا يملك قارئهما إلا أن يتعاطف معه؛ لأنه سرعان ما يلاحظ عليه ذلك الطابع القاتم الممزوج بلوعة

الأسى والحرمان وحرارة الـوجد، ثم يأتي بعدهما ديوانه الثـالث (شمس بلا أفق) الذي زخر بعدد من القصائد التي لا تقل جودة عن سابقاتها، أما ديوانه الرابع (مدينة الدراري) فقد اهتم فيه اهتماما كبيرا بمسقط رأسه عبر عدة قصائد اتسمت بالطابع التراثي، وسلط الضوء فيها على عادات وتقاليد منطقة الخط بأسلوب مميز، وصور متلاحقة من ذلك التراث الذي أوشك على الانقراض.

ورغم إغراق شاعرنا في الرومانسية لكنه يجيد الوصف عبر خيال واسع تتجلى فيه معاناة الإنسان، وما يواجهه من إحباط وأسى خاصة في قصيدتـه (الدمعة الخرساء)، ورغم ذلك الواقع المرير والظروف المحبطة التي كادت أن تقف حجر عثرة أمام نبوغه، إلا أنه استطاع أن يتألق، ويترك بصمات واضحة في محيطه، ويشارك في أحداث أمته العربية ومآسيها.

على هذا الوتر الحزين أخذ الأستاذ الخنيزي يردد آهاته من الأعماق قائلا:

أسفا فالعمر قد ضاع كما ضاع النظر

وأنا أقول: عذراً يا شاعرنا، فإن عمرك لم يضع هدراً، ولم يذهب سدىً، بل سيبقى ذكرك خالداً على مر الأيام، عبر هذا الإنتاج الأدبي الذي سوف يردده القراء جيلا بعد جيل إن شاء الله.

٧

الأستاذ الرائد

محمد رضي الشماسي

في مقدِّمة أنطوان القَوَّال للمجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران جاء هذا النص:

«في السادس من كانون الثاني ١٩٢٩م احتُفِل بتكريم جبران احتفالاً كبيراً في مناسبة مرور ربع قرن على صدور أول مقالٍ له في الصحف، شارك فيه عربٌ وأجانب».

ثم إنني أجعل من هذا النص ديباجةً قصيرة لموضوع هذه المناسبة الكريمة التي كنا ننتظرها وننتظرها كثيراً، وهي تكريم الأستاذ الكبير محمد سعيد الشيخ علي أبي الحسن الخنيزي، هذا الأستاذ الذي نحتفي هذه الليلة بتكريمه، هو علم بارز من أعلام هذه المنطقة، بل من أعلام الأدب العربي في العالم العربي، بَلْهَ السعودية، أو منطقة الخليج.

فإذا كان قد احتُفِل بأديب صدر له مقال واحد قبل ربع قرن من الزمن، فإنه لأولى بنا أن نحتفل بأديب زَوَّد الساحة الأدبية بالعديد من إصداراته الأدبية، ولا زال يزوِّد في نصف قرن من الزمن.

خمسون عاماً بالتمام والكمال، فديوانه الأول (النغم الجريح) صدر في عام ١٣٨١هـ، وتاريخ هذا الاحتفاء بالأستاذ الرائد في عام ١٤٣١هـ، يكون قد مرَّ على نشاطه الأدبي والفكري وهو لا يزال يعطي الكثير. أقول قد مر خمسون عامًا بالتمام والكمال (١٤٣١ - ١٣٨١ = ٥٠ عاما).

صدر له سبعةُ دواوين، والثامن تحت الطبع، وخمسة كتب في النثر، وثلاثة تحت الطبع.

ثم أعود إلى الديباجة القصيرة لأقف عند الأديب المهجري جبران خليل جبران الذي أثَّر في جيل بداية النهضة الأدبية، مطلع القرن العشرين، أثَّر بنثره وشعره، ولعله أثَّر بريشته؛ فهو رسام معروف.

أقول: إن أستاذنا الخنيزي هو شاعر مهجري بامتياز، يعيش بيننا بجسمه وروحه، وهو في المهجر يعيش بفكره وخياله. ما أثَّرت فيه حياته الدينية، ولا محيطه الاجتماعي، ولا خلطاؤه من التقليديين، كل هذه العوامل لم تجعل منه شاعراً كسلاسيكيًّا، ولم تعطه حتى جرعة صغيرة من ثمالتها التقليدية، وهو الأديب الشاعر المتشبث بالحياة التقليدية بقَضِّها وقضيضها.

إذا كان فضيلةُ العلاَّمة الأستاذ الشيخ عبد الحميد الخطي قد مزج الكلاسيكية بالرومانسية فجاءت الخلطة الشعرية لدى الخطي؛ لتعرف عند النقاد والباحثين بالكلاسيكية الحديثة، أو الكلاسيكية المعاصرة؛ فإن الأستاذ أبا عليٍّ قد اقتحم المدرسة الرومانسية، ودخل فيها من جميع أبوابها المتفرِّقة. استوعب هذه المدرسة كثيرا، وتبنَّاها منهجاً.

ابتعد الأستاذ عن التقليدية حتى في عناوين دواوينه وكتبه. نقرأ عناوينه مثل: (النغم الجريح)، (شيء اسمه الحب)، (شمس بلا أُفُق)، (مدينة

الدراري)، (كانوا على الدرب)، (خيوطٌ من الشمس)، (تهاويل عبقر)، إيحاءات سماوية)، (أوراق متناثرة)... عناوين عليها من الحلاوة طلاوة. اقرأوا دواوينه تجدوا ما يطربكم.

أكتفي بقراءة مقطوعتين صغيرتين من ديوانه (شيء اسمه الحب)، ولكم أن تعودوا إلى أيٍّ من دواوينه السبعة.

يقول الأستاذ تحت عنوان (طيف) بتاريخ رمضان ١٣٧٠هـ:

في ليلةٍ، قبلَ انبثاق السنا رأيتها تسري إلى مخدعي
أنفاسَ طيفٍ كربيع ندي ونغمةً تنساب في مسمعي
أين أغاني الحبِّ؟ أين المنى؟ تناثرت كالزهر في بلقع
أين ليالي الحبِّ رفَّافةً عرائساً ترقص في مربعي؟

***

ويقول في مقطوعة (تحت ظلال القمر) بتاريخ ذي القعدة ١٣٦٧هـ:

ذكرتك تحت ظلال القمر فعاودني طيف عهد غبر
ذكرتك والبدرُ ملءُ الفضاء يرصِّع هام الرُّبَى بالدرر
ذكرتكِ حين رشفت الرحيق من النهد غِبَّ انسكاب المطر
ذكرتك حين تَناجى الطيور تظلِّلنا عذَباتُ الشجر
وأنت ضياءٌ على مقلتي يرفُّ عليها رفيفَ الزهَر
ذكرتك والليلُ غافٍ على صدور المروج وزند النهَر
وران على الكون صمتٌ عميق سوى نغمةٍ بدرت من وتر

***

هذا هو أستاذنا الكبير محمد سعيد ابن الإمام الشيخ علي الخنيزي، وأحدُ روَّاد الحركة الأدبية بالقطيف.

هذا هو في بعضٍ من خيوط حياته الشمسية. حفظه الله، وأطال عمره.

١٤ شوال ١٤٣١هـ

٣٠/ ٩/ ٢٠١٠م.

٨

شذرات

د.حسام سعيد الحبيب

هذه شذرات أحاول فيها رسم بعض الخطوط والجوانب لشاعر استطاع أن ينقش حروفا على صفحات الحياة، بالرغم من الظروف العصيبة التي واجهته وجعلته يعارك الحياة وحيدا، ولكنه استطاع أن يتغلب على ظروف الحياة، ويثبت أن الإنسان هو صانع السعادة، إذا استعان بالله سبحانه وتعالى، فأهدانا ذلك البستان الذي عندما يتجول فيه السائح يجد ما يصبو إليه من كل فن ونوع، حتى يتسنى له قطف ما يشهتي من تلك الثمار.

ولا أستطيع - في هذه العجالة - الإحاطة بكل عطاءاته، ولكنها شذرات مما جاد بها قلمي.

نشأ والدنا وأستاذنا في بيت تحيط به أجواء التوحيد الروحانية فتزوَّد منها ما يطهر تلك الروح الحبيسة في الجسد المادي، وأخذ ينهل من أصناف العلم والمعرفة، فدرس على أيدي أولئك العلماء الأساتذة، الذين كانوا يديرون دفة البحث والتدريس تحت ظل والده الإمام أبي الحسن الخنيزي فحفظ القرآن، ودرس كتب اللغة كالقطر والألفية والمُغني. كما درس كتب المنطق والفلسفة والبلاغة والتصريف، ثم انكب على دراسة الأدب والتاريخ

وأصول الفقه والحديث، فأصبح شرها للعلم، يقرأ ما يستطيع الحصول عليه من أدب أجنبي مترجم، أو مهجري، إلى أن تفجرت ملكة الشعر عنده وهو في سن الرابعة عشرة حيث كتب أولى محاولاته الشعرية بعنوان عهد الطفولة:

عهد الطفولة عهد يستراح به ما فيه من حزن يشجي ولا كدر

وفي عام ١٣٦٣ ظهر تأثير شعراء المهجر في شعره، فكتب قصيدة البدر الحائر:

أيا بدر عمت بهذا الوجود وشاهدت فيه فنون الصور

الشعر مرآة لنفسية الشاعر

الشعر هو ترجمان لمشاعره وأحاسيسه؛ السعيدة منها والمؤلمة، وفلسفته، فمن أراد سبر أغواره فليتمعن في شعره، ففيه الكثير من الرموز التي تترجم حياته وفلسفته:

ثم عودي لصورتي وشعوري فهما ناطقان في ديواني
إقرئيه ففيه فجر ابتساماتي وليل الآلام والأشجان
إقرئيه كأنما شاهدت رو حك روحي في عالم الوجدان

وهنا أريد أن ألقي الضوء على نقطة نوقشت في بعض الترجمات الشعرية للشاعر، وهي النظرة التشاؤمية للشاعر، فأحببت أن أسلط ضوءاً على الجانب المشرق، فهذه أبيات تفيض بالتفاؤل والصبر فيقول:

في أغاني الشباب ذوبت قلبي في كؤوس سقيتها الأحرارا
وسكبت النهار في مقلة الليـ ـل على الأفق فاستحال نهارا
فبنيت الكوخ المبعثر قصرا صار للود مهبطا وشعارا

أما في الأبيات التالية فنلاحظ مدى انطلاق روحه حيث يقول:

ملكك الجو والفضاء فحلق   بجناح الخيال والتفكير
إنـمـا أنــت طـائـر يتغنى   بجمال الطبيعة المأثور

وها هو يبين سر تفاؤله، والبلسم الشافي للظروف العصيبة، فيقول:

أرسل الشعر كوكبا وسط هذا   الليل تسفر ظلماؤه بالضياء

وعندما نريد أن نتقصى ذروة التفاؤل نجدها في النهر الطروب حيث يقول:

أنا في العواصف كالجبا   ل تكون لـلأحـداث قبرا
أنــا كـالـمـراهـم للجرو   ح أسيل فوق الجرح عطرا
والليل إن أرخـى الظلا   م طلعت في الظلماء بدرا
والـصـبـر مـفـتـاح الحيا   ة وما يطيق الناس صبرا

سأشير في الوقت المتبقي إلى بعض النقاط التي تتناول العوامل المؤثرة في الإتجاه الشعري للشاعر:

١ - إصابته في عينه.

منبع اليأس والشقاء عيوني   فعيوني مستودع الآلام
والكتاب الحبيب عند فؤادي   مثل قلب الظمآن عند الشراب
كلما رمت أن أروي فؤادي   عدت منه بحرقة والتهاب
فعزائي أن الضياء بقلبي   سرمدي الإشعاع والإصباح

لقد كانت عينه سبباً لكثير من الظروف العصيبة التي واجهته، ويرى شقاؤه الأكبر في عدم استطاعته القراءة التي شغف بها حيث يقول:

بـت ليلي ومـنـى القلـ ـــب شـظـايـا تـتـمـزق
للكتاب الأمـل المنشو د عـقـلـي يـتـحـرق
ظـامـئ الـروح إلـى جـ ـدوله الصافي المرقرق
رشـفـة مـن ضـوئـه الشـ ـفـاف لـلـروح المحرق

وهكذا يمضي في التحرق لضياع وقته بسبب عينه التي تقف حاجزا في كثير من الأحيان بينه وبين تلهفه لمسامرة الكتاب:

ضاع وقتي، ضاع عمري فـي حـيـاة خـاويـة
كـل يـوم فـي حياتي لـيـس فـيـه قـافـيـة
هـو مـن عـمـري جـذب كـصـحـارٍ خـالـيـة

٢-العواطف الإنسانية

أ- والده

كان لفقدان والده، وهو في سن العشرين الذي ارتبط به ارتباطا وثيقا أثر كبيرٌ ترجمه في قصائد متتالية كلما مرت عليه ذكراه حتى بعد خمسين عاما.

ب- والدته

أصيبت بجلطة في الدماغ أرقدتها في الفراش أربعة عشرة عاماً. فكانت آلامه تزداد كلما رآها ترقد على الفراش لا تحس بما في الحياة، وهو لا يستطيع عمل شيء لإخراجها من غيبوبتها.

ج - ابنه حسينا الذي توفي صغيرا بعد معاناته من الألام التي كانت تذيقه مرارة الحياة.

فكانت قصيدته

ذهبت إلى مصح في الصباح وطيف الموت في كل النواحي

تصف اليوم الأخير، وتثير الحزن والألم في قلب قارئها.

وبالرغم مما يعانيه من ألم، لم يتناس زوجته وما تقاسيه تلك الأم فيخاطبها:

اسكبي من دموعك الطاهرات وأذيبي الفؤاد في القطرات
فوق جسم أحاله الـداء ورسا وتمشى في الـدم في الـذرات
في المصحات عشت فيها طويلا وقضيت الساعات في الآهات
تحرسين الطفل المريض بقلب وتـذودين عنه بالحدقات
قد هجرت زوجا حبيبا وأبنا ءً حيارى في وحشة الغرفات

ثم يقول:

إيه يا زوجتي الحنون اصطبارا إنـما الصبر آيـة العزمات
اصبري، فالنفوس تصلح بالصبر وبالصبر ابلغي الغايات

د - الوطن

الوطن في حياته شيء ثمين يعشقه بكل كيانه، فتمخضت تلك القصائد تتغنى بوطنه بكل ما يحويه من أناس وبحر ورمل ونخيل وقلاع:

قلعة المجد والندى والسماح أنـت مثل المعين لـلأرواح

ويصف الآثار:

وعلى جدرها تشع مرايا هـي رمـز لـعـالـم فتان
ونقوش في جدرها تتجلى كتماثيل جسدت لحسان

وبأبوابها النقوش ودنيا من معان لمبدع فنان

وأخرى:

أين تلك القصور فيها تميس الـ ـغيد غصنا في حلة من حرير
يتدافعن كالقطاة إلى الما ء ويمشين مشية المخمور
وعطور يسكبنها في قواريـ ـرعلى الجسم ظافرات الشعور
وورود على الرأس كإكليـ ـل نضار مذهب التسطير

وفي ديوان مدينة الدراري وصف مفصل للحياة الزراعية والإجتماعية والعيون وحياة الغوص واستخراج اللؤلؤ.

فالوطن أخذ نصيبا كبيرا من شعره، وليس وطنه فقط مسقط رأسه بل كل بلاد العرب والإسلام، فهو يخاطب أعضاء البعثة المصرية[1]:

إن القطيف ومصر شعب واحد في المبدأ السامي وفي الأفكار
فمتى نرى هذي الشعوب توحدت ترمي العدو بمارد من نار

ويخاطب الفدائيين الفلسطينيين:

صوت الفداء يدوي من فم اللهب
ليستعيد فلسطينا إلى العرب

(١) البعثة المصرية هي بعثة (جامعة الملك فؤاد) سابقًا، (جامعة القاهرة) الآن، زارت القطيف عام ١٣٧٠هـ فبراير ١٩٥١م، وقد أقيم لهم حفل خطابي في بستان السيحة بسيحة الدبيبية، المملوك للوجيه الأستاذ عبد الله علي اخوان رحمه الله، مغرب يوم السبت ٤ جمادى الأولى ١٠ فبراير، وقد ألقيت فيه كلمات وقصائد ترحيب بالمحتفى بهم. على رأس البعثة الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) وزوجها الدكتور أمين الخولي، وعدد آخر من أستاذة الجامعة المذكورة. وقد دونت بنت الشاطئ هذه الرحلة في فصل (من بعيد) من كتابها أرض المعجزات، دار الكتاب العربي، بيروت، د، ت، ص: ١٢٩ – ١٤٢. الواحة

فـــالـــدَّمُّ شـعـلـة أضـــواء مقدسة
تـضـيء هـــذا الـلـيـل كالشهب
أقحم، وقيت الـردى، ميدان مغتصب
ودك صرحا من التمويه والكذب

إلى أن يقول:

لولا الفداء لما كانت مآثرنا غراء في عتمة التاريخ كالقمر

هـ- المرأة

كان للمرأة المكانة الرفيعة في قلب الشاعر، وكانت مثارا لكثير من القصائد، بل أفرد لها ديوان شيء أسمه الحب

أنـــا لـــولا أنـــت مـا فتحت في دنـيـاي جفنا
أنـــا لـــولا أنـــت مـا وقـعـت كـالأطـيـار لحنا

وفي أخرى

ما إن نظرت إلى الربيع وزهره إلا رأيتك في الربيع الزاهر

ويقول في أخرى:

إذا مـا غـــرد الـبـلـبُـــل فـي روضـتـه الغنا
وتـــاه بـسـحـره تيها فـخـــورا ردد اللحنا
ففيك السحر والفتنـــة فيك الـشـاعـر افتنا
ففيك الـلـحـن يسبيني وفـيـك الـكـون قـد جنا

والحب عنده ليس الحب المادي بل هو حب الروح والفن:

كـذب الوهم أن أراك بعيني إنـمـا يبصر الـفـؤاد حبيبه

و - احتوى شعره على الكثير من وقفات التأمل الفلسفية:

حدثيني يا نفس عن أفق الرو ح وكيف الحياة في الأرحـام
أنت ماذا؟ في عالم الروح شخص أم خـيـال مجنح الأحــلام

إلى أن يقول:

لست أدري ما كنهها، غير أني أعرف الروح فيض باري الوجود
حدثيني عن الممات وكيف الـ ـكون يطوى في لحظة كالرداء
إنما الروح قوة يستمد الجسـ ـم منها كالزيت للمصباح

ويظل يبحث عن نفسه وخفاياها:

إقرئيني بصفحة الكائنات تجديني أسرارها المبهمات
ادرسيني فإنني لم أزل سـ ـرًّا خفيًّا وراء هـذي الحياة

وبصورة مختصرة تلمح في شعره عاطفة وجدانية تمتزج بالكلمات، يساندها ذلك الخيال الواسع. كما يتميز بدقة الوصف والتشبيهات الرائعة، وخاصة في القصائد التي وصفت القطيف ومعالمها التاريخية.

ولا ننسى تلك الفلسفة الصوفية المتأملة في أسرار النفس والطبيعة التي سارت في طريق واحد مع الفلسفة الإسلامية الصحيحة.

لذا كان الشعر عنده كالماء الزلال الذي ينحدر بسهولة ويسر، من غير عناء؛ لأنه ما هو إلا تلك المشاعر والأحاسيس التي يترجمها إلى لغة الشعر.

٩

ملامح من حياة وشعر
محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي

خليل إبراهيم الفزيع

شاعرنا محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي، واحد من جيل نادر، رسم خطواته على أديم الحياة بثقة تامة، انتصر في معركته مع الحياة ليكون مثالا تقتدي به الأجيال، جيل ولد وليس في فمه ملعقة من ذهب، ولكنه نشأ في بيئة ثقافية ودينية قادرة على منحه حصانة فريدة في وجه تناقضات الحياة ومفاجآتها غير المأمونة الجانب، هذا الجيل الذي صهرته الظروف في بوتقة الجلد والصمود أمام الكثير من التحديات.. خط لنا طريقا في الزمن الصعب ننتمي إليه باعتزاز لنقول: إننا عشنا في زمن محمد سعيد المسلم وعبدالله الجشي والسيد علي العوامي ومحمد سعيد الشيخ علي الخنيزي وأحمد بن علي آل الشيخ مبارك وعبدالله الشباط وعبدالله الرومي وعبدالرحمن بن عثمان الملا، وغيرهم ممن حلقوا بطائر الإبداع عاليا بجناحيه: القطيف والأحساء.

نشأ الخنيزي نشأة علمية على يد والده، وقد أدخله كتاب البريكي الذي كان أفضل الكتاتيب في عشرينيات القرن المنصرم، ثم وجهه والده للعمل الديني فقرأ الأجرومية وقطر الندى وألفية ابن مالك ومغني اللبيب

كما قرأ في المنطق والفلسفة وأسرار المعاني والبيان وأصول الفقه. إلى أن انتقل والده إلى جوار ربه، فواجه الحياة وهو لم يبلغ العشرين.. وحيدا إلا من إيمانه وتصميمه على الوصول لمراتب عليا كانت شغله الشاغل، وهدفه النبيل الأسمى، ليصبح -أطال الله في عمره- واحدا من هذه الكوكبة الفريدة من شعراء هذا الوطن، ولكنه انفرد بين أقرانه بشعره المعبر عن مراحل حياته، وهو أكثر ما يصدق عليه قول القائل بأن الشاعر ابن بيئته، وقد غلب على شعره توجه رومانسي معبر عن ما مر به من ظروف صعبة، متأثرا بالشعراء المهجريين في رومانسيتهم العذبة، بما فيها من ألوان الحزن، واللجوء إلى الطبيعة بمظاهرها الخلابة وإيحاءاتها الرائعة، فكان شعره مرآة حياته، التي يمكن للمتلقي أن يقرأ سطورها من خلال هذا الشعر بوضوح تام، بما فيها من أحزان كبيرة، نتيجة مرض أو فقد أقرب الناس إليه، وقد أثرت الأجواء العلمية التي عاش في رحابها في تكوين شخصيته الإبداعية، كما أثر يتمه المبكر في الشعور بالمعاناة ومكابدة ظروف الحياة القاسية بمشاعر مرهفة هي جزء من تكوين شخصيته الشعرية، ومع أنه عمل في المحاماة، لكن ذلك لم يعزله عن الشعر، وفي مقابلة لي والشاعر مصطفى أبو الرز أجريناها معه ونشرت في مجلة (دارين الثقافية) التي يصدرها نادي المنطقة الشرقية (العدد الحادي عشر ١٤٢٣ـ٢٠٠٢ ص ٧٢) قال عن ذلك:

(الشعر يفرض نفسه رغم الزحام، وهناك قصائد رائعة كتبتها وأنا في انتظار جلسة، بل ربما هبط علي الشعر وأنا خارج من قاعة المحكمة، بعد النطق بالحكم في قضية لها أهميتها، وهكذا ترون أن المحاماة لم تحرمني من مداعبة أوتار الشعر) وقد سجل بعضا من سيرته في كتابه: (خيوط من الشمس: قصة وتاريخ) أما تكوين ذخيرته الثقافية فيقول عنها:

(قرأت وحفظت شعر المتنبي والشريف الرضي من العصر العباسي، ومن شعراء العصر الحديث أبحرت في جداول إيليا أبي ماضي وخمائله، وتبره وترابه، كما حفظت كثيرا لشوقي وحافظ إبراهيم وعلي محمود طه ومحمود إسماعيل، وفي النثر قرأت موازنات د. زكي مبارك وقرأت كتبا نقدية منها عبقرية الشريف وتجديد ذكرى المعري وغير ذلك من الدراسات القيمة، التي كانت تخضع للدراسة والنقد في صالون لنا منذ أيام والدي -يرحمه اللَّه- يؤمه المهتمون بالأدب والفكر والثقافة أذكر منهم أبا كامل العوامي وحسن العوامي وملا علي الطويل ومحمد سعيد المسلم ومحمد سعيد الجشّي، وكنا في كل (عصرية) نناقش كتابا من الألف إلى الياء مناقشة جادة، وقد استمر الصالون حتى بعد وفاة الوالد، وترأسه أستاذنا الراحل عبدالحميد الخطي) (المصدر السابق).

في ظل هذه الأجواء تعمق الحس الرومانسي في شعر شاعرنا الخنيزي، الذي حاصره الإحساس باليتم، وتحمل مسئولية أخوة ترك من أجلهم الدراسة لينتقل من طلب العلم إلى طلب الرزق، قبل أن يتفرغ للتأليف والشعر والأدب. وتجسد قصيدته في رثاء الشاعر علي محمود طه بعضا من ملامح رومانسيته الحزينة:

خرَّ عن وكره مهيض الجناح ... شاعرُ الزهر والصبا والملاح

فهوتْ كأسُهُ وفيها بقايا ... خمرة من طيوفه كالصَّباح

جمدت فوق ثغره خمرة الشعر ... وجفت على فم الأقداح

وتلاشت من عينيه صورُ الحسن ... ومعنى مثل الزهور الصِّباح

وصحا النيلُ من سُباتٍ عميق ... ناشدا عن هزاره الصداح

صُرع الشعر في الكنانةِ حتى خفتت منه نغمة الملاح

ورثائياته تعد من أجمل ما قيل في الرثاء في الشعر العربي المعاصر، ومن ذلك ما كتبه في رثاء عدد من أهله وأصدقائه ومعارفه، ومنهم والده الشيخ علي الخنيزي المتوفى في ٢١ ذي القعدة ١٣٦٣هـ وابنه حسين المتوفى في ١٢شوال ١٣٨٨هـ ومحمد بن علي الخنيزي وعبدالرؤوف الخنيزي وفرج العمران وعبد الواحد الشيخ حسن الخنيزي وعلي الشيخ حسين القديحي ومحمد سعيد المسلم وكامل سلمان العبد الهادي آل حبيب ومحمد سعيد أحمد الجشي والسيد جعفر الماجد والسيد أبو القاسم الخوئي وغيرهم، رحمهم الله جميعا، ومما قاله في رثاء والده بعد أربعين عاما من رحيله:

أبتاه والأعوام مرت مثل أحلام السراب

وتواثبت أطيافها في مقلتي مثل الحراب

والأربعون تمر كأنها ليلٌ.. تمر بلا شهاب

وشذا حديثك كالربيع يضوع من زهر الروابي

وكأن صوتَك هاتفٌ حيٌ بأجيال الشباب:

عودوا إلى الإسلام عودوا يا بَنيّ إلى الكتاب

وزرعتَ حرفكَ في الحياة فشعَّ دنيا من قباب

منه الجداول فجَّرْت تنسابُ حرفا من عجاب

وفرشتَ خِصبا في الدروب فملؤها فيء الرغاب

الأربعون كأنها قطع من الليل الغراب

وهي قصيدة مفعمة بأجمل الصور والمعاني التي تلامس شغاف

القلوب، ومع أن الشاعر الخنيزي ينتمي للمدرسة التقليدية في الشعر العربي التي أمدتنا بفطاحل شعراء العصر، إلا أنه لا يضيق ذرعا بما طرأ على قوالب الشعر من تحديث في الشكل والمضمون، وهو يقول في هذا المعنى:

(ليس للثقافة موازين ومقاييس وقوالب جاهزة جامدة، بل هناك معايير فنية من بينها الحس والذوق، فالشعر المقبول عندي ما أحدث في داخلي هزة كسريان تيار كهربائي، ودرجة هذه الهزة هي التي تحدد عندي درجة جودة الشعر، وقد قال الأقدمون:

إذا لشعر لم يهززك عند سماعة فليس خليقا أن يقال له شعر

ولست ممن يصرون على اعتماد الوزن والقافية مقياسًا صارمًا لقياس قوة الشعر وجودته. أنا لا يهمني الشكل بل يهمني ما وراء الصورة) (المصدر السابق ص ٧٤).

ورغم ظروف حياته الصعبة في بدايتها لكن همه الخاص لم يشغله عن الهم العام وما يدور حوله من مظاهر الحياة ومكابدة الإنسان لشئونها وشجونها، فجاء شعره ملتصقا بهموم أمته وما مر بها من أحداث جسام في زمن فقد فيه الإنسان الكثير من قيمه ومبادئه وانتمائه لأمة كانت خير أمة أخرجت للناس. وصَوَّر شاعرنا الخنيزي الملامح العامة للحياة في الخليج، ومنها حكايات الغوص التي لا تزال أصداؤها تظهر في بعض الإبداعات الأدبية والفنية:

وأطلّت مواكب الغوص يا بحر ولاحت من كوة الأزمان
سفن كالعقاب مدت جناحا ماخرات في البحر كالعقبان
إنه الغوص كالربيع ازدهارا وانفتاحا على سنا المرجان

ومع كثرة أسفاره، فقد حمل الوطن في وجدانه وتمثل له دائما كيانا

شامخا بكل ما حملته ملامحه القديمة من علامات أزالها التطور، لكنه لم يُزل بقايا ذكريات الأمس، وشاعرنا يتساءل دون أن يجد الجواب:

أين تلك القصور فيها تميس الغيد غصنا في حلة من حرير
يتدافعن كالقطاة إلى السماء ويمشين مشية المخمور
وعطور يسكبنها من قوارير على الجسم ضافرات الشعور
وورود على الرؤوس كإكليل نظار مذهبِ التسطير
يوقدون الشموع مثل المصابيح فوانيس في الظلام الضرير

وعندما نظر إلى البعيد، وتأمل حال بلدته التي كانت عروس الخليج، يوم كانت نخيلها تعانق فضاءات الأمل، وبساتينها تزف عرائس الأفراح في موكب الوجود، قال:

يَبس الأمسُ فوقَ ثغر السنين وتلاشت أحلامُ مجدٍ ثمين
وانطوَتْ صفحة ولُفَّت حياة تحت أنقاض مَعْلَمٍ لقرون
فهوتْ قلعة وصُحِّرَ روضٌ وسها العطرُ فوق يَبْس الغصون
وعيونٌ غاضَتْ ومات ربيعٌ فوق دنيا عرائس الليمون

وللشاعر قصائد عصماء عن مصر وفلسطين وأطفال الحجارة، ومواضيع وطنية وقومية أخرى.

الإبحار في شعر الشاعر الخنيزي ممتع وجميل، لكن ضيق الوقت يحول بيننا وبين مزيد من المتعة في ظلال الكلمة الأنيقة، المكتنزة بأجمل المعاني، والعبارة المجنحة المتوهجة بأصدق المشاعر، والقصيدة الرائعة المعبرة عن حياة حافلة بالصبر الجميل.. والعطاء الأجمل، تحية لشعرنا الرائع.

الصديق المفخرة

عدنان السيد العوامي

حينما تصحب صديقاً لأكثر من نصف قرن لا يعكر فيها صفاء المودة بينكما هَنة أو شائبة فهل يصح نعته - بعد هذا - بالصديق؟

أظن الجواب الأسلم: (لا)؛ فإنه، ببساطة، يصير الأخَ الشقيق، لا الصديق اللصيق.

فهذا الزمن المديد من المحبة والصفاء كفيل بأن يمزج هواك في هواه حتى لا تملك إلا أن تُردد ما قاله ابن أبي بشر الصقلي:

صديقٌ، يا فديتك من صديق بلوت ودَادَه سرًّا وجهرا
إذا واصلتُ عَدَّ الشهرَ يوماً وإن فارقتُ عَدَّ اليومَ شهرا
فأجني في رياض لقاه زهراً وأطفئ من لهيب جفاه جمرا

أو كما قال الشريف الرضي:

تَمازَجَ قَلبانا مِزاجَ أُخُوَّةٍ وَكُلُّ طَلوبَيْ غايَةٍ أَخَوانِ

هذا هو مثَلي ومثَل أبي علي أطال الله عمره، فما عسى أن يقول الأخ في أخيه؟

وحين يدعى الأخ للوقوف مشاركاً في حفل أقيم تكريماً لأخيه وهو مثقل الكاهل بسوابغ كرمه، مفعم القلب بوهج وده، وتقديره واحترامه، فما ذا تراه قائلاً ولاسيما إذ كان، مثليَ، خاليَ الوفاض، ثقيلَ اللسان، مغلقَ العبارة؟ ولسوف يزداد الحرج، ويشتد المأزق عليه ضيقاً كلما ازداد هذا المكرَّم رفعةَ شأوٍ، وسُموقَ قامة.

حين هاتفني الأخ الأستاذ فؤاد نصر الله مخبراً عن خطوته الرائعة لتكريم الأستاذ محمد سعيد أنست، أيَّما أنس، فتكريم الكبار علامة صحة في المجتمع، وعافية للبلد.

نعم. من علامات الصحة وسمات العافية إقرار المجتمع بالفضل لأهل الفضل، وأدائه واجب الشكر لمستحق الشكر، والجهر بالعرفان بالحق لصاحبه.

هو العُرْفُ، إنْ يُشْكَرْ يُضاعَفْ، وإنْ يُثَبْ
يُتابَعْ، وإنْ يُكفَرْ ففي بَذْلِهِ الأجْرُ

حين يقيم هذا الفتى الرائع فؤاد، حفل تكريم لأستاذ مبدع هو أبو علي، فإنما هو ينوب عن بلد وفيٍّ، تأصلت فيه القيم وفاءً وكرماً، وترسخ فيه الخلقُ نبلاً وسخاءً.

ولئن تأخرت هذه الخطوة الجملية الرائعة عن موعدها كثيراً فإنها جاءت على أية حال.

ألَمْ ترَ أنَّ سيرَ الخيرِ رَيثٌ   وأنَّ الشرَّ قاصدهُ يطيرُ؟

أو على رأي آخر:

إذا أبطا الرَّسولُ فرجِّ خيراً   ففي إبطائهِ أثرُ النجاحِ

حين دعاني الأخ فؤاد للحضور، أجبته بأن حضوري هذا الحفل سعادة لي وشرف، لكنه فاجأني بطلب المشاركة الأدبية، فأسقط في يدي.

سامح الله أبا حسن! فما ذا يراني قائلاً في هذا الحفل البهيج؟ وهو، يقيناً، لا يجهل أن شهادتي في أبي علي مجروحة، فكلانا لصاحبه «عصا ولحاها» كما يقال في المثل. بل أكثر من هذا أنني كلما هممت بقولٍ قفز إلى ذهني صوتُ أبي علي يؤنبني بقول الثرواني:

يا صاح دعك من المديح، أما تَرى
سَمِجاً مديحُك لي، وأنت صَديقي؟

فالتواضع، والعزوف عن المديح والإطراء سمتان في هذا الصديق الجليل، عرَفتهما فيه منذ عرفته؛ لذلك لن أجيز لنفسي مسَّ جانب لا يرتضيه، خصوصاً بحضرته، لكنني لن أتعفف عن الإشارة بإيجاز لسمة أخرى عرَفتها فيه، وأظنه لن يعنفني كثيراً عليها، ألا وهي عشقُه لوطنه حدَّ الشغف، وإخلاصُه له حدَّ التفاني، فعسى أن يقدِّر له الوطنُ هذا الحب، فنراه متسنِّما منصة التكريم في محفل من محافل الدولة الكبرى، فهو يستحقه بكل جدارة.

١١

أهزوجة من كتاب الطفولة
مهداة إلى الشاعر / محمد سعيد الخنيزي

محمد مهدي الحمادي

المساءاتُ متعَبةٌ

في يديكَ

وصمتُ الوريقاتِ

بعدَ منتصفِ الليلِ

قد صارَ شيئاً

منَ الذكرياتْ

والقصائدُ عادتْ

لشباكِ ضوءٍ لديكَ

وصوتُ القصيدةِ

مشتعلٌ في يديكَ

على أي بوصلةٍ
جاءَ حرفكَ ضجّت
نبوءاتكَ الحائراتْ

«اقرأيني بصفحةِ الكائناتِ
تجديني أسرارها المبهماتِ»
كم تغربتَ في متاهةٍ
من طقوسِ المستحيلاتِ
فانتشى النبضُ في فؤادكَ
واستوطنَ الحبُّ
رغمَ النزيفِ
ورغم الشتاتْ

كيف لي أن أبوح بالطفولةِ
في وجنتيكَ؟
وأنتَ الذي قلتَ ما لستُ أدركُ
ضاعت حكايايَ
وانتفضت مئذناتُ القصيدةِ
في ألفِ معنىً

وفي ألفِ ذاتْ

قلبكَ الطفلُ

واشتعلتْ هاجساتُ الرجولةِ

والشعرُ مفتاحكَ الجوهريُ

لفكِّ الطلاسمِ

كل النساءِ التي حرضتكَ

لكشفِ الحقيقةِ

كانت تشكلُّ

أحلامكَ البائساتْ

المسافاتُ ماردٌ

حيثُ تحملنا مرتينِ

والأنوثةُ مرآةُ كلِّ الجهاتْ

يا لهذا الفضاء الموشح بالصمتِ

(نغمٌ جريحٌ)

(خيوطٌ منَ الشمسِ)

(كانوا على الدربِ)

كل الزوايا التي كنتَ

كانتْ تعربدُ في داخلي

كالنسيجِ المرصعِ بالأمنياتْ

ها قدْ أتيتُ بشيءٍ لستُ أدركهُ

معي الحقيقةَ غنَّتْ فوقَ مئذنتيْ

يا أيها الشاعرُ المنسيُ في وجعِ

هل في يديكَ مساءاتٌ لبوصلتي؟

أنتَ النشيدُ الذي ما زالَ يسكنني

يرتلُّ الحبَّ في ورديِّ أزمنتي

قرأتُ فيكَ حكاياتٍ ملونةً

وما عرفتكَ إلا الضوءَ في لغتي

بداخلي جُرُعَاتٌ منكَ تلهمني

وفي حروفكَ ألحانٌ لذاكرتي

يا سيدَ الشعرِ للألوانِ أشرعةٌ

فانثر بهاكَ على ميدانِ أشرعتي

هذي قطيفكَ أوهامٌ مبعثرةٌ

وأنتَ ترسمُ أحلاماً بأمنيةِ

يرسو الرمادُ وما للحبِّ أمكنةٌ

وللبدايةِ ما للطهرِ من صفةِ

شيءٌ منَ الحبِّ، شيءٌ من ملامحنا

ينسابُ من رئةٍ ثكلى إلى رئةِ

يا أيها الشاعرُ الضوئيُّ متعبةٌ

كلُّ الإجاباتِ ما راقتْ لأسئلتي

هذي القطيفُ أتتكَ الآنَ في ولهٍ

ولم تزل في بياضِ الروحِ يا أبتِي

القطيف ٢٦/ ٩/ ٢٠١٠م

١٢

تهنئة لا تفي بالغرَض

أحمد علي أبو السعود

اسقني من معتَّق في الدنان ... من قديم العهود والأزمـان

اسقنيها صرفاً وكـلَّ الندامى ... قرقفاً تجعل الخليَّ يعاني

اسق بشَّارَ والنواسيَّ والخـ ... ـيَّامَ كأساً بها تـرِقُّ المعاني

هام في حرفها ابنُ رغبانَ دهراً ... وتباهى بها صريعُ الغواني

واسقِ كلَّ السُّمَّارِ من طيب راحٍ ... مـن خـوابـيِّ شـاعـرٍ فـنَّان

إنهم قـد تقاطروا لاحتفالٍ ... عـبـقـريٍّ بـشـاعـرٍ مـتـفـانِ

بهرتهم فـي سبكه لمساتٌ ... عابقاتٌ من المعاني الحسان

أنعشتهم في شعره نفحاتٌ ... مترعاتٌ بنفح عطر الجِنان

فتساقوا مـن نخبه رشفاتٍ ... أسكرتهم بحسِّها الإنساني

فاشرأَبَّت أعناقهم بابتهاجٍ ... وتعالت أصواتُهم بالتهاني

يـومُ تكريمه أهـل كعيدٍ ... بالمسرَّاتِ مفعمٍ والأغاني

***

شاعرٌ رائـعٌ شريفُ المعاني ... مرهفُ الحسِّ مبدعٌ في البيانِ

خاض بحر القريض طولاً وعرضًا ... وتـغـنَّـت بشعره الضفَّتانِ

قد تسامى بشعره نحو أُفـقٍ عَـلَـويٍّ، فـذٍّ، عزيز المكان

نظراتُ الحسانِ تقطر سحراً في تباريح شعره الوجداني

وأنين العشَّاق ينساب لحنًا فـي ثنايا مـزمـاره المرنان

وشـديـد الإيــاسِ يغدو لديه أمــلاً حـافـلا بحلو الأمـانـي

ذاك دأب الفحولِ في كل عصرٍ يـتـحـرَّون سـامـق البنيان

* * *

يا سعيدٌ، سعدت، نلت عُلُوًّا وتـغـشَّـتـك نـعـمـةُ الرحمن

أنا-ياشاعري-استجرت القوافي علَّها تسعف اللَّها بالمعاني

غير أنِّي -يا شاعري- لست فحلاً من فحول القريض والجيَشان

لا تلمني إذا الخطى قصَّرت بي هاك عـذري، هنا، بغير توانِ

لـك منِّي -أبـا عـلـيٍّ- تهانٍ من صميم الفؤاد عبر اللسان

* * *

٣٠/ ٩/ ٢٠١٠م

شيخ الشعراء

١٣

فيضٌ من الشعر

مصطفى حسن أبو الرز

فيضٌ من الشعر؟ أم نهرٌ من الأدب؟
كفُّ الخنيزي قد أجرته في الكتب؟
تـأتـي الأشـعـة مـن شـمـسٍ بـلا أفـقٍ
فـإذ بها شعلةٌ فـي أفـقـه الرحب
كم جدَّلت من (خيوط الشمس) ملحمةً
وسطَّرت صفحات (الخطِّ) بالذهب!؟
(مـديـنـةٌ لـلـدراري) منذ نشأتها
في عالم اليوم أو في سالف الحِقب؟
وردَّدت مـن أغـانـي العشقِ أغنيةً
وأوقـدت في فـؤاد الصبِّ من لهب؟
(شـيء من الحبِّ) تهدي كل فاتنةٍ
فـإن تمنَّعْ ذاك المنعُ مـن غضبِ
تـغـدو قـوافـيـه ألـوانـاً تَـصـوَّرَهـا
حتى غـدت لوحةً في غاية العجب

كـأنـهـا دوحـــةٌ تـبـدي محاسنها
في الورد، في الزهر، في الرُّمَّانِ، في الرُّطب
أمـــدُّ كـفِـيَ كـي أجـــنِ مفاتنها
أجني الملاب، وتصحو سكرة العنب

***

يا فارس الحرف، عذراً إن أتيت إلى
عـرسِ الـمـودَّة محمولاً على تعبي
ولست أقدر أن أحصي الذي صنعت
يـداك للفكر لو أمعنتُ في الطلب
(أبـا عليٍّ)، إذا قـصَّـرتُ، يشفع لي
حبل من الـودِّ ثبتٌ غيرُ مضطرب
تكفيك لومي بحور الشعر تقذفني
إلــى محيط قـصـورٍ واســعٍ لجب
وقـد ظننتُ بـأن الـشـطِّ يحضنني
إذ عدت (للخط) من نأي ومغترَبِ
إنَّ الثلاثين فيها قـد جـرت بدمي
وقيدتني إليها - العمرَ - بالنسب
إخواني الصِّيدُ لا أحصي لهم عدداً
أرى ابـن عمِيَ فيهم، بل وإبـنَ أبي
قـد اغـتـربـت إذا غـادرتـهـا فـإذا
رجـعـتُ أشـعـر أنــي غـيـرُ مغترِب.

١٤

عندما تراودك القطيف

فريد النمر

يحمل التراب في قلبه حبا تمازجه الصلاة، فما أشهى التراب في جنباته وما أحلى نغما تراوده القطيف! أبا علي، ويبقى لحنك الحر نغمة خفق تراوده الأجيال.

قصيدة في تكريم الحاج الأديب محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي، دام عطاؤه.

أنا وأنت وخيط الشعر والقلق ما عاد عنا نبي الحرف يفترق

اسما تغلفنا الأوقاتِ في دمِها وذاتنا من شقوق البوح تنعتق

أنا وأنت جُنون الحب هدهدنا في رغبة الشعر قيثارٌ ومعتنق

مذ انزلقنا بكأس العشق ذات صبا تنفستنا شظايا اللون تأتلق

مرت بنا النشوة السكرى تمازجنا إلياذَةُ القلب حيث الليلُ يسترق

فأوهمتنا عيون الفجر تفضحنا ومارِدُ الحب وجه الماء ينفتق

أنا القطيفُ وشيءٌ منك يشبهني ملامحُ النخل حين النخل يعتذِق

يا أنت والشبهُ الأسنى يذوبنا وقلبكَ الثرّ والمصباحُ والألَقُ

كم اغتسلنا بوجه النخلِ فارتعشت على الهديلِ دوالي الضوءِ تبتسق

جاءت تراقصنا الأنغام حالمةً كأن فيها مرايا الشوق تنفتق

مذ اعتنقنا إلهُ الشعر حرّرنا خفقُ الغناءِ على الأوتار يندلق

كأنّ ضامرَنا المنهوكَ تسمعُهُ شقاوةُ الريح إذ تذوي بها الطرق

فغنت الشمس شوقا يشتهي وطنا فساومته لحون العشق والرمق

يا وهج رغبتَنا الأولى تحدّثنا تلك العناقيدُ آمالاً بها نثق

ما سامرت شوقنا إلا أسيل لها من مائس العشق ما يحلو به الغدق

وكف آنية النشوى تباغتنا بأمنياتٍ يغني خلفها الشبق

وأنت في دمها خصبٌ يشجّرها وروضة الشعر ولهى مِنك تنطلق

كانت تحركنا أنثى الغرامِ منى تغازلُ البوحَ حين البوحِ ينفلق

كنّا بأشهى مدامٍ صار يمطرُنا ثغر المساء ليحكي حُلمَنا الأفق

هنالِكَ أضجعت للحب أغنية مثل الفوانيسِ رغمَ الليلِ تتسق

تسامر الوقتَ والأنفاسَ قافيةٌ وخفةُ البَحر خفق ذائِعٌ عَبق

يموسق الموج حين الماء دغدغه عطر الضفاف فماستْ حوله الحدق

وهذه حانة الأصداءِ تغمرُها برشفةِ الحب هذا الكأس نختلق

صبّت روائعك الأشهى بأكؤسنا وفاضَ منك عناق الوقت يندهق

يا أغنيات الهوى المنثور داخلنا غنّت أمان جدار الصمت تخترق

هذي جرار الهوى ملأى تنمنمنا تيهًا على فمه يُستعذب النسق

تبثّ أترابها في العشقِ موهبةً ظمأى وعَازفُها باللّحن يلتصق

ونحن في صدفِ الأوراقِ نغزلها على المواقيتِ ما بالحبرِ ينعتق

أنا القطيفُ التي تحْلو بشاعِرِها تطارحُ الأفقَ يطفي شوقَها الشفق

فيضُ النقوشات وشمُ الروح تفتحنا بكلّ دربٍ ولون الليل ينغلق

بينَ الخيوطِ ببهو الشمس مغرية وفي الشعاعِ يجدّ الوقت والعبق

راحت تمدّ على الأسماع قصتها تستكشف الحبّ ألحانا لمن عشقوا

وخفق أغنية الموّال في دمه صهيلُ رائعة في الروح يستبق

فداعبيهِ لعلّ الوقتَ يسرقنا ما أجمل القلبَ حين الحب يسترق

وأنت تسرقني شوقا يباغتني إن يهدأ الحبُ لا يهدا به الرمق

فكل أمنيَّة تأتي على خجلٍ تظلّ شاردة كالريح تنطلق

وأنت أحكمتها حَرفا يطعّمهُ على الحراك صباحٌ فيه نمتشق

يا نازف الشعر بالأنفاس خذ قلمي فذي دماه بهذا الوقت تنعتق

وابعث نوابغه شوطا يلملمنا إن الحياة بغير الشعر لا تثق

ما دام حبر الهوى يهواك تنبته فالشعر مؤتلق والصمت محترق

على يديك جنان الشعر مورقة معنى ومجدا بذاك المجد نلتصق

روح الخنيزي فيها اليوم شاهدة فأنت من كلها روضٌ ومؤتلق

همس السماء وعشق الفجر حزتهما وجهينِ مذ سلكا الأصداء تعتنق

معا فلا ابتعدا يوما ولا افترقا عن فكرك الثرّ لا خوف ولا فرَق

وأنت بينهما للفكر منتجعٌ للواثبين وكأس الحبّ ينتشق

أكبرتُ قلبك في وعي تهدهده وفوق ذا أنه ذو رقَّةٍ لبق

وحب آل الهدى غرس تؤصله زعامة العلم أنتم وجهها الطلق

يترجم الموج فيك الصحو أمسية نشوى تثقفها الآمال والخلق

أستهدف الوقت في معناك يمنحني فالشعر حر وذا الإبداع منطلق

يا شاعر الحب، هذا الحلم تنشده أنثى القطيف وهذا الشعر والشبق

غناك في فجرها شوطاً للحظته على المدائن كم أصغى له الغسق

كل القطيفِ ومعنى الخطّ ملحمة وبيت حكمتها بالحبِّ تلتحق

١٤/ ١٠/ ١٤٣١هـ

١٥

أريج لزهر نيسان

علي عيسى آل مهنا

علـى رؤاك تـباريـح وألـحـان
أم مـوطـن فيه لـلإنـسـان عـنـوان؟
أم إنـه الـبـوح فـي مـا ذاق مـن ولـهٍ
وفـي الـصـبـابـة سـهـران وهيمان
أم إنه (الجرح) في ما عشت من ألم
فـمـن جـراحـك تـاريـخ وبـلـدان
كـانـت مواويلنا التعبى على ثقة
بـأن فيك المنى والـشـوق يقظان
تـرتـل (الـنـغَـم) الـدفـاق مـن لُغةٍ
لحنا (جريحًا) وفي الألحان أشجان
وكـم تجردت فيما صغت من أمل
إلـى الـبـلاد، ولـم تخضعك أثمان
وأنـت والـحـرف مـن نثر وقافية
ثقافة الشعب ماجت منه خلجان

وأنـــت نـحـو اتــحــاد فــي عروبته
تـطـلُّـع لـم يــزل يـحـويـه إيـمـان
بنغمة الـحـب والترحيب منطلقا
(لـوفـد مـصـر) فـأحـبـاب وأخـــوان
أبنت ما كان في (كيتوس) من سعة
لـكـل فــن وفـــي الأشـــعـــار تبيان
تأبى على مفلس في الــرأي طائعة
وإن تـمـادت بكل الـجـور أضغان

***

وأنــت في الــدرب خطو دونما كلل
مـع الثمانين لـم تهزمك أحــزان
شيخا تطل على معنى الحياة سنا
فـيـزدهـي لـشـعـور الـحـب وجــدان
والـــروح منك على مضمار فارسها
مـــا لا يـطـيـق بـعـزم مـنـك شبان
على مـدى نصف قـرن لم تغب أبدا
فـفـي حــروفــك أنـــوار ونـيــران
وأنـــت مـا بـيـن تـجـوال ومـرتَـحـل
مـطـاف عشق جميل فيك يــزدان
ترنو إلــى بلدة (الخيام) عن كثب
بـمـا تـأمـلـت إيـــحـــاء وتـحـنـان

فـتـبـدع الـشـعـر فـيـاضـا بعاطفة
يستملِكُ القلب هـذا الشعر إنسان
(طـاف الخيال بنيسابور) فارتسمت
عـرائـس الغيد فيما قلت برهان
فلو يعود لك (الخيام) من جدث
لاستاف منك الهوى والقلب ظمآن
لـقـال أنــت إلــى (شـيـريـن) فتنتها
فمنكما الـحـب مـفـتـون وفـتـان
فليس إلاك فـي الفتيان مطلبها
وإن تأبت على (شيرين) (إيــران)

***

مِـن (يَـعـربٍ) دوحــة ضمتك وارفـة
(بعبد قـيـس) نما جــذر وأغـصـان
فـلـلـمـروءات أبـــواب وأجملها
بــاب مــن الشعر لا يعلوه بهتان
ولـلـكـرامـة أثـــواب تـزيـنـهـا
لا مـا أراد لـهـا بـالـذل (مـــروان)
ولـلـحـيـاة رجـــال طـالـمـا عصفت
بهم ريــاح على البلوى فما هانوا
وأنــت من (مرجع الفتيا) على صلة
(أب فـقـيـه) وشـبـل مـنـه ريــان

سقاك علما، فكانت خير موهبة
والشعر بينكما فن وألوان
حتى تقوَّم عود منك في أدب
مثقفا ما التوى نبل وإحسان
وفي رعايته (الخطي) خير أخ
بما أفاء من الآداب بستان
فقد تفتحت شعرا يانعا وشذا
وأنت ما بيننا ورد وريحان

***

أبا (علي) وما زال القريض هنا
في (الخط) تولد في معناه أوطان
لا زال (طرفة) يروي الشعر من حكم
ما أطبقت منه في الأيام أجفان
ومن (أبي البحر) فيما ذاع من نغم
يرنُّ في الدهر والأجيال آذان
(هلا سألت) فما زالت برونقها
والشعر يسمو بما قد صاغ فنان
وعن (سبيطية) ثارت مغاضبة
عما أرادت وطبع البحر غضبان
شجَّت من الشيخ رأسا لم يكن بدلا
بغير ما صوبت والجرح هتَّان

فكل ما سال من فيض الدماء رؤى
غــذَّى بـه الـعــزمَ إن الشعر شريان
يـأبـى الـخـنـوعَ لـطـاغـوت وطاغية
مهما استشاط لظى سـوط وسجان
فالشعر أكـبـر مــن صــوت يغيبه
قبر فللشعر رغـم الـمـوت سلطان

***

وأنـــت تـرسُــم تـاريـخـا وقـافـلـة
ســارت فما وهنت والركب فرسان
أعطت إلى (الخط) لم تبخل بما وهبت
ومـا اعتراها لأهـل (الـخـط) نكران
فـيـا بـقـيـة أمــجــاد و (حــاضــرة)
لـك امـتـنـان بما تـسـدي وعـرفـان
أشرقت (شمسا) وقد لاحت بلا أفق
إذ إنــمــا الأفـــق تـأطـيـر وإعـــلان
أكـنـت أكـبـر مـن أفـق ومـن أطـر
أم فـلـسـفـات بـمـا تـمـتـاز أذهــان
فأنت فيما مضى بالأمس ذو أرب
والــيــومَ زاد على التأسيس بنيان
وفــي غــدٍ ألــف عــنــوان يــراد بها
للبحث عـنـك فـتـاريـخ وديـــوان

فانعم بجيل يــراك الـيــوم مبتهجا
وقــد تجلى مــن الـتـكـريـم نيسان

الجش – القطيف
٢٩ – ٩ – ١٤٣١ هـ
٩ – ٩ – ٢٠١٠ م

١٦

مهرجان البيان

محمد سعيد الخنيزي

مـهـرجـانَ الـبـيـان، جئت أحيـ
ـــك بـقـلـبٍ يـفـيـض وداًّ زكـيًّـا
وأحــيــي فـيـك الـشـهـامـة والـنـبـ
ـــل وفــكــراً يـضـيء فـجـراً سنيًّا
أنـــت كـرمـتـنـي ولـــســتُ بـأهـلٍ
فـأحـيـيـك يـــا نـجـي الـثـريـا
أنـــت أغـرقـتـنـي ثـنـاءً وتـقـديـ
ـــراً ودنــيـــاً تـضـوع ورداً نـديّـا
فـلـك الـشـكـر والـثـنـاء ومـجـداً
خـالـد الـذكـر بـاقـيـاً سـرمـديًّـا
وأزفّ الـصـبـاح سـلـة ضـوءٍ
وشــمـوســاً تـوهـجـت فـي يـديّـا
وأنـــا مـنـك نـبـتـةٌ مـن نـبـات
نـبـتـت فـي الـحـيـاة نـبـتـاً شهيا

وأنـــا مـــنـــك قـــطـــرةٌ مـــن مـــيـــاهٍ
أنـــت نـــهـــرٌ تُـــحـــوِّل الـــجـــدب فيّا
وأنـــا مـــنـــك ذرةٌ مـــن تـــرابٍ
ســـال مـــنـــهـــا الـــحـــيـــاة تـــبـــراً نقيًّا
أنـــت، أنـــت الحياة غنى لـــك الدهـ
ـــر لـــحـــونـــاً ومـــقـــطـــعـــاً عـــبـــقـــريًّـــا
لـــســـت أســـطـــيـــع أن أوفـــيـــك شـــكـــراً
وخـــطـــوب الـــزمـــان فـــي شفتيّا
أَأُكـــافـــيـــك، يـــا رفـــيـــق الـــدراري
بـــشـــعـــورٍ يـــجـــســـد الـــحـــب حـــيّـــا؟
فـــلـــك الـــشـــكـــر والـــنـــعـــيـــم ثـــنـــاءً
مـــســـتـــضـــيـــئـــاً، ودائـــمـــاً ســـرمـــديـــا

٢٠/١٠/١٤٣١

٢٩/٩/٢٠١٠

المحتويات

الفصل الثاني: دراسات ومقالات

شيخ الشعراء
قرن من العطاء

وكيل التوزيع

شركة دار الحضارة للنشر والتوزيع

9786038381687

المملكة العربية السعودية - الرياض
daralhadarah@hotmail.com
الرقم الموحد : 920000908 الفاكس : 2702719 - 011
@daralhadarah 0551523173
زوروا متجر الحضارة
daralhadarah.net

Prestige